علم اجتماع المرأة

رؤية معاصرة لأهم قضاياها

دكتورة
سامية حسن الساعاتي



دار الفكر العربي

علم اجتماع المرأة

رؤية معاصرة لأهم قضاياها

دكتورة

سامية حسن الساعاتي

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٣٣١,٤	سامية حسن الساعاتى.
س ا ع ل	علم اجتماع المرأة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها/ سامية حسن الساعاتى. ـ القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٩.
	٢٤٨ص؛ ٢٤سم.
	يشتمل على ببليوجرافيات.
	تدمك: ٤- ١٢٤٨ - ١٠ - ٩٧٧.
	١ - النساء فى الحياة العامة. ٢- المرأة العاملة.
	أ- العنوان.

تصميم وإخراج فنى

أحمد محمد هاشم نجم



رقم الإيداع	٩٩ / ٧٢٢٤
I. S. B. N الترقيم الدولى	977- 10 -1248-4

أميرة للطباعة عابدين - ت : ٣٩١٥٨١٧

إهـــداء

إلى أمى الحبيبة الراحلة: **الأستاذة الدكتورة/ فوزية دياب**
رائدة علم نفس الطفولة فى مصر وأول عميدة لمعهد الخدمة الاجتماعية فى مصر ورئيسة قسم دراسات الطفولة - كلية البنات جامعة عين شمس سابقا.

امرأة مصرية، وزوجة، وأما، وحبيبة، وصديقة، وشريكة وأستاذة جامعية، وعالمة، ومربية أجيال، جمعت بين كل هذه الأدوار، فى حب، وعطاء، واقتدار.

إلى أبى الحبيب الراحل: **الأستاذ الدكتور / حسن الساعاتى**
عميد علم الاجتماع العربى.

الذى آمن بتحرير المرأة، تحرير عقلها، وإبداعها، وحركتها الحرة، واحترم المرأة، وعاونها، وقدرها.. فأعطت.. وأجزلت العطاء.

إليهما.. أهدى هذا الكتاب.

سامية حسن الساعاتى



مقدمة

علم اجتماع المرأة، هو ذلك العلم الذى يـهتم بالمرأة فى المجتمع. وهو علم حديث العهد بالنسبة للعلوم الأخرى المتفرعة من علم الاجتماع. ويركز هذا العلم على دراسات المرأة فى شتى مناحى الحياة. فهو يدرس على سبيل المثال، المرأة فى علاقتها بالرجل فى المواقف الحياتية المختلفة، كما ينشغل بالأدوار النوعية، والتنشئة الاجتماعية، وتكوين هوية الذكر والأنثى، ويتناول التـغير الاجتماعى والاقتصادى وتأثيرهمـا على المرأة، كما يتناول بـالتبادل تأثيـر المرأة فيهمـا، آخذا فى الاعتـبار مفاهيم النوع، والطبقة، والريفية، والحضرية. ويهتم علم اجتماع المرأة أيضا بالمرأة ودورها فى التنمـية، وتأثير التنمـية عليهـا، بكل أشكال عمل المرأة، كـما يدرس حركة تحرير المرأة، والممارسات التمييزية، والعنف ضد المرأة.

ويشمل اهتمام علم اجتماع المرأة كـذلك، علاقة المرأة بالسياسة، والسلطة، والحكومة، والقانون. وتندرج تحت ذلك مفاهيم القـوة والسيطرة، كما ينشغل هذا العلم بعلاقة المرأة بالثـقافة Culture، والعلاقة بين الثـقافة والبيـولوچيا. ولا يركز علم اجتمـاع المرأة على دراسة المرأة فى سوائها فقط بـل إنه يهتم إلى جانب ذلك بدراستها فى انحرافهـا، فيدرسها كمجرمة، ويدرسها أيضـا كضحية، ويركز على علاقة انحرافها بالقوانين، والقيم، والثقافة السائدة.

وهذا الكتـاب حصـيلة جهد علمى، امـتد حوالى العـشرين عامًـا، كرستـها لدراسة المرأة بعامة، والمرأة فى ثقافة العالم الـثالث بخاصة، والمرأة المصرية والعربية على وجه الخصوص.

والغربة الذاتية. كما تتبعت مظاهر شتى لاغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر الذى يمتد من تصنيف فروعه، وميادينه، إلى تحديد مفهوماته، ليتخلل، أيضا موضوعاته، ومناهج البحث فيه، حتى يشمل بناء أهم نظرياته ونماذجه الفكرية.

أما الفصل الثانى فيبحث دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، من خلال دور المرأة فى الجماعات الريفية التقليدية، وعناصر قوتها، ومدى اتساق دورها مع الثقافة التقليدية، وكذلك دور المرأة الحضرية فى المجتمع المصرى الحديث، مع عرض تاريخى لقضية تحرير المرأة، ودورها فى بلورة كفاحها وذاتيتها، مقسم إلى حقب تشتمل كل منها على عدة فترات لها خصائصها. وفى نهاية الفصل تتبع لأهم الظواهر الاجتماعية المصاحبة لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث.

أما **الفصل الثالث، فيتناول دور المرأة كربة بيت**، وذلك من خلال عرض تحليلى نقدى لكتاب أعتبره شديد الأهمية، فى هذا الشأن، وهو كتاب «سوسيولوچيا العمل المنزلى»، الذى يهتم بنظرة النساء للعمل المنزلى، ونظرتهن لأنفسهم كربات بيوت، ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلى، واتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهى وتنظيف... إلخ.

وقد اهتممت بدور المرأة كربة بيت على وجه الخصوص، لأنه دور مهمل من علم الاجتماع، ومن المجتمع على السواء، وعلى الرغم من أن العينة التى ينصب عليها هذا الكتاب، كانت عينة إنجليزية، لكن وضع الزوجة ربة المنزل فيها، ينطبق فى أساسياته على الزوجات فى مجتمعات صناعية معاصرة.

ويبحث الفصل الرابع دور المرأة الريفية بوجه عام، ويتناول علاقة الأم بطفلها فى القرية المصرية، كعنقود من التكنولوچيات والممارسات التقليدية بوجه خاص، وذلك فى قرى الوجه القبلى بوجه خاص، وقرى الوجه البحرى (مع الوضع فى الاعتبار التشابهات بينهما فى القيم، والتقاليد، والتكنولوچيات التقليدية، وأيضا أوجه الاختلافات الرئيسية). وينبنى هذا البحث على مظاهر ثلاثة أساسية هى: المظهر الفيزيقى، والمظهر السيكلوجى، والمظهر الاجتماعى المتعلق بالتقاليد، والدين، والمعتقدات العينية. والبحث منشور بالإنجليزية، وله ملخص بالعربية،

وقد أعيد نشره في مارس سنة ١٩٩٦م في مجلة ألمانيــة علمية بعنوان مجلة التنشئة الاجتماعية والتربية: مشكلات التنشئة في الثقافات المختلفة(*).

وفي الفصل الخامس، ركزت على دراسة أهم المعوقات الثقافية لمشاركة المرأة الريفــية في التنمــية. وفــي هذا الفصل يتــبين لنا أن المرأة الريفــية تخــتلف عن المرأة المصرية الحضريــة المثقفة في مدى وعيهــا بتلك المعوقات، ومدى تقبلهــا أو رفضها لها، كمــا أن هناك عدة مؤشرات هامــة تدل علي أهمية القيم والــعادات والعوامل الثقافــية بعامة في المشاركة التنمــوية للمرأة المصرية الريفية. ويحــتوى هذا الفصل على اقتراحات هامة لزيادة مشاركة المرأة المصرية الريفية في التنمية.

وفي الفصل السادس، تناولت دور المثقفات المصريات في التغير الاجتماعي من خلال بحث اجــتماعي وتاريخي، وأقصــد بهن تلك الصفوة من المتــعلمات في مصر، وبخاصة تلك اللاتي تبنين موقفا ثوريا تجديديا، من الأفكار والتقاليد السائدة في مخــتلف مجــالات العلم، والأدب، والفن، والسياســة، وغيــرهما، وهؤلاء في الغالب جزء من الطبقة الوسطى.

ومن المعروف أن دور المثــقفات المصريات هو الوجــه الآخر للعملة، لقــضية تحرير المرأة المــصرية. وفي نهايــة هذا البحث الاجتــماعي التــاريخي، تحليل لأهم المعوقات التي تواجه المثقفات المصريات.

أما الفصل السابع فهو عن أحــمد لطفي السيد والمرأة، بحث في تحرير المرأة، وقد اخترت أحــمد لطفي السيد بالذات موضوعــا لبحثي عن تحرير المرأة لأن دوره

(*) 49. Jg. Heft 1 / März 1996

Bildung
und
Erziehung

Erziehungsprobleme in
verschiedenen Kulturen

Samia Hassan El-Saaty

Die Mutter-Kind-Beziehung im ägyptischen Dorf
Ein Bericht über tradierte Sozialisationspraktiken

الحقيقى فى تحرير المرأة المصرية غير معروف بشكل عام لأنه يمثل الفترة الثانية من فترات تحرير المرأة المصرية والتى تمثل استمرار فترة نيابة الرجال، أى دفاع الرجل عن المرأة، وأنه كان ينوب عنها فى عرض قضيتها والتحمس لها. والواقع أن للطفى السيد أثر لا ينكر على حركة تحرير المرأة فى مصر، فهو رجل كان يعيش فى المستقبل، ووقف إلى جانب قاسم أمين. وقال أنه لن تمر على مصر أكثر من خمسين عاما إلا وتكون المرأة المصرية وزيرة وكان يفخر أن أعظم أعماله هو إدخال البنت إلى الجامعة.

ويركز الفصل الثامن على دور المرأة كشابة، وأثره فى المجتمع فيبحث هذا الفصل فى دور الشابات المصريات فى التغير الاجتماعى بين السياق التاريخى والواقع الاجتماعى كما يتعرض للبحوث التى درست الشابة المصرية سواء بشكل مباشر أم غير مباشر.

ولا ينصب اهتمامنا بالمرأة فى هذا الكتاب، فقط على سوائها، بل يتجاوز ذلك إلى انحرافها .

وفى الفصل التاسع بحث فى انحراف المرأة بعنوان جرائم النساء، وهو فصلة من كتاب ألفته بهذا العنوان، وقد استعنت بهذا البحث لأهميته فى لفت النظر إلى جرائم المرأة، بعد كثير من الإهمال، واللامبالاة، على أساس أن صورتنا الثقافية المجتمعية السائدة عن المجرم أنه: ذكر خارج عن القانون، وأن البحوث فى علم الاجتماع الجنائى قد وقعت تحت تأثير تلك القوالب الثقافية، كما يتناول هذا الفصل أيضا الطبيعة المتخفية لجرائم النساء، والأبعاد الحقيقية لإجرامهن.

ولما كان القرن الحادى والعشرون، هو القرن الذى سيحتل فيه الجسد في الدراسات الإنسانية اهتماما كبيرا وذلك بعد إدراك المدارس الفكرية لمدى تغييبه فى العصور الماضية، وبرهان ذلك ظهور جمعيات حقوق الإنسان، واهتمام المنظمات الدولية بأمره، فقد رأت المؤلفة أن يتضمن الفصل العاشر والأخير من هذا الكتاب آخر بحث لها فى علم اجتماع المرأة، وهو بعنوان المرأة، الجسد والمعتقد: تطبيقات على المرأة المصرية، وقد قدمته فى المؤتمر الدولى بكوبنهاجن عن المرأة والجسد فى سبتمبر ١٩٩٧م. وعماد هذا البحث أن النظرة إلى الجسد ليست مجرد نظرة

فردية، بل هى نظرة تتبناها الثقافة، وتشيعها فى الناس بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد، كما يركز **البحث على تناول المرأة المصرية، فى علاقة جسدها بالمعتقد الشعبى، كما تبدو فى مظاهر دوره الحياة.**

إن الأفكار المطروحة فى هذا الكتاب حصيلة مسيرة علمية، استشرفت المستقبل، متنبئة بأهمية كثير من القضايا ثبتت أهميتها فيما بعد، كما استقت الحقائق من الواقع الاجتماعى والثقافى المُعَاش، فتميزت بالأصالة والعمق، ولم ترتكز على النقل المتشعب من الكتب الأجنبية وبخاصة الأمريكية منها، لذلك استحقت هذه الأفكار الاهتمام المحلى والعالمى، سواء فى المؤتمرات المحلية والعالمية المختلفة أو فى الترجمة إلى لغات أخرى.

وأخيرا.. فإننى بهذا الحصاد العلمى الذى أقدمه لزملائى، وأبنائى وبناتى من الطلاب والطالبات، أشعر أننى قد قمت بواجب علمى كان علىّ أداؤه.

والله ولى التوفيق.

سامية حسن الساعاتى

مصر الجديدة فى ٣٠ مارس ١٩٩٩م

هو معـروفٌ، بالاتصال المباشـر أو الألفة والعادة، ليس بالضـرورة مفهـوما، أى معروفـا معرفة واعيـة تنطوى على الفهم. فقد يكون القـريب منا، واللصيق بنا، والذى يجرى دائمـا على لساننا، بعـيدا عن الفهم والإدراك الـعقلى الواضح»[1]. وهنا تجيء مهمة العلم فى التوضيح والتحليل.

والاغتـراب بوجه عام، هو البعـد عن الأهل والوطن. وقد استـعمل اللفظ حديثـا فى العلوم الاجتـماعيـة، فقد اسـتخدم «هيـجل» الاغتـراب أول مرة سنة ١٨٠٧، بمعنى تاريخي، فـرأى أن اغـتراب الإنسـان اغتـرابا تاريخـيا، مـعناه أنه اغتراب ينشأ نتـيجة ظروف تاريخية، إذا قضى عليهـا قضى على الاغتراب» [2]. أما عنـد «ماركس» الذى استـخدم فى كـتاباته مـفهـوم الاغتراب لأول مـرة سنة ١٨٨٣، فالاغـتراب له دلالة خاصة تتلخص فـى أن المرء يمر أحيانا بأوضاع يفـقد فيها نفسـه، ويصبح غريبا أمام نشاطه وأعماله، ويكاد يفقـد إنسانيته كلها. فليس الأمر مـجرد خطأ أو نسـيان، بل هو **فقدان للذات**، وذلك حين يتعـرض الإنسان لقوى معادية ربما كانت من صنعه، ولكنهـا تنقلب عليه كالأزمات والحروب. ففى حال الاغتراب يستنكر أعماله، ويفقد شخصيته. وفى ذلك ما قد يدفعه إلى الثورة لكى يستعيد كيانه. فالاغتراب عند «ماركس» دافع من دوافع الثورات.

وللاغتراب فى رأى «ماركـس» صور شتى، منها الاغتراب السـياسي، وفيه يصبح الفرد، تحت تأثير السـلطة الطاغية، مجرد وسيلة ولعبـة لقوة خارجة عنه، والاغتراب الاجتماعي، وفيه ينقسم المجتمع إلى طوائف وطبقات وتخضع الأغلبية للأقلية، ولا سبيـل للتخلص من ذلك إلا بالثورة. وأخيرا الاغتـراب الاقتصادي، وهو عند ماركس الاغـتراب الأساسي، وفيـه تسود الرأسمـالية، وتستولى طبـقة خـاصة على وسـائل الإنتـاج جمـيـعهـا. ولا علاج له إلا بتـملك الدولة لهـذه الوسائل، ودفع الإنتاج دفعة قوية. وواضح أن فى فكرة الاغتراب هذه أثرا واضحا للجدلية الهيجلية [3].

---

(١) نقلا عن محمود رجب، **الاغتراب: دراسة فى أزمة الإنسان**، ص ٣.

(٢) نقلا عن محمود رجب. المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

(٣) انظر مادة اغتراب، **معجم العلوم الاجتماعية**، ص ٥٠، ٥١.

١- اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر: تعريف إجرائى:

يشتمل تعريفنا الإجرائى لمفهوم اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر على أربعة عناصر أساسية هي:

أ- عدم الفعالية.

ب- الخلو من المعنى.

جـ- العزلة.

د- الغربة الذاتية.

وسنتناول كل عنصر من هذه العناصر بالشرح والتعليق، ثم نتبع هذا الشرح والتعليق، بتعداد لمظاهر هذا الاغتراب فى علم الاجتماع المعاصر، يكون بمثابة تطبيق واقعى لهذا التعريف.

أ- عدم الفعالية:

يشكل عدم الفعالية، أى العجز، أحد أوجه الاغتراب، وهذه الفكرة مستمدة من وجهة نظر «ماركس» عند معالجته لظروف العمال فى المجتمع الرأسمالي،وفيها يرى أن العامل غير فعال ولا حول له ولا قوة، وفى مواجهة رأس المال الذى يملك المال، والوسائل، وإعطاء القرارات.

ونلمح فى أعمال «ڤيبر» امتداداً لفكرة عدم الفعالية هذه، فيما وراء المجال الصناعى الماركسي، ويظهر ذلك أيضا فى ملاحظات كل من «جيرث» و «ميلز» حيث يقولان:

«إن تأكيد ماركس على فكرة «انعزأل» العامل الأجير، وانفصاله عن وسائل الإنتاج، تصبح فى المنظور الفيبرى مجرد حالة خاصة لاتجاه عالمى؛فالجندى الحديث «منفصل» بالدرجة نفسها عن وسائل العنف والقتال، بالمثل كما أن العالم منفصل عن وسائل البحث والتمحيص. والموظف الحكومى منفصل عن وسائل الإدارة[١].

وفكرة عدم الفعالية كأحد جوانب الاغتراب، نجدها متواترة فى علم الاجتماع المعاصر، فهى متمثلة عند «جولدنر» فى مؤلفه عن القيادة، وكذلك لدى «رايت ميلز»، وفى كل تحليل للظروف والأوضاع الإنسانية التى تتخذ الاتجاه

(1) H.H. Gerth & C.W. Mills, From Max Weber, P. 50.

الماركسى موجها لهـا. وتتفق كل المفهومات المتواترة لعدم الفعـالية، كأحد مظاهر الاغتراب، فى علم الاجتماع المعاصر، على أنه «توقع الفرد أن سلوكه لا يمكن أن يحدد نتائج أى شيء، وأن رأيه لا وزن له».

ويؤخذ على المفهوم السابق، السائد فى الكتـابات الحديثة فى علم الاجتماع انه لا يضع فى الاعتبار، فيما يتضمنه من أفكار، ذلك الإحباط الذى قد يستشعره الفرد كنتـيجة لـلتضارب بين السـيطرة التى يتوقـعها على الأحـداث، وبين درجة السيطرة التى يرغب فيها بالفعل، وبعبـارة أخرى يؤخذ على المفهوم السابق تجاهله لقيمة الضبط والسيطرة على الأحداث بالنسبة للفرد:

أما مفهومنا **لعدم الفعالية**، وهو مـا نرى أنه يشكل أحد جـوانب **الاغتراب الذى تستشعره المرأة اليوم فى علم الاجتماع المعاصر**، فإنه «يتبلور فى عدم القدرة على الضبط الداخلي، مقابل الضـبط الخارجى للأحداث»، ونحن فى ذلك نقترب فى مفهومنا مما يراه «روتر» (١) إذ يشير مفهومنا لعدم الفـعالية والعجز إلى شعور الفرد بعـدم القدرة الذاتيـة على ضبط الأحـداث وتوجيـهها، مـقابل شـعوره بأن مجريات الأحداث تعـتمد على ظروف خارجية، مثل الحظ والصدفـة، واستغلال الآخرين (الرجال).

ب- الخلو من المعنى:

يمثل هذا البعد، البعد الثانى للاغـتراب فى نظرنا، وقد ورد ذكره فى أعمال بعض العلماء المعاصرين، ولكنه ظهر بوضوح فى معالجة «أدورنو» للتعصب، وفى مؤلف «كانتريل» سيكولوجية الحركات الاجتماعية، كما ظهر فيها مصطلح البحث عن المعنى Search for Meaning (٢). هذا، ونجـد مـثل ذلـك الوصف لـدى

---

(١) انظر:

W.H. James & I.B. Rotter,"Partial and Hundred Percent Reinforcement under Chance and Skill conditions Journal of Experimental Psychology, 55 (May, 1958), PP. 397-403.

(٢) انظر:

I.W. Adorno et al, The Authoritarian Personality PP. 617-ff.

وانظر أيضا:

H. Cantril, The Psychology of social Movements,1941.

«كارل مانهايم» فى وصفه لتزايد العقلانية الوظيفية. Functional rationality فى مقابل أفول وانحسار «العقلانية الواقعية Substantial Rationality

بمعنى أنه كلما تزايدت العقلانية الوظيفية، كان هناك انحدار مواز فى القدرة على اتخاذ قرار معقول، فى ظرف معين على أساس فهم الفرد لترابط الوقائع [١].

ويعنى مفهوم الخلو من المعنى، كأحد أبعاد الاغتراب فى رأينا «عدم شعور الفرد بالقدرة على فهم الظروف التى يجد نفسه وسطها». وتبعا لذلك فإنه لا يستطيع التنبؤ بمغبة عمله، لو فصل فى أى موضوع، بحسب فهمه وبصيرته.

ج- العزلة:

العزلة هى ثالث العناصر التى رأينا أن الاغتراب - فى فهمنا - يحتويها، وقد استخدم هذا الاصطلاح بكثرة فى وصف دور المثقفين، حيث أشار الكتاب إلى انفصال المثقفين عن المعايير الثقافية الشعبية.

ونحن نرى أن هذا الاصطلاح يشير إلى أحد جوانب الاغتراب، المتمثلة «فى شعور الفرد بالغربة عن مجتمعه، وعن الثقافة التى يحتويها» وهذا الفهم يختلف تماما عما يتبادر إلى الذهن من أن هذا الاصطلاح قد يعنى نقص التكيف الاجتماعي، أو مدى حرارة أو كثافة علاقات الفرد الاجتماعية.

هـ- الغربة الذاتية:

يشكل هذا العنصر، رابع عناصر الاغتراب التى تعانى منها المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، والاغتراب بهذا المعنى، موجود فى أجلى صوره فى مؤلف «أريك فروم» عن المجتمع السليم حيث قال: «لقد اخترت مفهوم الاغتراب لتحليل الشخصية الاجتماعية المعاصرة. وأعنى بالاغتراب أسلوبا للخبرة، يخبر الإنسان فيها ذاته كمغتربة عنه، بحيث يمكن القول أن الشخص يصبح غريبا عن ذاته[٢]. وبالمثل نجد المعنى نفسه فى كتابات «رايت ميلز»[٣]. «وريسمان»[٤].

---

(١) انظر:

Karl Mannheim, Man and Society in an age of Reconstruction, P.59

(٢) انظر:

Erich Fromm, The Sane Society, PP.110,120.

(٣) انظر ميلز، المصدر السابق، ص ١٨٤-١٨٨

(٤) ٣ انظر:

David. Riesman, The Lonely Crowd P.49.

والغربة الذاتيـة - فى رأينا - هى «أن **يكون الشخص واعيا** بالانفصال بين **ذاته** المثالية، وين صورته الذاتيه الواقعية»، بمعنى آخر يكون الاغتراب بهذه الصورة هو درجة اعتماد سلوك معين على جزاءات مستـقبلية معينة، أى الجزاءات المختفية خارج الفعل نفـسه. مثال ذلك العامل الذى يعمل من أجل أجـره فقط، والزوجة التى تطهو طعامـا كيفما اتفق، لكى تكون، قـد قامت بالواجب بصرف النظر عن جودة الطعام أو عدمها. فالاغتراب هنا إذن هو «**عدم قدرة الفرد على العثور على جزاء ذاتى نابع منه**».

نستطيع فى النهـاية أن نتبين ملامح مفـهوم اغتراب المرأة فى علم الاجـتماع المعاصـر الذى يضم أبعادا أربعة أساسـية وهي: **عدم الفعـالية، والخلو من المعنى، والعزلة، والغربة الذاتية.** وسنرى على الصفـحات التالية مظاهر اغـتراب المرأة فى الميدان الأكاديمى الخاص بعلم الاجتماع، وحيث نجد أن المرأة تعانى فيه من اغتراب واضح، يطابق ذلك الاغتراب الذى تستشعره المرأة المتـعلمة تعليما عاليا، بخاصة، والمرأة بعامة، فى المجتمع الكبير ككل.

ولعل أحد أسباب اغتراب المرأة فى علم الاجتماع بوجه خاص، هو أن علم الاجتماع، مـا هو إلا مرآة المجتمع التى تنعكس فيها كل ظروفـه، وأحواله. وتبعا لذلك يتبين لنا أن اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، ما هو إلا الوجه الآخر للعملة لاغترابها فى المجتمع الكبيـر، على الرغم من صغر حجم الاسرة نسبيا عن ذى قبل، وبالرغم من كثرة التغيرات القانونية والتشريعية، فى صالحها، ومن فرص التعليم والعمل التى زادت، وتحـسنت، وانفتحت أمام النساء فى القـرن الأخير. لكن الملحوظ أن هناك فرقـا واضحا بين الأدوار الاقتصادية والاجتـماعية لكل من الرجال والنسـاء، وهذا الفرق يرجع بالدرجـة الأولى إلى الاتجاهات الاجـتماعـية الغالبة، والنسق القيمى السائد فى المجتمع.

وتنعكس تلك التفرقة على علم الاجتـماع الذى ينحو إلى تبنى قيم المجتمع الأكبـر. وعلى الرغم من أن الموضوعيـة التى تمثل مسلمة أسـاسية من مـسلمات المنهج السوسيـولوجي، يمكن أن تقلل كثيرا من التحيـزات الظاهرة فى مجال علم الاجتماع، إلا أنه يبـدو أنها لم تؤثر تأثيرا عميقا فى هذا التحـيز القوى ضد المرأة وبالتالى من شعورها بالاغتراب.

وسنحاول فى هذا الجزء أن نتقصى أهم مـظاهر اغتراب المرأة فى ميدان علم الاجتمـاع، سواء كباحثة أو كـموضوع بحث، ثم نتبع ذلك بجزء آخـر نحلل فيه أهم أسبابه ودلالاته.

٢- مظاهر اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر: استقصاء منهجى:

يتخذ اغـتراب المرأة، فى علم الاجتماع المعاصـر، مظاهر شتى، وهو يمتد من تصنيف فروعه، ومـيادينه، إلى تحديد مفهـوماته، ليتخلل أيضا مـوضوعاته ومناهج البحث التطبيقى فيها، حتى يشمل بناء أهم نظرياته ونماذجه الفكرية.

وقد تبدو موضوعات علـم الاجتماع المعاصر وميادينه للوهلة الأولى منطقية، وغير متحيزة ضد المرأة، وأهمها: التدرج الاجتماعي، والنظم السياسية، والدين، والتعليم والانحراف، والاجتـماع الصناعي، والعمل، والأسرة والزواج، وهى بلا شك تمثل وصفا لمختلف مـجالات الحياة الاجتماعيـة الإنسانية. ولكننا نطرح ثلاثة أسئلة، يمكن أن نستشف من إجاباتها مدى صحة ذلك.

السـؤال الاول:

الى أى مدى يمكن القول بأن **خبرات النساء تتمثل أو تظهر حقيقة** فى دراسة مجالات الحياة هذه ؟

السـؤال الثانى:

كيف يعكس هذا التمثيل **الدور الفعلى** للنساء فى الحياة الاجتماعية؟

السـؤال الثالث:

هل لتصنيف موضوعـات علـم الاجتماع، **معنى مـا، من وجهـة نظر النساء أنفسهن فى وضعهن الحالى ؟**

وتمثل هذه الأسئلة الثلاث محكات مختلفة للنظر والتدبر.

إن وضع المرأة كموضوع فى علم الاجتمـاع، يمكن أن يعطينا انطباعا **محرفا** عن واقعها الاجـتماعي. **فـالمرأة لا تمثل فى علم الاجتـماع بتـجاربهـا، وأهميـتهـا الحقيقـية بشكل واقعي،** ومـرد ذلك إلى أن هناك حاجـة لأن تتـفق صورتهـا مع الصورة **الموجهة ذكريا،** والمحددة لها سلفا فى علم الاجتماع.

ويعد ذلك التوجيه الذكرى - من وجهة نظرنا - هو المسئول الرئيسى عن اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر بعناصره الأربعة التى ذكرناها، وهى عدم الفعالية، والخلو من المعنى، والعزلة، والغربة الذاتية.

ان ذلك التوجيه الذكري، الذى يظهر بجلاء ووضوح، فى تحديد موضوعات علم الاجتماع، **إنما يقلل من شأن المرأة**، ويفرد لها منذ البداية مكانا **جانبيا، ويجعلها دائما موضوعا هامشيا ثانويا.** ويتضح ذلك على سبيل المثال، فى أن الشغل الشاغل لعديد من السوسيولجيين كان يتبلور فى الاهتمام بالأثر التماسكى للنظم التى تمارس القوة من خلالها، مثل القانون والأنساق السياسية. . .إلخ، والملاحظ أن هذه الميادين، ميادين صراع ذكرية، فى حين ظلت المرأة دائما، وتاريخيا، بعيدة عن هذه المجالات، اللهم إلا فى بعض الحالات النادرة، وبشكل عرضى فى الغالب. ويمكن أن يقال فى هذا الصدد، أن علم الاجتماع إنما يدرس الواقع الاجتماعي، لكننا إذا تدبرنا قليلا، لا تضح لنا أن هذا التحيز ضد المرأة لا يمكن ارجاعه برمته إلى التفرقة النظمية ضد الإناث فحسب، بل إنه يرجع إلى خطة تتضمن قيما معينة.

وكدليل على رأينا سنطبق إجراء نقديا على بعض الميادين الأساسية فى علم الاجتماع المعاصر، وهى ميادين: الانحراف، والتدرج الطبقي، والقوة، والأسرة، ، والزواج، والصناعة، والعمل، ويعتمد هذا الإجراء على مؤشرين هامين:

أولهما: الرؤية السوسيولوجية للمرأة فى هذا الميدان.

ثانيهما: وجودها الاجتماعى الحقيقى والفعلى فى مجال الحياة الاجتماعية.

والمفروض أن تعكس الرؤية الاجتماعية للمرأة فى كل ميدان من ميادين علم الاجتماع المعاصر، وجودها الحقيقى ودورها الفعلى فى مجال الحياة الاجتماعية أمام عدم التطابق بين المؤشرين، فيكون دليلا على فشل علم الاجتماع فى أخذ واقع حياة المرأة وخبراتها الحقيقية فى الاعتبار. كما يعد ذلك تناقضا بين وجود المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، وبين وجودها الاجتماعى الحقيقي، يمكن أن يتسبب فى استشعار المرأة بالاغتراب، كما يمكن أن يوحى بإعادة تصنيف

موضوعات علم الاجتماع، وميادينه بحيث تمثل كلا المنظورين، الذكرى والأنثوى على السواء.

أما بالنسبة لميدان الانحراف، فنجد أنه ليس هناك، إلا اليسير جدا، من الدراسات السيوسيولوجية الإمبريقية التى تناولت انحراف الإناث، كما نلاحظ أن معظم هذه الدراسات القليلة تركز على الجرائم الجنسية للإناث فقط. وقد تتضمن نظريات الانحراف بعض الإشارات العابرة إلى الإناث، ولكن الشائع أن يوضع تفسير السلوك الأنثوي، تحت مظلة التفسيرات التى تنطبق على السلوك الذكري، وحتى إذا كانت هناك محاولة للكشف عن الفروق بين السلوك الانحرافى لكل من الذكر والأنثي، فإننا نجد أن التفسير ينحصر فى تلك الفكرة الساذجة القائلة بأن الأدوار الجنسية للنوعين متمايزة بالضرورة.

وربما كان السبب فى قلة تمثيل المرأة فى علم اجتماع الانحراف، أنه مازال يضع التركيز كله على السلوك الإجرامي، ولما كان عدد الإناث اللائى يرتكبن جرائم أقل بكثير من عدد الذكور كان هذا سببا قبليا بدهيا فى وجود التحيز ضد الإناث.

ومما لاشك فيه أن النساء أقل انحرافا من الرجال، وذلك تبعا لمحكات مختلفة مثل أحصاءات الجريمة، ومعدلات الانتحار، والتشرد، لكن القانون والتشريع يعدان مسئولين عن بعض الانخفاض فى انحراف النساء. فهناك بعض الجرائم التى لا يمكن أن تتهم فيها النساء، مثل جرائم الجنسية المثلية، وجرائم الاغتصاب. كما أن المحاكم تعامل النساء بكثير من اللين والترفق، هذا بالإضافة إلى أن نسبة من جرائم النساء تظل غير مكتشفة لأن البوليس أكثر رفقا فى معاملتها. لكن ذلك كله لا يمنع حقيقة أن النساء أكثر امتثالا من الرجال.

والأهم من كل العوامل السابقة فى عدم تمثيل المرأة تمثيلا صادقا فى ميدان الانحراف هو أن الثقافة والأفكار الشائعة فيها عن السلوك الأنثوى تلعب دورا لا يبارى فى إخفاء انحراف النساء. ومن العجيب أن هذا الميل قد انتقل أيضا إلى السوسيولوجيين، ، الذين تمثل قيمهم انعكاسا لقيم المجتمع الأكبر، لذلك أصبحت تلك الدراسات تمثل ظاهرة الإخفاء هذه بالنسبة لانحراف الإناث. فأصبحت

دراساتهم لا تمثل مرآة للواقع الاجتماعى الذى يعيشونه، وذلك أن الوجود الاجتماعى للمرأة فى ميدان الانحراف كما تدلل عليه الإحصاءات أعظم بكثير من وجودها السوسيولوجى فيه.

نخلص من ذلك، الى أن التوجيه الذكري، لميدان الانحراف فى علم الاجتماع هو المسئول عن اعاقة دراسة بعض نماذج السلوك النحرف لدى الاناث مثل انحراف المراهقات.

أما بالنسبة للميدان الثاني، فهو ميدان التدرج الاجتماعي، وفى هذا الميدان نلمح داخل نظرية التدرج الاجتماعي، وتطبيقاتها فى البحوث الاجتماعية، عدة افتراضات حول دور المرأة، تسهم فى إخفائها عن مسرح الرؤية السوسيولوجية، واغترابها، رغم وجودها الاجتماعى الذى لا شك فيه، وتؤدى هذه الافتراضات إلى سلسلة من الفروض المرتبطة، وهى فروض يمكن اختبارها من الناحية النظرية، لكن ليس معنى ذلك صدقها عمليا، من الناحية الإمبريقية، ومن أهم هذه الفروض:

١- الأسرة هى وحدة التدرج الاجتماعي.

٢- المركز الاجتماعى للأسرة يتحدد بمركز الرجل فيها.

٣- فى حالات نادرة فقط لا يتحدد مركز المرأة بمركز الرجل الذى ترتبط به سواء بالزواج، أو عن طريق أسرة المولد (الأسرة الأنسالية).

ويمكن أن نوجه ثلاثة اعتراضات على فروض نظرية التدرج الاجتماعى الآنفة الذكر. فالفرض الأول لا يمكن تعميمه، حيث إن هناك أفرادا كثيرين لا يعيشون فى أسر، أما بالنسبة للفرض الثانى فهو لا يصدق إلا على أساس افتراض وجود وحدة أسرية من الرجل والمرأة وطفل أو أطفال، يكون فيها الرجل هو الكاسب الوحيد. لكن ذلك لا ينطبق على كل الأحوال، فهناك كثير من الأسر ترأسها امرأة، ولا يكون فيها رجل على الإطلاق (فى حالة وفاة الرجل أو طلاق الأم)، أو قد تكون الأم هى الكاسبة الأساسية والرجل لا عمل له أو عمله ثانوي، لذلك فهناك عدد كبير من الناس لا ينطبق على أسلوب حياتهم ذلك القول الفصل

بأن الأسرة هى وحدة التدرج الاجتماعي. أما الفرض الثالث فنعترض عليه بأن المرأة لا يتحدد مركزها بمركز زوجها، بصرف النظر عن مسألة الثروة فإن المرأة المتزوجة لها مصادر ذاتية وشخصية من التعليم والتدريب الوظيفي، كما أن كثيرا من المتزوجات يعملن أثناء زواجهن ويحصلن على دخل، وعلى مكانة من هذا المصدر.

وهكذا نرى أن نظرية التدرج الاجتماعى التى تنظر إلى المرأة من خلال وجودها الأسري، وتربط بين مركز الرجل كرأس الأسرة، وبين المكافأة الاجتماعية والاقتصادية التى تحصل عليها المرأة، تفشل فى إبراز دورها الحقيقي، ويخفق السوسيولوچيون فى هذا المجال فى الإجابة عن أسئلة هامة مثل: **إلى أى مدى تؤثر ربة البيت فى تحديد مكانة الأسرة من خلال استهلاكها** ؟ أو من خلال أدائها للأعمال المنزلية ؟ وهل ينعكس تمسك المرأة بمثل نمطية معينة فى ملبسها، ومظهرها، على تقدير الناس للمكانة الاجتماعية لأسرتها ؟ وإلى أى مدى يمكن أن تحدد المرأة سلوك زوجها ومكانته الوظيفية ؟

وكيف يمكن أن تتأثر المكانة الاجتماعية للأسرة بوظيفة كل من الزوج والزوجة فى عمل بأجر؟

لكن الثغرات الآنفة الذكر فى نظرية التدرج الاجتماعى قد لفتت انظار أنصار تحرير المرأة إلى الأخذ فى الاعتبار بالفروق بين الجنسين فى الدور، والمكانة والموارد داخل الأسرة وخارجها. كما جعلت أنصار تحرير المرأة، وبخاصة من الماركسيين يركزون الضوء على مشكلة أساسية، وهى مكان المرأة فى النسق الطبقى.

أما فيما يتعلق بميدان القوة، وهو بالضرورة مرتبط بميدان التدرج، فنجد فيه شواهد تدل على أن المرأة قد أغمطت حقها فى هذا المجال أيضا، فإن معظم التراث السوسيولوجى يظهر المرأة على أنها لا حول لها ولا قوة من خلال قيامها بأدوار الزوجة والأم، وربة البيت، مع أننا لو تعمقنا قليلا لرأينا أن هناك منافذ للقوة والتأثير فى قيامها بهذه الأدوار. فلما كانت المرأة هى المنشئة الأساسية للأطفال، فإن لها قدرة هائلة كى تؤثر فى نماذج شخصياتهم وسلوكهم. بل لقد

أظهرت الأبحاث أن حدوث المرض بين أعضاء الأسرة مرتبط بالعواطف الداخلية فيها، وكنتيجة منطقية لذلك، فإن مركز المرأة المحورى والأساسى فى هذه الرابطة يوضح كيف يمكن أن المرأة تؤثر ليس فقط فى صحة افرادها بل أيضا فى مرضهم(١).

وللنساء قوة كربات بيوت، وكزوجات، وأمهات، وأعضاء فى المجتمع، والقوة بمعناها السوسيولوجى هى درجة السيطرة التى يمارسها شخص أو مجموعة من الأشخاص على أفعال الآخرين. ولكن معظم الدراسات السوسيولوجية للقوة تراها من منظور تقليدى موجه توجيها ذكريا، وتركز على تحليل النظم الرسمية كالدولة، والحكومة.. إلخ. بمعنى آخر يمكن القول بأن معظم الدراسات السوسيولوجية قد ركزت على دراسة شكل واحد، أو نوع واحد من أنواع القوة هى القوة الرسمية، لكنها أهملت إلى حد كبير القوة غير الرسمية. وهذا النوع من القوة يظهر فى الأماكن الخاصة، كالمنازل أكثر مما يظهر فى الأماكن العامة كدور الحكومة. ومن هذا المنظور يفرق «بيتر وورسلى Peter Worsley بين نوعين من السياسة، النوع الأول: ويختص بممارسة الإجبار فى أية علاقة، أما النوع الثانى وهو أضيق مجالا من الأول، فيقتصر على ما يتعلق بالحكومة والدولة والحزب السياسي.. إلخ(٢).

وتبين دراسة «لكاتز ولازارسفيلد» أن **للمرأة دورا جوهريا فى تشكيل القرارات اليومية المتعلقة بنماذج الاستهلاك، والموضات، والشئون العامة،** وحضور العروض السينمائية فى المجتمع الأوربى والأمريكى، كما وجد أن التأثير الأنثوى كان فى قمته فيما يتعلق بقرارات الاستهلاك، لكنه كان فى أقل درجاته فيما يتعلق بالشئون العامة.

---

(١) انظر:

Ann Oakley "The Family, Marriage and Its Relationship to Illness" in D. Tuckett (ed) The Sociology of Medicine.

(٢)

Development P. Worsley "The Distribution of Power in Industrial Society in the of Industrial Societies. Sociological, Review mono graph. No. 8, University of Keele (1964) P.17.

وإذا كانت المرأة لم تجد مكانا خاصا فى علم الاجتماع بعامة، **فإن وجودها يتأكد بالضرورة فى ملاذ واحد وهو الاسرة. ومن الملاحظ أن** القطاع الأكبر من البحوث والدراسات السوسيولوجية المتعلقة بالمرأة تركز على أدوارها كزوجة وأم وربة بيت.

إن الموضوعات الأساسية فى علم الاجتماع الأسرى يمكن حصرها فى السعادة الزوجية، وتقسيم العمل، ونماذجه بين الزوج والزوجة ودور الزوجين فى الأسرة وجمع المرأة بين العمل والزواج. وانعكاسات ذلك على علاقات الزوج - الزوجة، والأم - الطفل. كما تتناول تلك الموضوعات العلاقات الجوانية بين الأسرة النووية، وبين النسق القرابى الاكثر اتساعا. وظاهرة الزوجة الحبيسة أو الأسيرة The captive wife، ويقصد بها موقف المرأة المنعزلة اجتماعيا التى لديها أطفال صغار. وعادة ما تدرس هذه الموضوعات فى سياقها التاريخى فيهتم السوسيولوجيون فى هذا الصدد بالتغيرات التى حدثت فى نماذج الحياة الأسرية وعلاقتها بالتصنيع والتحضر.

وهناك اتفاق عام فى الرأى بين السوسيولوجيين على أنه بالمقارنة بما كان عليه الحال فى القرن التاسع عشر، فإن علاقة الزواج الحديث تتميز أنها أكثر سعادة، وأكثر اتجاها نحو المساواة، وأكثر أهمية، كما أنها أكثر معاناة لكثير من الضغوط والتوترات، بيد أن هناك نزاعا بين السوسيولوجيين فى هذا الميدان الخاص بالأسرة، حول ما إذا كانت الأسر النووية فى هذه الأيام منعزلة أم لا عن الدائرة القرابية الاكثر اتساعا. ويبدو أن هناك اتفاقا عاما على أن الأمهات الصغيرات يعانين من العزلة والوحدة أكثر مما كانت تعانيه مثيلاتهن فى القرن التاسع عشر. ولكننا نتساءل: أين النساء من ذلك كله ؟ إنهن للوهلة الأولى يظهرن على أنهن يحتللن مكانا مرموقا ومركزيا على مسرح الأسرة، ولكن بأية صورة ؟ **لعلنا نلاحظ أن اصطلاح الدور قد أصبح اصطلاحا محببا، وكثيرا ما يستخدمه السوسيولوجيون فى بحوثهم ودراستهم عن الزواج والأسرة، لكنه فى معظم الأحيان يختزل عند دراسة المرأة إلى الدور الأنثوى فقط.**

وقد ساهـم المنظور التحليلى النفسى فى ذلك إسـهاما فعالا، فـقد أدى إلى إيجاد تعريف ضمنى للمـرأة وهو الزوجة والأم، واستبعاد أى ميـدان آخر لنشاطها الحياتي.

هذا بالإضافة إلى مـسألة هامة لابد أن تؤخذ فى الحـسبان وهى أننا نلاحظ فى علم الاجتماع الأسرى توجيها دائما نحو مـشكلة اجتماعية معينة تظهر بجلاء فى عدد هائل من البـحوث والدراسات عن المرأة العاملة. وقد أدى هذا التـركيز على مشكلة المرأة العـاملة إلى التضخـيم من آثار عمل المرأة خارج المنزل ونتـائجه على تربية الأبناء حتى أنهم أصبحـوا يدرسون الآن، أثر اشتغال المرأة خارج المنزل على صحة أبنائهـا، واحتمال وجود ارتبـاط بين اشتغال المرأة وبين كفـاية وجبات طفل ما قـبل المدرسة، كما تثـار أيضا مشكلة حدوث اضطراب فى نمـوذج خدمة المرأة المنزلية لزوجها الذى يعمل خارج المنزل، وتمثل ذلك أصدق تمثيل دراسة رائدة فى مجـال علم الاجتـماع الأسرى نشـرت سنة ١٩٦٢ وفيهـا تقول «جـيفكوت» Jephcott القائمة بالدراسة عن الزوجات العاملات «**ينظر الكثيرون إلى عمل المرأة على أنه تحد للمجتمع، لانه يخرج على النمـاذج الأصلية الراسخة للحياة الأسرية، وعلى القيم والمعتقدات التى تساندها...**».

والغريب أنه ليست هنـاك تقريبا واحدة من تلك الدراسات الخـاصة بالأسرة يمكننا أن نطلق عليـها أنهـا **مركـزة حول المرأة Woman-Focused** فكلها تقـريبا تدرس انعكاسات عـمل المرأة بمحاسنه أو بمضـاره على آخرين فى الأسـرة. لكنها نادرا ما تدرس انعكاسـات هذا العمل على المرأة ذاتهـا. ولذلك فإننا نلمح كثـيرا اصطلاح صراع الأدوار لكنه لا يعنى إلا نادرا ما نعنيه بالتركز حول المرأة.

ولا يتـضمن أى من الانتـقادات السـابقـة أدنى تلميح بأن الزواج والأسـرة ليسا مهمين فى حياة المرأة اليوم. ولكنها تؤكد أن تلك المجالات مازالت فى حاجة إلى توجيه ونقد.

والحقيقـة أننا لا نكون مغالين إذا قلنا أنه فى مجال علم الاجـتماع الأسرى بالذات نجد أن المنظور السوسيولوجى للمرأة فيـه يفوق بكثير وجودها الاجتماعي، وهناك دليل على ذلك، هـو أن هذا الميدان من مـيـادين علم الاجـتـماع الخـاص

بالزواج والأسرة يحظى بمكانة منخفضة إذا ما قورن بميادين علم الاجتماع الأخرى. ويرجع السبب فى انخفاض مكانة هذا الميدان إلى **انخفاض مكانة موضوعه الأساسى وهو المرأة**. هذا بالإضافة إلى وجود اتجاهات شائعة بين السوسيولوجيين فى النظر إلى المرأة - كموضوع أكاديمى - نظرة معينة تسهم أيضا فى انخفاض أهميتها والتقليل من شأنها.

وهناك انتقاد أخير، وهو أن السوسيولوجيين فى هذا المجال لا يشغلون أنفسهم كثيرا بالبحث عن تصنيفات أدق فى ميدان علم الاجتماع الأسرى تكون أكثر قدرة على فهم المرأة من منظورها الأنثوي. فهناك على سبيل المثال اصطلاح المنزلية Domesticity (أو الاستدجان) الذى يستخدم بمعنى فضفاض، والذى يمكن تجزئته إلى عدد من المفهومات الأكثر دقة، قبل أن نرجو أن نصنع الكثير من فهم أوجه الشبه والخلاف بين النساء فيما يختص بهذا البعد الهام. وهناك أيضا كثير من المفهومات تختفى تحت بطاقة كتب عليها الأسرة والزواج. وهى مفهومات تتعلق بميادين مختلفة مثل الجنس والأنسال، والتنشئة الاجتماعية للطفل.

أما الميدان الخامس والأخير الذى نرى فيه مظاهر جلية وواضحة، لاغتراب المرأة فى علم الاجتماع فهو ميدان **الصناعة والعمل**، لأنه الميدان الذى يتمثل فيه التناقض الواضح بين دورهن الفعلى الذى يقمن به فى البناء الوظيفي، وبين درجة تمثيلهن فى هذا المجال.

ويلاحظ أن معظم الدراسات التى تدور حول العمل ذات توجيه ذكرى وهناك ندرة ملحوظة فى دراسات علم اجتماع العمل حول الأعمال، والمهن التقليدية، التى تركزت فيها المرأة العاملة، وأهمها صناعات الغذاء، وصناعة الملابس، والصناعات الصغيرة، والأعمال الكتابية، والتدريس، والتمريض، والعمل المنزلي. وهناك ميل إلى دراسة عمل المرأة على أنه انحراف عن المعيار بمعنى أنه إذا سئلت المرأة: لماذا تعملين؟، فإن السؤال المناظر له بالنسبة للرجل هو: لماذا لا تعمل ؟

وتعزى قلة تمثيل المرأة فى هذا المجال أيضا إلى أن معظم الباحثين فى علم اجتماع العمل، والاجتماع الصناعي، ينتقون عينات أبحاثهم من الرجال ويخفون

ذلك تحت عناوين يفهم منها أنها تصف العمل بوجه عام دون التحيز إلى جنس معين، مثل: الصحة العقلية للعامل الصناعي، والدافع إلى العمل، . . . إلخ.

ولما كان مركز المرأة فى هذا المجال من مجالات علم الاجتماع مركزا ثانويا فانه يترتب على ذلك عدم وجود معلومات امبيريقية كافية لتحديد الأهمية النسبية للمرأة حسب خبراتها فى هذا المكان. ومن الجدير بالذكر أن البحوث التقليدية فى علم اجتماع العمل تذهب إلى أن النساء يعملن فى الأعمال التى تتطلب مهارة أقل، والتى تتميز بالتكرار، كما تتميز بقدر أقل من الحرية (مقارنة بأعمال الرجال) فالعمل بالنسبة للمرأة ليس له أهمية رئيسية أو مركزية، أو معنى كبير إذا ما قورن بقيمته بالنسبة للرجل، ذلك لأن دورها الأكثر أهمية هو دور الزوجة والأم(١).

والحقيقة أنه ربما كانت هناك بعض الفروق النوعية فى الاتجاهات نحو العمل المأجور، لكن هذه الفروق لا يمثلها أصدق تمثيل ترديد ذلك القول المأثور الذى يبعث على الضجر، وهو أن العمل الأساسى للمرأة هو عملها فى الأسرة. فهناك دراسة موضوعية رائدة، أجراها كل من «وايلد وهيل» **Wild and Hill** تهدم ذلك القول من أساسه. فقد درس هذان الباحثان علاقة تغير العمل بالرضا أو عدم الرضا عن العمل بين النساء فى صناعة الإلكترونيات،فوجدا **أن فكرة قدرة المرأة على تحمل العمل الرتيب الممل والمتكرر هو جزء من الفولكلور الصناعي، وحيث كانت نسبة تغيير العمل بالنسبة للإناث لا تختلف عن مثيلتها عند الذكور، وحيث كان تغيير العمل عند الجنسين تعبيرا عن الفشل فى الحصول على الرضا المستمد من عمل ما.**

وتمدنا هذه الرحلة الاستكشافية فى **مجالات خمسة من ميادين علم الاجتماع** ببعض الأمثلة الحية على وجود توجيه ذكرى فى هذا العلم يظهر بطرق عديدة، كما تدلنا على كثير من أبعاد اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، الأمر الذى يجعلنا نفكر فى منظور أنثوى يكون أكثر إفادة.

(١) انظر على سبيل المثال:

R Blauner, Alienation and Freedom, University of Chicago Press. (1964), P.81.

وهناك مجالات أخرى فى علم الاجتماع المعاصر، يظهر فيها التحيز الذكرى قويا واضحا أيضـا مثل مجال مناهج البحث، ومجال الـنظرية فى علم الاجتماع ويظهر ذلك التحيز الذكـرى بوضوح لدى «جيسى برنارد» Jessie Bernard الذى يعكس القوالب التقليدية الجامـدة فى التفكير حين يفرق بين نوعين من الإجراءات فى مجـال مناهج البحث فى علم الاجتـماع قائلا «إن طرق البحث الأنثـوية مثل الملاحظة بالمشاركة، والاستبارات العميقة القـائمة على عينة صغيرة، والتركيز على المتغـيرات الكيفيـة أكثر من الكميـة» تتمتع بقـدر أكاديمى وقبول أقل من نظيـراتها الذكرية(١).

ومن الواضح أن هذه المجالات المتحيزة، من مجـالات علم الاجتماع تحتاج إلى تعديل وإعـادة تقويم، ذلك أنها تـفصح عن تحيـز ذكرى واضح مما يؤدى إلى تضخيم شعور المرأة بالاغتراب فى علم الاجتماع المعاصر(٢).

٣- أسباب اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر:

عالجنا فى الجزء السابق مظاهر مختلفة لاغتراب المرأة فى علم الاجتماع كما تبدت فى مـيادينه المخـتلفة، وفى هذا **الجزء نحـاول تقصى الاسبـاب التى نراها مسئولة عن ذلك الاغتراب بأوجهه المختلفة**، وأهم تلك الأسبـاب فى رأينا تتبلور فى الثلاثة الآتية: **طبيعة أصول علم الاجتـماع، وجنس المشتغلين به، وأيديولوجية الأدوار النوعية**. وسنعالج بالتفصيل هذه الأسباب كل على حدة.

أولا: الرواد الأوائل، وطبيعة أصول علم الاجتماع:

يمثل القـرن التاسع عـشر فى الثـقافـة الأوربية الأمـريكية إحـدى الفـترات التاريخية التى كانت تعانى فيهـا المرأة أشد حالات القهر والظلم والاضطهاد، فمن

---

(١)
J. Bernard, "My Four Revolutions, An Autobiographical History of the A.S.A. American Journal of Sociology (1973) 78, PP.773-910.

(٢) انظر فى ذلك:
H.M., Hughes (ed) The Status of Women in Sociology, 1968-1972. Amer. Soci. Assoc. 1973.

الناحيـة النظمية كانت النـساء محرومـات من معظم الحريات الفردية، والحـقوق، والمسئولـيات، أما من الناحيـة الايديولوجية، فلم يكن أكثـر من ملك منقول، أو عبيد، أو حلى تجميلية (ويتـوقف هذا أو ذاك على وضعهن الطبقي). وقد واكبت هذه الفترة أيضا المرحلة التى وضعت فيهـا دعامات علم الاجتماع. لذلك فإن من يطلق عليهم آباء علم الاجتماع المؤسسون، أو رواده الأوائل، إنما عاشوا وكتبوا ما كتبوا فى ظل عصر يتميز بالتحيز الشديد ضد الإناث.

ومن بين خمسـة من هؤلاء الآباء المؤسسين أو الرواد الأوائل وهم: كونت، وماركس، وسبنسر، ودور كايم، وڤيبر - نجد أننا نستطيع أن نقول أن اثنين منهم فقط وهـم «ماركس» (١٨١٨ - ١٨٨٣)، و«ڤيبر» (١٨٦٤ - ١٩٢٠) قد كـانت لهما آراء يمكن أن نطلق عليـها أنها آراء تحررية عن المرأة، فقد قـدم ماركس تحليلا للزواج على أنه عبـودية أنثوية Female domestic slavery على الرغـم من أنه كان فى الواقع شخصا أقرب إلى الدفاع عن الرومانسية (١). أما «ڤيبر» فقد ناقش فكرة مساواة الجنسين داخل نظام الزواج (٢).

وبالنسبة **لاوجيست كونت** Auguste Comte (١٧٩٨-١٨٥٧) فقـد كان متحيزا ضد المرأة بشكل عقائدي، وقـد ظهرت فلسفته عن المرأة بوضوح شديد فى يوتوبيته، الخطة الوضعيـة للإصلاح الاجتماعى Positivist scheme of social reconstruction، فكل طبقة اجتـماعية ما عدا النساء كـانت توضع على مقياس تدريجى من الأهميـة، والتخصص الوظيـفي. أما النساء فكانت علـيهن مسئـولية الأخلاقيات المنزلية Domestic Morality وكان تأثيرهن الأخـلاقى يدعم بقاعدة الزواج المونوجامى الذى لا تنفـصم عراه. وأخيرا تبلور اتجاهه الفكرى فى اعـتقاده

---

(١)
H. Draper, "Marx, Engels and Women's Liberation Female Liberation" (1971),

(٢).
A. Mitzman, The Iron Cage. A Historical Interpretation of Max Weber. New York Knopf (1970) P.279.

بالنقص الخلقي والتكوينـي للمرأة التي اعـتقد كـونت أن نضجـها قـد توقف عند مرحلة(*) الطفولة (١).

أما «هربرت سبنسر» (١٨٢٠-١٩٠٣) Herbert Spencer فقـد رفض أن يكون الزواج نظامـا غيـر متكافئ، ونـادى بأن المرأة ينبغي أن تكون لهـا حقـوق مساوية تمكنهـا من منافسة الرجال. ولكنه في كتـاباته الأخيرة، نقض هذا الرأي، وأعلن أنه «إذا فهمت المرأة كل ما يحتويه العالم المنزلي لما رضيت عنه بديلا» (٢).

أما المنظور الذي كان ينظر به دوركايم (١٨٥٨-١٩١٧) إلى المرأة فقد حدده المذهب البيـولوجي، وكان يرى أن المرأة تنتمـى بطبيعتـها إلى الأسرة، وقـد كان تحليله لبناء الأسرة النووية الحديثـة مبنيا على وجهة نظر ذكريـة. فقد كان يرى أنه من الضروري أن ينغمس الرجل في عـمله من خلال تكوين جماعات وظيـفية أو مهنية لأن استـغراقه في الأسرة وانهماكه فيـها لا يمدها بأساس أخلاقي سليم لكي يمكنها أن تبـقى وتستمر، فلابد أن يصـبح الرجال تدريجيا مـرتبطين كل الارتباط بمهنهم ووظائفهم بدلا من الاهتـمام بواجباتهم المنزلـية. وفي الوقت نفسه تسـتمر الأسرة، وهي مملكة المرأة في كونها مركز التـربية الأخلاقية والأمان العاطفي (٣). وقد كان دور كايم يطبق هذه العقيدة في حياته الخاصة.

والحقيـقة أن الأعمال والمنجـزات العقلية العظيمـة لهؤلاء الرواد الأوائل قد ارتكزت بطريقة شخصية على أساس من الاضطهاد المنزلي للمرأة. وربما كان زواج ڤيبر هو الاستثناء الوحيد من هذه القـاعدة؛ فقد كانت «ماريان ڤيبر» Marianne Weber نصيرة للمرأة، وكاتبة تدافع عن حقـوقها. أما «هربرت سبنسر» فلم يكن

(*) يمكن الاعـتراض على ذلك بـأن كونت لم يكن سليـم القوى العـقلية تمـاما، عندمـا صنع هذا التدرج، وعلى أية حال فإن موقفه تجاه المرأة فيه مـتسق مع موقفه إزاءها كما عبر عنه في مواضع أخرى من كتاباته المؤلفة.

(١) Quoted by J. and H. Schwendinger "Sociology, Founding Fathers : Sexists to a man", Journal of Marriage and the Family (1971),3, P.784.

(٢) انظر المرجع رقم ٢ في الصفحة السابقة.

(3) Quoted in S. Lukes, Emile Durkheim : His Life and Work, London, Allen Lane (1973) P.185.

متزوجا. وبالنسبة لكونت فقد قيل أن زوجته التى اختارها لم تكن أكثر من وسيلة سريعة لإرضاء نزعاته الجنسية الفجة [١]. ، أما جينى Jenny زوجة ماركس فهى تمثل ذلك النموذج الأزلى من الزوجات الذى كان وسيظل دائما، فقد كرست نفسها، ووهبت حياتها لزوجها ماركس، زوجة وشريكة وصديقة ومعينة. وقد كان زواجهما سعيدا فقد أحبت زوجها وأعجبت به ووثقت فيه، وكانت تحت سيطرته سواء من الناحية الفكرية، أو العاطفية. وقد اعتمد عليها دون تردد فى وقت الشدة والمحنة. وظل ماركس طوال حياته فخورا بزوجته. وبجمالها، وأصلها، وذكائها، وفى سنيه الأخيرة أبدت شجاعة ملحوظة حين كانا يعانيان من الفقر المدقع جعلتها تنجح فى الحفاظ على أسرتها، وبيتها، مما كان له أثر فعّال فى أن يمكن زوجها ماركس من مواصلة عمله وإنتاجه[٢].

أما زواج **دوركايم** فلم يمكن أن يكون أسعد مما كان عليه، سواء من الناحية الشخصية، أو من حيث تهيئة فرص العمل له، فقد كان مثله المنزلى الأعلى الموجود فى كتاباته (وحيث كانت الأسرة أحب موضوعات البحث والمحاضرة إلى نفسه)، متمثلا فى حياته الأسرية المنزلية. فقد هيأت له زوجته كل ما يكفل له الجو العائلى الهادف الذى كان يعتبره أهم ضمان للحياة والأخلاق. كما حملت عنه كل الأعباء التافهة، والمادية.

ولعل هذه الملاحظات ترسم صورة للأدوار المنعزلة التى كان يمارسها كل من ماركس ودور كايم فى علاقتهما الزواجية. أما من حيث السعادة الزوجية التى خلفها كل منهما فهو ما يمكن أن نناقشه فى سهولة. فقد عانت جينى ماركس فى أوقات من البؤس والشدة. أما دور كايم فقد كان رجلا متزمتا، وكان له نظام صارم، كما كان يرفض التحدث إلى أفراد أسرته إلا أثناء تناول الوجبات.

والملاحظ أن التحيز المنزلى ضد المرأة، لا يبيح التحيز فى الأمور العامة على الرغم من أن أحداهما قد يكون دليلا على الآخر لكن أهمية ذلك تتضخم لتعنى

(1) H. Becker and H.E. Barnes Social Thought From Lore to Science. Washington, Harren Press 1952 P.570.

(2) I. Berlin, Karl Marx : His Life and Environment Oxford University Press (1939) PP.78-79.

الكثير عندما تؤثر فى تخطيط اهتمامات وميول وطرق تحليل فرع أكاديمى جديد من فروع المعرفة. لقد أرسى الرواد الأوائل دعائم عدد من التقاليد كانت مسئولة عن تشكيل مكانة المرأة فى علم الاجتماع. **وتضمن ذلك اختزال بيولوجى Biological reductionism للأدوار النوعية للجنسين بحيث تنتمى المرأة إلى الأسرة فقط. وليس إلى أى مجال آخر إلا بصعوبة. كما تضمن تحليلا وظيفيا للأسرة وصلاتها ببقية المجتمع.**

هذا بالإضافة إلى أن المدرسة الأمريكية فى علم الاجتماع كانت هى الأخرى متحيزة ضد المرأة، وهذه نتيجة طبيعية، ذلك أنها تسلمت المشعل من الرواد الأوائل، وتأثرت بهم. لذا نجد أن «لستروورد» Lesterward وتوماس W.I. Thomas قد تأثرت أفكارهما بكونت وسبنسر ثم طوراها بعقيدتهما البيولوجية، وأفكارهما الاجتماعية عن مركز المرأة. وقد كانت هذه الأفكار هى المسئولة عن وجود ذلك الاضطهاد النوعي، والعنصري، والطبقى الذى ظهر فى أمريكا مع أوائل هذا القرن، فى فلسفة تنادى بحرية العلاقات الاجتماعية، وتوجيهها نحو المنفعة القصوى(١)..

ثانياً: علم الاجتماع مهنة رجال:

يلاحظ «رايت ميلز» فى مقالته النقدية «الأيديولوجيا التخصصية للأمراض الاجتماعية» أنه إذا لقى أعضاء مهنة أكاديمية معينة تدعيما وتعزيزا من سياق سوسيولوجى آخر، وكانت خلفياتهم، ومهنهم متماثلة تقريبا، فإن هناك ميلا كبيرا لديهم لكى يتحدوا نحو تحقيق هدف مشترك معين، وهذا ينطبق على مؤسسى علم الاجتماع منذ البداية وعلى خصائص المتخصصين فيه والعاملين فى مجاله بعد ذلك، رغم أن «رايت ميلز» لم يكن يقصد بهذا الكلام أن يطبقه على موقف السوسيولوجيين من علم الاجتماع والمتخصصين فيه فيما يتعلق بمسألة الفروق بين الجنسين، والتحيز لجنس دون الآخر.

والمشاهد الآن، ومن واقع تقارير أمريكية وإنجليزية أن مكانة المرأة فى علم الاجتماع حتى الآن مكانة مهزوزة لا تحسد عليها، ففى ٨٥٪ من أقسام الاجتماع

(١) انظر شويندجر، المصدر السابق، المكان نفسه.

توجد امرأة واحدة. وتفصح البيانات والتقارير عن وجود تحيز تدريجي واضح ضد الاناث. فهناك ٥٪ من الاساتذة من الاناث، بينما يرتفع ذلك الى نسبة ١٦٪ من الاساتذة المساعدين، ٣٠٪ من المدرسات من الانـاث. كما توضح تلك التقارير التمثيل المنخفض للمرأة فى المطبوعات السوسيولوجية وفى مراكز التحرير المختلفة للمجلات العلمية العالمية. وهذه الحقائق **تتمشى مع رسالة التحيز ضد المرأة فى علم الاجتماع والتى يتسلمها الخلف من السلف فى علم الاجتماع المعاصر**[١].

ثالثاً: أيديولوجية التفرقة بين الذكورة والأنوثة:

تعنى كلمة الأيديولوجية فى هذا المقال، مجموعة من الأفكار والمعتقدات المرتبطة ارتباطا وثيقا، التى تميز مجموعة أو جماعة أو قوما بعينهم. ومن الغريب أن التقارير حول مكانة المرأة فى علم الاجتماع الأمريكى قد أثبتت أن كثيرا من علماء الاجتماع الأكفاء قد هجروا المواقف الإمبريقية، واعتمدوا على الأساطير الفلكورية والمعتقدات الخاطئة الجامدة، ومنها التحيز ضد المرأة فى علم الاجتماع. وهذه الأيديولوجية تدعم للأسف البناء التقليدى لعلم الاجتماع كما تفعل ببناء الحياة الاجتماعية. فالافتراضات الضمنية حول ما تفعله المرأة، وما يجب أن تفعله تكون معظم موضوعات علم الاجتماع، وقد رأينا **كيف أدى التقليل من شأن أنماط القوة الأنثوية فى الأسرة ووصفها بأنها عارضة وتافهة إلى أن يتجه علم الاجتماع السياسى اتجاها وحيدا فى فحص الشكل الرسمى فقط من أنساق السيطرة والقهر.**

خاتمة:

يتضح من بحثنا عن اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، بجوانبه الأربعة التى بيناها، وشرحنا أهم أبعادها، أن المرأة تعانى فى علم الاجتماع من اغتراب يتبلور فى شعورها بعدم الفعالية، وبخلو ما تقوم به من سلوك من معنى، كما أنها تستشعر العزلة والغربة الذاتية، وهذا يصدق على المرأة فى علم الاجتماع بوجه عام سواء كباحثة أو كموضوع بحث.

---

(١) انظر هيوز، المصدر السابق، الصفحات نفسها.

وانظر ايضا:

Tessa Blackstone, and Oliver Fulton, Sex-discrimination.

وقد لاحظنا أن هذا الاغتراب قد ظهر واضحا جليا فى ميادين مختلفة كثيرة من علم الاجتماع كميدان الانحراف وميدان العمل، وميدان القوة وميدان الزواج والأسرة، وميدان التدرج الاجتماعي، والطبقات.. إلخ. كما لاحظنا أن مرد هذا الاغتراب هو التوجيه الذكرى بمعنى التركيز على أنشطة الذكور، واهتمامتهم فى مجتمع متمايز من حيث الذكورة والأنوثة، حيث يتناقض فيه الوضع الاجتماعى للرجل، إلى حد كبير مع الوضع الاجتماعى للمرأة، وحيث يخلع النسق القيمى السائد فى المجتمعات الصناعية الحديثة على الأدوار الذكرية أهمية وقدرا أعظم مما يفعله بالنسبة للأدوار الأنثوية.

وفى استقصائنا لأسباب اغتراب المرأة، ولجذور ذلك التوجيه الذكرى فى علم الاجتماع، توصلنا إلى اختزالها فى ثلاثة أسباب أساسية، هى طبيعة أصول علم الاجتماع، وجنس المشتغلين به، وأيديولوچية الأدوار النوعية.

وننهى بحثنا هذا بفرض، مؤداه أن وضع المرأة المعاصر كموضوع وكباحثة فى علم الاجتماع، لا يعطينا صورة صادقة لدور المرأة، وأهميتها، وحجم تجاربها، بل إنه يقلل من شأنها، ويفرد لها منذ البداية مكانا جانبيا، ويجعلها غالبا موضوعا هامشيا وثانويا، ويخلق تناقضا بين وجودها الاجتماعى الحقيقي، ووجودها السوسيولوچى من خلال علم الاجتماع.

ونحن نرى أن التصنيف الحالى لموضوعات علم الاجتماع لا يعنى الكثير من وجهة نظر النساء فى وضعهن الحالي، **لأن هذ الموضوعات تحتاج إلى تعديل، وإعادة تقويم، ينهض على أساس الرجوع إلى المرأة نفسها، لتصبح موضوعات علم الاجتماع ممثلة حقيقية وواقعية لكل من المنظورين الذكرى والأنثوى على السواء.**

المـــــراجع

أولا: مراجع باللغة العربية:

١- دكتور محمود رجب، الاغـتراب: دراسة فى أزمة الإنسان القاهرة، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤.

٢- معـجم العلوم الاجتمـاعية، تصديـر ومراجعة دكـتور إبراهيم بيومى مـدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

ثانيا: مراجع أجنبية:

1- Adorno T.W. et al ., The Authoritarian Personality , New Yourk, Harper 1950 .

2- Becker , H., and Barnes H.E., Social Thought from Lore to science. Washington , Harren Press , 1952.

3- Berlin I., Karl Marx : His Life and Environment . Oxford University Press, 1939 .

4- Bernard , J., "My Four Revolutions", An Autobiographical History of the Amer. Soc. Assoc., American Jounrnal of Sociology, 1943 .

5- Blauner , R., Alienation and Freedom , Chicago , University of Chicago Press , 1964 .

6- Cantril , Hadley , The Psychology of Social Movements , N.Y. Wiley , 1941 .

7-Draper H. "Marx , Engels and Women's Liberation " Female Liberation (1971) .

8- Fromm Erich , The Sane Society. N.Y. Rinehart , 1955 .

9- Gerth H.H. & Mills C.W., From Max Weber , Essayes in Sociology , N.Y. Oxford 1946 .

10-Hughes, H.M., (ed) The Status of Women in Sociology 1968-1972. Amer . Soci. assoc . 1973 .

11-James W.H., & Rotter J.B., " Partial and One hundred percent Reinforcement under Chance and Skill Conditions' Journal of Experimental Psychology 55. (May 1958) .

12-Lukes, S., Emile Durkheim : His Life and Work., London, Allen Lane , 1973 .

13- Mannheim Karl , Man and Society in an Age of Reconstrunction, N.Y., Harcourt , Braco, 1940 .

14-Mitzman A., The Iron Cage : AHistorical Interpretation of Max Weber. New York , Knopf ; 1970 .

15-Oakley , Ann , " The Family , Marriage , and Its Relationship to Illness " in D. Tuckett (ed) The Sociology of Medicine , London , Tavistock . 1973 .

16-Rieman, The Lonely Crowd , New Haven , Yale University Press, 1950 .

17-Schwendinger J.H., " Sociology Founding Fathers : Sexists to a Man , Journal of Marriage and the Family (1971).

18- Will R. & Hill A.B., Women in the Factory : A Study of Job Satisfaction and Labour Turnover London , Institute of Personal Management , 1970 .

19- Worsley P., " The Distribution of power in Indusrial Society , in the Development of Industrial Societies" Sociological Review Monograph . No . 8. University of Keele (1964) .

* * *

الفصل الثانى



المرأة فى المجتمع المصرى الحديث
بحث اجتماعى ثقافى(*)

تمهيد:

ليس من السهل تناول دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، لأن **التنمية الاجتماعية** التى بدأت فيه **منذ أواخر القرن التاسع عشر**، وسارت فى خطوات وئيدة أحيانا، وسريعة أحيانا أخرى، لم تحدث فى كل جنباته بدرجة واحدة، ولا بإيقاع واحد. ويكفى ما نلحظه من تباين ظاهر واختلاف واضح فى أسلوب الحياة الاجتماعية بين المناطق الريفية من جهة، وبين المناطق الحضرية من جهة أخرى. فثقافة الجماعات الريفية تتناقض إلى حد كبير مع الثقافة السائدة فى المجتمعات الحضرية.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن المجتمعات الحضرية فى مصر أى المدن الكبيرة وعلى رأسها القاهرة والإسكندرية، سنرى فى داخلها ثلاثة أنواع من الثقافة وفق المناطق المختلفة فى المدينة. فهناك مناطق مغلقة تسود فيها ثقافة ريفية تكاد تكون خالصة، وعلى النقيض منها، هناك مناطق مفتوحة تسود فيها ثقافة عصرية. وهناك مناطق ثالثة بين بين تسود فيها ثقافة ريفية - حضرية، أى تجمع فى كثير من القيم والمعتقدات، والعادات، والتقاليد التى تسود فى الريف، وبين كثير أيضا من العناصر المادية التى تكون جزءا بارزا من الثقافة الحضرية.

وعند تناول أى نظام اجتماعى فى مصر فى العصر الحديث. لابد أن يضع الباحث فى اعتباره الاختلافات الكبيرة التى أشرنا اليها آنفا بين الريف والحضر من

(*) بحث نشر فى المجلة الاجتماعية القومية المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الثانى عشر، العدد الثانى والثالث سبتمبر، ١٩٧٥ .

جهة وبين المناطق المختلفة فى المدن الكبيرة من جهة أخرى، فعلى هذا الأساس فقط تكون نظرة الباحث عميقة مستوعبة ويكون تحليله دقيقا وشاملا.

وترى الكاتبة بادئ ذى بدء، أن تحدد تحليلها لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، فتناوله من منظورين أحدهما ريفى تقليدى يسير فى تنمية بطيئة أشد البطء والآخر حضرى حديث، يسير فى تنمية سريعة أحيانا، وطفرية أحيانا أخرى.

دور المرأة فى الجماعات الريفية التقليدية (*)

المرأة فى الجماعات الريفية التقليدية، كثيرة الذرية، تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعية منذ سن مبكرة. وهى بالإضافة إلى ذلك ذات دور بارز فى اقتصاديات الأسرة، فهى عاملة، ومشرفة ومدبرة ومسئولة عن جعل البيت فى حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتى لا ينقصه شيء من المئونة والمطالب التى تحتاجها الأسرة على مر فصول السنة.

والأسرة فى هذا الإطار الاجتماعى التقليدى معمل بدائي، تجرى فيه صناعة الأغذية وفى مقدمتها الخبز، وصناعة الملابس التى يحتاجها أفراد الأسرة، وبخاصة الإناث وتنظيف وغسل الملابس، وعمل مواد زينة النساء والقيام بعمليات تجميل المتزوجات منهن، ومن هن على أهبة الزواج من الفتيات. هذا فضلا عن تربية الدواجن، وبعض الحيوان للإفادة من نتاجها، ولحومها، وصنع مستخرجات الألبان، وهذه كلها أعمال تضطلع المرأة بها، وفق ما تمليه التقاليد. وإذا ارتأى رب الأسرة أن يمارس فى بيته صناعة من الصناعات التى تعد من اختصاص الرجال اساسا، فإن زوجته وبناته كن، فى حالات كثيرة، يساعدنه فى العمليات السهلة التى يستطعن القيام بها. لأنه لم يتصور فى هذا الإطار الاجتماعى المبسط للحياة، أن تقبع المرأة فى بيتها دون عمل أو حركة، وبذلك تعرض نفسها لمفاسد التعطل التى سرعان ما توقعها فى حبائل الشيطان.

فالمرأة فى أية مرحلة من مراحل حياتها، التى تستطيع فيها العمل بأى شكل، وعلى أية صورة خادمة البيت سواء كان ذلك فى بيت أبيها، أم بيت زوجها. وحتى

(*) الجماعات الريفية هنا ترجمة لمصطلح Rural Communities

فى حالة ترملها، أو طلاقها أو انفصالها عن زوجها لفترة من الوقت، فإنها تعود إلى بيت أبيها لتخدم فيه مهما كانت سنها، ومهما كان عدد أطفالها. فهى تربى وتنشىء، متشربة بهذه القيم والأفكار. وهى تكبر فتجد أمها واخوتها وقريباتها الكبيرات على هذا الحال فتألف ذلك وتتعود عليه شيئا فشيئا، حتى إنه ليصبح طبيعة ثانية لها. فهى تتزوج لتخدم زوجها وبيتها. وتعبر الأمثال الشعبية، فى الثقافة الريفية، عن أهمية المهارة فى الخدمة المنزلية بالنسبة للمرأة، فيقولون «لقمة الراجل مقمَّرة ما تأكلها إلا المشمَّرة»، ويقولون «بنت فلان، نار وشرار»، «وقلبها حامي» أى أنها سريعة فى العمل.

وتأتى بعد المهارة فى قائمة الصفات المرغوب فيها فى المرأة الريفية، الأخلاق الفاضلة مثل الطاعة، والهدوء، والوداعة. وهذه الصفات الثلاث الأخيرة ذات قيمة عالية لدى الرجل، وبالنسبة لتقييم المرأة الريفية، وهذا أمر منطقى جدا، لأنه منسجم كل الانسجام مع الأوضاع، والنظم التى تسيطر على طريقة الحياة وأسلوب المعاملات فى الريف.

ومن الصفات ذات الوزن الكبير أيضا فى نظر الريفيين أن تكون المرأة صغيرة السن. ويعلل الريفيون تمسكهم بهذه القيمة بالنسبة للمرأة حين يفكرون فى اختيارها زوجة، بأن ذلك يسهل السيطرة عليها ويجعلها أسلس قيادا لزوجها مما لو كانت كبيرة.

ويجد الرجل القروى الأمان والأطمئنان فى التمسك بالعصبية، وهو لا يجب ان يفخر بأصله وحسبه فقط، بل يجب أن يفخر أيضا بأصل من يصاهره وبحسبه ومكانته الاجتماعية،ولذلك تفضل الخطيبة فى الريف، إذا كان لها «رجالة بارزون مرموقون».

ومن العوامل المهمة أيضا، فى اختيار المرأة الريفية كزوجة، وما تملكه أو ما سوف ترثه، من أرض، أو عقار، وحلي، حتى تستطيع أن تساعد زوجها فى حياته المعيشية، فالملاحظ فى الريف أن ما تملكه الزوجة يستطيع الزوج أن يتصرف فيه، وتعتبر الزوجة نفسها وما تملكه ملكا لزوجها.

أما خصوبة الخطيبة، واستعدادها للإنجاب، فهو أمل كل رجل يعيش فى الثقافة الريفية، هذا إلى جانب جمال الفتاة، وإن كانت هذه الصفة لا تتمتع بمركز الصدارة مثل الصفات السابقة.

التحليل الاجتماعى لدور المرأة فى الثقافة التقليدية الريفية:

إذا ما وضعنا دور المرأة فى الثقافة الريفية التقليدية. تحت الفحص الاجتماعى العلمى بهدف تحليله وتحديد أهم مظاهره وأبعاده، لابد لنا بادئ ذى بدء من تحديد مفهومى **الذكورة والأنوثة** فى تلك الثقافة.

فالذكورة فى الثقافة التقليدية تعنى القوة، والسطوة، والسيطرة والسيادة. أما **الأنوثة** فتعنى الضعف، والخضوع، والطاعة والاستسلام لسيطرة الرجل.

إن «الدور المعياري» للمرأة فى التصور التقليدى لها، هو - كما رأينا - دور التابعة الضعيفة المقهورة المسحوقة، أمام دور الرجل المسيطر القادر، السيد.

إن المرأة تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل وتفضل إذا كان لها «رجالة» بارزون أى أنها تدور دائما فى فلك «رجولي».

واذا ما حللنا **علاقات القوة**[1] **بين الرجل** [2] **والمرأة فى الثقافة الريفية التقليدية** لوجدنا أن المرأة الريفية ضعيفة بوجه عام، فهى «مكسورة الجناح» على حد قولهم، تابعة لا حول ولا قوة لها مقابل الرجل الذى تعطيه تلك الثقافة السيطرة والحرية فهو السيد ذو السيطرة القوية، وهو كل شيء فى حياة المرأة، وحياتها بدون الرجل لاقيمة لها لأنها لا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله، ولا يقيمها الناس إلا بعلاقتها به، وتقول الأمثال فى ذلك «ضل راجل ولا ضل حيط» و«اللى يقول لمراته يا هانم يقابلوها ع السلالم» أى أن المرأة الريفية تكتسب قدرا كبيرا من القوة بانتسابها إلى الرجل.

---

(١) تقصد الكاتبة بالقوة حصيلة جمع مجموعة من الصفات تعنى السيطرة، والسيادة، والتعبير عن الرأى ونفاذ الكلمة وهى باختصار القدرة الظاهرة أو الكامنة لدى كل من الطرفين للتأثير على سلوك الآخر.

(٢) علاقات القوة: اصطلاح وضعته الكاتبة ليعبر عمن يسيطر ومن يخضع ومن يتخذ القرار ومن ينفذ القرار، ومن له الكلمة النافذة، والكلمة الأخيرة ومن تكون له القيادة والرئاسة.

ورغم تسليمنا بأن المرأة الريفية ضعيفة بوجه عام، الا أننا نلاحظ أنها تملك عناصر قوة محدودة وكامنة، تظهر بوضوح عندما تخطب، وتتزوج وترتبط بالرجل. ولهذا ينشأ عن الموقف العام لدور المرأة فى الثقافة التقليدية موقفان متناقضان. الأول موقف أهل الزوج الذين يريدون أن تظل ابنتهم مستضعفة مهما كانت تملك من عناصر قوة مستجلبة أى أنهم يشجعون أن تبقى المرأة ضعيفة.

الثاني: موقف أهل الزوجة، الذين يشجعون ابنتهم على أن تظهر عناصر قوتها الكامنة ونسبها، حفاظا على كيانها لدى زوجها، وكيان أسرتها الجديدة.

وعناصر القوة المحدودة، لدى الزوجة الريفية تتلخص في:

١- جاه أهلها أى عصبيتهم.

٢- ممتلكاتها مالا وعقارا.

٣- ذريتها وبخاصة الذكور.

ويلاحظ أن عناصر قوة المرأة فى الثقافة الريفية التقليدية، يشوبها كثير من عدم الوضوح وعدم التحديد، لأن تلك الصورة التى استخلصناها، والمتعلقة بعناصر قوتها الكامنة والمحدودة، إنما تنطبق فقط على تلك الطبقة الريفية المتميزة بما تملك سواء من ناحية الذكور، أو من ناحية الإناث. أما بالنسبة للسواد الأعظم من أهل الريف وهم الطبقة الفقيرة الكادحة، **فإن صورة القوة عندهم مختلفة، لأن علاقات القوة بينهم مختلفة أيضا، فالمرأة فى هذه الطبقة أكثر كدحا من الرجل، وبالتالى فهى أقل مكانة من الرجل، فبينما وقت الرجل فى الريف، فى هذه الطبقة الكادحة، يوزع بين عمالة قصيرة متكررة وبطالة طويلة متكررة أيضا، فإن المرأة على العكس منه لا تنعم بالراحة قط، إذ إن وقتها مشغول بشتى الأعمال المنزلية، ورعاية الأطفال، وتربية الدواجن والأغنام، هذا فضلا عن مساعدتها لزوجها فى الفلاحة فى كثير من الأحيان.**

وفى هذا الإطار من الحياة الكادحة تزيد وطأة استعباد الرجل للمرأة، وتنكمش قوتها النسبية حيث تتبلور فقط فى كونها منجبة ونافعة للرجل فى بيته، إلا أن هوة القوة (١) التى تفصل بين قوة الرجال الكادحين وقوة النساء الكادحات

(١) هوة القوة: اصطلاح وضعته الكاتبة ليعبر عما يلاحظ من تفاوت بين الرجل والمرأة من حيث المركز، والمكانة، والتأثير.

تكون أكثر اتساعا منها بين قوة الرجال المالكين، وقوة النساء المالكات فى الطبقة الميسورة المستريحة فى الريف.

اتساق دور المرأة فى الثقافة التقليدية ومطابقته (١):

من الأهمية بمكان، ونحن نحلل دور المرأة فى الثقافة التقليدية فى المجتمع المصرى الحديث تحليلا اجتماعيا وثقافيا. أن نعرف أن الدور المعيارى لها كامرأة، وزوجة، وأم، أى الدور الذى يتوقعه منها المجتمع وينتظر منها القيام به، يتفق اتفاقا كبيرا، إن لم يكن يتطابق مع دورها الفعلي، أى ما تقوم به فعلا وتؤديه، ولهذا لا تجد المرأة الريفية فى الثقافة المصرية التقليدية، فى نفسها أى صراع بين المتوقع والمتحقق ولا تستشعر فى أدائها لدورها أدنى مشاعر الاغتراب.

إن الرجل كامل الإرادة والسيطرة، وإن المرأة أدنى منه، وأقل فى إرادتها، وقدرتها وأن حياتها تعتمد عليه، وأنه سيدها، وما هى إلا خادمة له.

وعلى هذا النحو من التدريب والتعويد، وغرس الأفكار، تنشأ الفتاة، وقد تشربت تشربا وتمثلت تمثلا الإيمان بقيمة (الطاعة) وبذلك لا تشعر بأى لون من التأفف، ولا بأى نوع من الغضاضة، من سيادة زوجها عليها، ومن طاعتها له ولأهله، بل إن الغالبية العظمى من النساء أنفسهن يكرهن سلوك المرأة القوية الشخصية التى تكثر من الاعتراض والمناقشة، ويصفنها بأنها «مناقرة» وإذا انقاد لها زوجها، فإن ذلك يقلل من قيمته؛ إذ يعد هذ الانقياد للزوجة «منقصة» لأنه ينتقص من رجولته ومكانته، ومنزلته بين الرجال. ولذلك كثيرا ما يتهكمون عليه بعبارات مؤلمة، كقولهم «دا راجل خنتى وني» أو دا راجل مالوش قيمة/راكباه مراته»(٢). بل يكفينا فى النهاية لنعرف قيمة الوعى بمركز الرجل وسيطرته وسيادته فى الثقافة الريفية اذا ما قورن بمركز المرأة الأدنى فى كل ذلك، أن نعرف أن اسوأ اهانة توجه لرجل فى ظل الثقافة الريفية التقليدية وصفه بأنه «امرأة».

ونستخلص من كل تلك الملاحظات، أن أساليب المعيشة فى الثقافة الريفية التقليدية هى التى تحدد نماذج السلوك والقيم المتصلة بها، وهى لا ترضى عن المرأة

---

(١) اتساق الدور ومطابقته: Role Congeruency اصطلاح يطلق للدلالة على ذلك الموقف الذى يدرك فيه الفاعل كشاغل لمركز أن توقعاته هى نفس توقعات المجموعة بالنسبة له. (الكاتبة).

(٢) أنظر: فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص ٢٥٨.

إلا إذا كانت مطيعة لزوجها، وتحت سيادته، ومنقادة إليه، كما لا ترضى عن الرجل إلا إذا كان مسيطرا على زوجته، وسيدا لها.

المرأة فى المجتمع المصرى الحديث: نظرة عامة

إذا حاولنا أن نلقى مزيدا من الضوء على ما حدث من تغير على دور المرأة المصرية، ومكانتها ومركزها فى العصر الحديث، لابد أن نحدد - ابتداء - المدى الزمنى لمفهوم كلمة «العصر الحديث»، وقد قصرناه على السنوات التى مرت منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن. وقد رأينا أن خير وسيلة لإيضاح عملية التغيير الشامل الذى حدث بالنسبة للمرأة المصرية فى هذه السنوات الطويلة، أن نقسمها من حيث مكوناتها إلى حقب تمكننا من تتبع إيقاع التغير ومساره، وأبرز المسئولات عنه، والمؤثرات فيه. ولما كانت قضية المرأة ترتبط إلى درجة كبيرة بالتغير الجذرى فى النظام الاقتصادى من حيث تشغيل النساء فى شتى المجالات، وفى نطاق واسع فإنه لابد من القول بادئ ذى بدء أن نمو الصناعة فى مصر لم يأخذ شكل ثورة صناعية أو انقلاب صناعى كذلك الذى حدث فى إنجلترا مثلا، فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وانما كان بالتدريج البطيء أحيانا والسريع نسبيا أحيانا أخرى كما حدث فى الخمسينيات والستينيات من سنوات ثورة ٢٣ يوليو. وعلى الرغم من ذلك فإن النمو الصناعى فى مصر وبخاصة فى إطار سياسة التصنيع التى أخذت بها الدولة بعد سنوات قليلة من بدء الثورة سنة ١٩٥٢، كانت له كثير من الآثار المماثلة لتلك التى ظهرت فى كثير من الدول الأوربية التى حدث فيها الانقلاب الصناعى، وذلك الانقلاب الذى نجم عنه أهم ظاهرة اجتماعية فى العصر الحديث وهى ظاهرة خروج المرأة وبخاصة الأم إلى العمل، لأن عملها خارج بيتها لم يعفها من أداء دورها الرئيسى فى الأسرة، بل أنه أضاف إلى هذا الدور دورا هاما، هو دور التكسب من العمل، الذى كان من قبل وقفا على الذكور وحدهم دون الإناث. وقد واكب هذه الظاهرة ظاهرة أخرى أشد أثرا فى تطوير قضية تحرير المرأة، تلك هى تعليمها فى مختلف مراحل التعليم وتحررها الفكرى بالتدريج.

ولقد كانت هذه الظواهر الثلاث وهى تعلمها وتحريرها واشتغالها هى المسئولة عما صار يعرف «بالانقلاب النسوي»، الذى امتاز به القرن العشرون، والذى ظهرت آثاره واضحة للعيان فى كل مكان. ومما لاشك فيه أن تعليم المرأة فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعة قوية؛ ذلك لأنه أوجد عند المرأة وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها، ودورها فى المجتمع بعامة، وفى الأسرة بخاصة.

وقد ترتب على تحرير المرأة، تخلصها تدريجيا وبدرجات متفاوتة من سيطرة الرجل وسلطان التقاليد، والحرمان السياسى الذى كان مفروضا عليها، كما ترتب عليه أيضا تشغيلها فى مختلف المهن المتخصصة، سواء ما كان منها صناعيا بكل أشكاله وتفنيناته، أو زراعيا بمختلف صوره، أو تربويا، أو طبيا، أو تشريعيا، أو تنفيذيا، أو قضائيا، أو غير ذلك من المهن التى كان يعتقد أنها وقف على الرجل وحده.

وقد كان ذلك فى الوقت نفسه مصاحبا لظاهرة الحد من الفروق الطبقية، لأن التعليم أتيح أول ما أتيح لبنات الطبقات المتوسطة ثم الراقية. وما أن انتشر تعليم الفتيات بين هاتين الطبقتين حتى انتشرت من بعد ذلك ظاهرة اشتغالهن بشتى المهن خارج بيوتهن.

ونجم عن ذلك أن الفجوة التى كانت تفصلهن عن فتيات الطبقة الدنيا العاملات، أخذت تضيق شيئا فشيئا على مر السنين. وذلك للتفاعل الاجتماعى الحادث فى المجتمع الجديد، الذى دفع بكل من الطبقة الدنيا من جهة والطبقتين العليا والوسطى من جهة أخرى، إلى التقارب إلى درجة كبيرة فى مستوى وسيط هو مستوى الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا المتطلعة الواعية؛ ذلك لأنه لا يمكن إنكار أن التقدم الاجتماعى الاقتصادى الحديث فى كل المجتمعات المتقدمة، قد أدخل على الطبقة الوسطى والطبقة العليا، مظاهر معينة، كانت لحقب كثيرة تعد من خصائص الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا وحدها، ومن بين هذه الخصائص اشتغال نساء الطبقة الوسطى بالوظائف الكاسبة، أى التى تدر دخلا منتظما ذا قيمة يعتمد عليه، وذلك نتيجة ضعف ثم تلاشى ظاهرة توريث المرأة دخلا ثابتا من أرض زراعية، أو عقار، أو استثمار مال معين. وهى ظاهرة كانت شائعة إن لم

تكن عامة، بين أسر الطبقتين العليا والوسطى[1]. وهكذا حل محل ظاهرة تأمين مستقبل المرأة على هذا النحو تعليمها، فى مختلف مراحل التعليم وتوظيفها، وقد أصبح هذا النظام الجديد من الأنظمة الشائعة فى النسق الاجتماعى الشامل فى المجتمع المصرى الحديث.

أما تحرير المرأة الذى تمثل فى مساواتها بالرجل فيما يتعلق بممارسة حق الانتخاب فقد كان ثمرة تعليمها وخروجها للعمل واشتغالها بشتى الوظائف.

ومما يلفت النظر أن ما حدث من تغير نتيجة خروج المرأة المصرية المتعلمة المتخصصة الواعية من بيتها للعمل فى مختلف ميادين الإنتاج والخدمات يشبه ما حدث للمرأة فى المجتمع الغربى الحديث، ولكن مع تفاوت فى الدرجة والشدة.

وفيما يلى عرض تاريخى لقضية تحرير المرأة، ودورها فى بلورة كفاحها وذاتيتها. ولكى يكون هذا العرض واضحا، قسمناه إلى حقب يشتمل كل منها على عدة فترات لكل منها خصائصها من حيث ما بذل فيها من كفاح فى سبيل قضية تحرير المرأة المصرية، وآثار ذلك فى تطويرها ودفع عجلة مسيرتها لتحقيق أهدافها.

الحقبة الأولى: (١٨٧٠ - ١٩١٨)

تقع هذه الحقبة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وربما تعد فجر الدعوة لتحرير المرأة المصرية، وفتح ملف جديد لقضيتها فى العصر الحديث، ولقد قسمناها تبعا لنوع الجهود التى بذلت فيها إلى فترتين، الأولى فترة نيابة الرجال، والثانية فترة استمرار نيابة الرجال، مع ظهور أول بادرة نسائية.

الفترة الأولى (١٨٧٠ - ١٩٠٥) نيابة الرجال:

يمكن تحديد هذه الفترة بأنها الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد كان دور المرأة المصرية فيها دورا سلبيا، أما الرجال وهم الممثلون فى شخصيات رفاعة رافع الطهطاوي[2] ومحمد عبده[3] فكانوا أول من رفعوا لواء تحرير المرأة؛ولذلك

(١) انظر: حسن الساعاتي، **علم الاجتماع الصناعي**، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) ولد سنة ١٨٠١م وتوفى سنة ١٨٧٧م.

(٣) ولد سنة ١٨٤٩ وتوفى سنة ١٩٠٥ م.

أطلقنا على هذه الفترة السلبية، أو فترة نيابة الرجال للمدافعة عن حقوق النساء فى مصر.

وكانت صورة المرأة فى هذه الفترة، هى صورة الأم التى تهتم بشئون البيت، ورعاية الزوج والأطفال، كما كانت سيدة المنزل المحجبة التى يعولها زوجها، ويتكفل بمطالبها، ويجنبها الخروج، ولو لشراء لوازمها الشخصية، أمل كل فتاة ومثلها الأعلى، ويكفى أنه كان من أرفع آيات التكريم للمرأة أن يشار إليها حينئذ بأنها **«السيدة المصونة والجوهرة المكنونة»**. وفى إطار هذه التقاليد والقيم، كان الجهل، والأمية والحجاب والتوارى عن أنشطة المجتمع، حال الأغلبية العظمى من النساء والفتيات.

أما من أتيحت لهن فرص الذهاب إلى المدارس، فكن أقلية، كانت أغلبيتهن من بنات الطبقة المحدودة الدخل، اللاتى أقبلن على التعليم الحكومى الموجود حينئذ والذى انحصر فى عدد محدود من المدارس الأولية والابتدائية، ومدارس إعداد المعلمات، والممرضات بغية تعلم مهنة شريفة تساعدهن على كسب العيش. ولذلك كانت أولى الوظائف التى عملت فيها المرأة المصرية هى مهنة التوليد والتمريض ثم مهنة التدريس.

وكانت الأسر التى تقدر العلم وتنتمى للطبقتين الوسطى والثرية، قليلة العدد. وكانت تتحرج من تعليم بناتها فى مدارس الحكومة، التى ارتبطت بالإعداد للعمل، وكسب العيش. ولذلك فضلت تعليمهن، إما فى المنازل على إيدى مدرسات خصوصيات أجنبيات، أو فى مدارس الجاليات والإرساليات الأجنبية، التى أنشىء منها عدد قليل فى بعض مدن القطر الرئيسية. وكانت هذه المدارس تعنى بنشر الثقافة الأجنبية الخاصة كما كانت تهتم بتعليم الفتاة المواد النسوية تمشيا مع القيم السائدة حينئذ، والتى كانت تؤكد إعداد البنت لتكون أما، وسيدة بيت نافعة.

غير أن هذه الأوضاع، وتلك القيم المحافظة التى كانت تستحسن الحجاب، وتستهجن الخروج للعلم، والعمل، لم تظل طويلا على ثبوتها، بل اخذت تتزعزع من جذورها بفضل ما كان يتردد فى جو المجتمع من صدى للصيحات المتكررة،

التى كان قد أطلقها رواد الفكر المتحرر، ودعاة التجديد والإصلاح، وفى مقدمتهم **رفاعة رافع الطهطاوي**، الذى عبر عن آرائه التحررية فى كتابيه (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز)، و (المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين)، ونادى فى كتابة الأول برفع سن الزواج إلى خمس وعشرين سنة حتى يمكن للمرأة أن تتعلم [١] ونادى فى كتابه «المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين» بوجوب تعليم الفتاة، وبين عدم تعارض هذا التعليم مع التشريعات الإسلامية[٢] وقال فى هذا الصدد «ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا، لحسن معاشرة الأزواج، فتتعلم البنات القراءة، والكتابة والحساب ونحو ذلك فإن هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا، ويجعلهن بالمعارف أهلا، ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأي، فيعظمن فى قلوبهن، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش، مما يتيح من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها، وليمكن المرأة عند اقتضاء الحال، أن تتعاطى من الأشغال والأعمال، ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها، وطاقتها، فكل ما تطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه ان يشغل النساء عن البطالة، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل، وقلوبهن بالأهواء، وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة ما لا يليق، ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال، فهى مذمة عظيمة فى حق النساء.[٣]

ثم جاء بعده **الشيخ محمد عبده** الذى وصل إلى منصب مفتى الديار المصرية، والذى دعا إلى ضرورة تعليم المرأة، وتحسين ظروفها الاجتماعية واعتبر ذلك أمرا جوهريا فى برنامج النهوض بالمجتمع، وأيد آراؤه بيان مركز المرأة الممتاز فى الإسلام[٤].

---

(١) راجع ذلك فى رفاعة الطهطاوي، **تخليص الإبريز فى تلخيص باريز**، طبعة وزارة الإرشاد ٥٨.

(٢) انظر: محمد على حافظ، وزينب محرز، تعليم الفتاة فى الجمهورية العربية المتحدة ص ٢١.

(٣) انظر: عبد الرحمن الرافعي، **تاريخ الحركة القومية، وتطور نظام الحكم فى مصر، عصر محمد علي**، الجزء الثالث ص ٤٩٣، ٤٩٥.

(٤) انظر: مجد الدين حفنى ناصف، **تحرير المرأة فى الاسلام**، ص ٣٦.

الفترة الثانية (١٩٠٦ - ١٩١٨) استمرار فترة نيابة الرجال مع ظهور أول بادرة نسائية:

لم يتوقف دفاع الرجل عن المرأة بنهاية القرن التاسع عشر، وانما امتد فى القرن العشرين بمجيء قاسم أمين[(١)]، الذى جدد دعوة كل من رفاعة رافع الطهطاوى والشيخ محمد عبده، ووسع نطاقها، حتى أنه ليعد بحق الرائد الأول ذا الجهد المثمر فى حركة تحرير المرأة المصرية فى ذلك الحين. فقد ناضل من أجل قضيتها نضالا مريرا، ونشر كتابيه «تحرير المرأة» و «المرأة الجديدة» ودافع فيهما عن تعليم البنات وتحريرهن من رق الجهل، وشقاء الحجاب مبينا أن النساء والرجال فى المجتمع شقان لا يتعارضان، ونصفان متكاملان، وأن بقاء النساء فى الجهل معناه تعطيل لإنتاج نصف المجموع. بل للمجموع كله، وأن المرأة هى أم الرجل، وأم الجيل القادم بأكمله رجالا ونساء. كما دعا بشدة إلى الأخذ بأيدى النساء وإعدادهن ليشتغلن مثل الغربيات بالعلوم والفنون الجميلة، والآداب، والتجارة، والصناعة، ومختلف الأعمال لينتجن بقدر ما يستهلكن، وليستطعن كسب معاشهن بدلا من بقائهن عالة على الرجال وليسهمن أيضا فى ازدياد الثروة العامة لوطنهن[(٢)].

وتتميز هذه الفترة بظهور أول بادرة نسائية للدفاع عن حقوق المرأة متمثلة فى الكاتبة الاجتماعية والشاعرة ملك حفنى ناصف التى اشتهرت باسم «باحثة البادية» فهى تعد بحق واضعة الحجر الأساسى للنهضة النسائية فى مصر. وقد استفادت هذه السيدة بالجهود التى بذلها رواد تحرير المرأة من الرجال الذين أشرنا إليهم، وفى مقدمتهم جهود قاسم أمين.

وقد كانت ملك حفنى ناصف تمتاز بثقافتها العربية العريضة، وإجادتها فى الوقت ذاته اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وسعة اطلاعها على كثير مما كتب فى الموضوعات الاجتماعية [(٣)] ولم تكن باحثة البادية أول كاتبة فحسب، بل كانت

---

(١) ولد قاسم أمين، سنة ١٨٦٥ وتوفى سنة ١٩٠٨.

(٢) انظر قاسم أمين، تحرير المرأة، ص ١٩، ٢٠، ٥٦-٩٢ وانظر أيضا قاسم أمين، المرأة الجديدة، ص ٣٢-٤٢ و ١٥٦.

(٣) كان ذلك بفضل شقيقها مجد الدين حفنى ناصف، الذى ربما كان أول مصرى متخصص فى الدراسات الاجتماعية فى مدرسة العلوم الاجتماعية العليا فى باريس بعد تخرجه من السربون فى العقد الثانى من القرن العشرين.

أيضا أول خطيبة جمعت النساء، وخطبت فيهن لتوعيتهن، وحثهن على المطالبة بحقوقهن، وكانت تنادى بالتعليم الإلزامى فى المرحلة الأولي، وفتح آفاق العلم أمام الفتاة، ومساواتها بالفتى، كما كانت تناشد الرجال أن يعزفوا عن الأساليب الرجعية، والتزمت فى معاملة نسائهم، حتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية.

الحقبة الثانية (١٩١٩ - ١٩٥٥)

وتقع هذه الحقبة فيما بين ثورة ١٩١٩ وظهور رائدات التحرر حتى انتخاب أول مجلس أمة بعض أعضائه من النساء وتنقسم هذه الحقبة إلى فترتين:

الفترة الأولى: (١٩١٩ - ١٩٤٥) ظهور رائدات التحرر

هذه الفترة التى تبدأ منذ ثورة ١٩١٩، وتنتهى بالحرب العالمية الثانية يمكن أن نطلق عليها فترة الإعداد، وتكوين القدوات والمثل الشخصية. فلأول مرة تنفرد النساء بحمل لواء الدفاع عن أنفسهن وينطلقن بعد ذلك فى هذا المجال مكونات رائدات التحرر النسوي.

فبعد وفاة باحثة البادية سنة ١٩١٨، خلفتها **هدى شعراوى** [١] التى حملت الشعلة وتزعمت النهضة النسائية إلى أن توفيت سنة ١٩٤٧. وكانت هدى شعراوى تنادى بتعليم المرأه ومساواتها بالرجل، وبخاصة فى الحقوق السياسية، وإتاحة الفرصة لها لكى تعمل وتؤدى واجبها نحو الوطن، كما كانت ترى «أن الاستقلال السياسي لا يقوم ولا يؤمن عليه إلا بالاستقلال الاقتصادي» [٢] ولقد عززت قولها بالعمل، فأنشأت أول مصنع للفخار والزجاج الراقيين فى روض الفرج بالقاهرة، ونادت بترويج الصناعات الوطنية النافعة، وشجعت الجمعيات النسائية الموجودة حينئذ على تعليم الفتاة نسج السجاد، وأشغال الحياكة والتطريز، وهكذا يتقن مهنة تدر عليهن الكسب، فضلا عن شغل أوقات فراغهن بطريقة نافعة.

وكانت مصر تجتاز بعد الحرب العالمية الأولى، محنتها الكبرى، وتصارع من أجل الحصول على الاستقلال وكانت هذه المحنة هى الفرصة الأولى التى

---

(١) هدى شعراوى ولدت سنة ١٨٧٩ وتوفيت سنة ١٩٤٧

(٢) مجد الدين حفنى ناصف، المصدر السابق، ص ٨٢.

استطاعت المرأة المصرية أن تظهر فيها كفاءتها، وتثبت قدرتها على الإسهام فى حل مشكلات وطنها جنبا الى جنب مع الرجل، وبدرجة لا تقل عنه، ففى ثورة ١٩١٩ ظهرت النساء لأول مرة فى مظاهرات كبيرة يحملن راية الجهاد ويشتركن مع الرجال فى عمل المتاريس، وقطع طرق المواصلات وينادين بمقاطعة المستعمرين. عندئذ وضحت معالم الحركة النسائية وقوى شأنها، وكسبت قضية المرأة تأييدا كبيرا، وأخذت تجتذب اهتمام كثير من رجال الفكر والسياسة، ونخص بالذكر منهم سعد زغلول، الذى كان يرى «أن التربية السياسية للنساء يجب أن تعدها الشعوب كأول دور من أدوار الحضارة[1] والذى خطب فى وفد من النساء الوطنيات فى أعقاب حصول البلاد على استقلالها، قائلا: «إننى من أنصار تحرير المرأة، ومن المقتنعين به لأنه بغير هذا التحرير لا نستطيع بلوغ غايتنا، ويقينى هذا ليس وليد اليوم، بل هو قديم العهد. فقد شاركت منذ أمد بعيد، صديقى المرحوم قاسم أمين أفكاره التى ضمنها كتابه الذى أهداه إلى (المرأة الجديدة)، فضلا عن أن الدور الذى قامت به المرأة المصرية فى حركتنا الوطنية، كان عظيما ونافعا. فاستمررن إذن فى العمل الذى بدأتن فيه وأنا ضامن لكن النجاح التام»[2].

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر المجاهدة صفية زغلول[3] زوجة الزعيم سعد زغلول، فقد شاركت سعدا فى كفاحه الوطنى وكانت له نعم الزوجة المخلصة، ونعم الصاحب المعين. وقد خلفت سعدا فى إذكاء روح الأمة وشحذ عزائمها بعد نفيه، مما أرغم المستعمرين على السماح لها أن تذهب حيث تشاء بعد أن كانوا يأبون عليها الذهاب إلى سعد فى منفاه وقد أبت أن تغادر أرض الوطن.

وقد قامت صفية زغلول بدور كبير فى نشر الوعى بين أبناء الشعب، وبين النساء خاصة. وكان بيتها «بيت الأمة» معقلا من معاقل الوطنية وسميت «أم المصريين» لمواقفها الوطنية الرائعة بجانب زوجها الزعيم العظيم.

وهكذا، وبفضل ما أتاحته ظروف البلاد السياسية، ونشاط الحركة القومية فيها من فرص العمل الوطنى الجرىء، استطاعت المرأة أن تطلق إمكاناتها وتثبت

(١) المصدر نفسه ص ٣٧، ٣٨.

(٢) المصدر نفسه. المكان نفسه.

(٣) ولدت سنة ١٨٧٨ وتوفيت سنة ١٩٤٦.

كفاءتهـا ونجاحها وكان من آثار ذلك أن زادت ثقـتها بنفسـها وأدركت أنها لا تقل شأنا عن المرأة الغربية فى النزول إلى معترك الحياة. كما كان من آثار ذلك أيضا أن المجتمع بدأ يغير نظرته الرجعية نحوها، ويعترف بأهمية جهودها وقدرتها فى تقدم البلاد، مما شجع الدولة بعد أن نالت أولى مراحل استقلالها سنة ١٩٢٣، على أن توليـها عنايتـها، وتحـسن إعدادها للعـمل، وتتـيح لها مـزيدا من فرص التـعليم المختلفة. وأخذ المعنيون بشـئون التعليم يتوسعون نسبيـا فى نشر المدارس المخصصة لها فى المراحل الأولية، والابتدائية والثانوية.

هذا،وقد تبلورت الحركة النسائية فى أواخر الربع الأول من القرن العشرين، فى تأسيس جمعـية الاتحاد النسائى المصرى فى مارس ١٩٢٣ برئـاسة السيدة هدى شعراوى التى نجحت فى جعل هذه الجمعيـة منذ نشأتها، فرعا من الاتحاد النسائى الدولي. وقد انتخبت هدى شعـراوى وكيلة للاتحاد النسائى الدولي، وظلت تشغل هذا المركز حيث كان يتجدد انتخابها له كل سنة، إلى أن توفيت.(١)

وكان أهم مطالب الاتحاد النسائى منذ نشأته مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية والمدنية لتستطيع أن تسـهم بمواهبها الخاصة فى التشريع، إصلاح الأحوال الاجتمـاعية والأخلاقية والاقـتصادية وبخاصة مـا كان منها متصـلا بشئون المرأة، والطفل والأسرة. وعلى أثر تكوين الاتحـاد النسائى أخذت تنضم إليه كـثيرات من سيدات المجتمع المتطوعات لـلخدمة الاجتماعية، وأعمال البر، والمهـتمات بقضية المرأة وتحريرها، مما دفع الحركة النسائية دفعة قوية نحو تحقيق أهدافها.

وقد تميزت أواخر هذه الفترة أى الربع الثانى من القرن العشرين، بتطور كبير وإن كان بطيئـا فى بدايته، فى الاتجاه التعليمى لصـالح المرأة، وتقبل فكرة إعدادها إعدادا مناسبا يهيئها للخروج للعمل، والاشتراك جنبا إلى جنب مع الرجل فى بناء مستـقبل الوطن. وأخذت معـالم هذا التطور تظهر بالتدريج فى التـوسع فى نشر مدارس البنات الأولـية، والابتدائيـة، والثانوية، وكـذلك فى إنشاء المعاهـد الفنية ومعاهد المعلمـات المتوسطة والعالية. ولقـد كانت نقطة التحول البـارزة فى حركة تحرير المرأة، وتغيير نظرة المجتمع إليها تغييرا جذريا، قبول الفتيات لطلب العلم فى

---

(١) الاتحاد النسائى المصري، موجز سجل من أعمال جمعية الاتحـاد النسائى المصرى من سنة ١٩٢٣ - ١٩٦١، القاهرة، ١٩٦١.

أول جامعة حكومية رسمية (جامعة القاهرة حاليا)، ابتداء من سنة ١٩٢٨، حيث، قبلت كلية العلوم ٨ طالبات، وفى سنة ١٩٢٩ قبلت كلية الآداب ٤ طالبات وقبلت كلية الطب ٥ طالبات، وتلتها كلية الحقوق فقبلت طالبة واحدة سنة ١٩٣٠، ثم كلية التجارة التى قبلت طالبة واحدة كذلك سنة ١٩٣١[1] ولم يكن مستغربا كثيرا وقتئذ أن تدخل الطالبات هذه الكليات، وبخاصة كلية الآداب التى كانت تؤهلهن لمهنة التعليم. لكن الذى كان يدعو للغرابة حقا، هو دخول الطالبات كليتى الهندسة والزراعة سنة ١٩٤٥ ليخرجن مهندسات وزراعيات. هذا، وقد حظيت الفتاة بنصيب من التعليم الجامعى أكبر عندما فتحت جامعة الاسكندرية فى سنة ١٩٤٢.

الفترة الثانية: (١٩٤٦ - ١٩٥٥) الرعيل الأول من النساء المتطورات

فى هذه الفترة التى بدأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وامتدت حتى سنة ١٩٥٥، زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى لصالح المرأه، وأرسلت دفعات قليلة فى بعثات دراسية إلى الخارج، وعدن يحملن أرقى الشهادات فى تخصصات شتى فى نفس الوقت الذى أتيح فيه للدفعات القليلة الأولى من الفتيات الالتحاق بالجامعة.

وأصبحت هؤلاء وهؤلاء، من قادة الرأى فى أماكن عملهن، كما أصبحن طلائع طيبة للمرأة المتطورة. وقد كان لنجاح الرعيل الأول من الجامعيات اللائى تخرجن فى مصر، والمبعوثات اللاتى أتممن دراستهن فى الخارج، أكبر الأثر فى تشجيع الفتيات على الإقبال على التعليم العالي، اقتداء بهن، كما حفز هذا النجاح فى الوقت نفسه اهتمام المسئولين، وشجعهم على السير بخطى أكثر سرعة، فى مزيد من التوسع فى تعليم الفتاة فى جميع المراحل، وإتاحة الفرصة لها لتخوض غمار الحياة الاجتماعية والعمل فى مختلف المجالات، لا فى ميادين الآداب والفنون فحسب بل فى ميادين العلوم البحتة، والعلوم التطبيقية على وجه الخصوص. وأصبحت الفتاة أوفر حظا من التعليم الجامعى بإنشاء جامعة عين شمس ١٩٥٠.

(١) انظر كريمة السعيد، تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة، المؤتمر الأول للجامعيات العربيات، اتحاد الجامعيات اللبنانيات من ٥-٨ مارس سنة ١٩٦٤ بحث مكتوب بالرونيو.

ومما هو جدير بالذكر فى هذه الفترة، ذلك الأثر القوى الذى نجم عن الحرب العالمية الثانية، والذى ظهر واضحا فى زيادة انفتاح المجتمع المصري، الذى تركزت فيه قوات أجنبية كبيرة، من بينها مجندات من النساء، من جنسيات مختلفة لمساعدة المجندين فى شتى ميادين القتال، بخاصة فى العلمين على مقربة من الإسكندرية وفى شمال أفريقية. ولقد شجعت هذه الظروف غير العادية كثيرات من النساء على الاشتغال فى مجالات الخدمات الشخصية التى تزايدت زيادة هائلة فى فترة الرواج الكبير أثناء الحرب، وفى السنوات القليلة التى تلتها. فبينما بلغ عدد المشتغلات فى الخدمات الشخصية فى التعداد العام للسكان لسنة ١٩٣٧، ٥٨,٦٢٧ أنثى، بلغ عددهن فى التعداد العام للسكان لسنة ١٩٤٧، ٢,٥٨٨,٢٣٥ أنثى، أما فى المهن المختلفة الأخرى، فبعد أن كان مجموع المشتغلات ٣٦,٢٩٧ أنثى فى سنة ١٩٠٧، أصبح ١٦١,٨٨٠ أنثى فى سنة ١٩٤٧ أى أنه زاد على المجموع الأصلى بمقدار ٣٤٥٪.

الحقبة الثالثة: (١٩٥٦ - ١٩٧٥)

وتمتد هذه الحقبة من سنة **١٩٥٦** وهى سنة إعلان الدستور الجديد، بعد قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢، حتى سنة **١٩٧٥**، التى وقع عليها الاختيار لتكون **«عام المرأة العالمي»**. وقد قسمنا هذه الحقبة إلى ثلاث فترات أساسية.

الفترة الاولى: (١٩٥٦ - ١٩٦٥) طلائع القيادات الشعبية من النساء وظهور أول قيادة رسمية:

تحقيقا لمبدأ إقامة عدالة اجتماعية بين الجنسين، وهو أحد المبادىء الستة فى دليل عمل الثورة المصرية ١٩٥٢، نص فى **الدستور الجديد**، الذى أعلن فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦، على منح المرأة حقوقا سياسية أسوة بالرجل[1]، وبذلك استطاعت المرأة أن تدلى بصوتها فى الاستفتاءات على رئاسة الجمهورية وعلى الدستور، وفى الانتخابات العامة لمجلس الأمة، وكذلك انتخابات الاتحاد الاشتراكي، صار لها الحق فى ترشيح نفسها لمجلس الأمة، وفى مجالس ولجان أخرى شعبية.

(١) انظر «دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦» «الموسوعة العربية للدساتير العالمية، مجلس الأمة، القاهرة، ١٩٦٦، المادتان ٣١، ٦١.

هذا، وقد فازت فى انتخابات مجلس الأمة لأول مرة فى عام ١٩٥٥ سيدتان[1] هما **راوية عطية وأمينة شكرى** ثم بعد ذلك زاد عدد النساء الأعضاء فى مجلس الأمة، فى الانتخابات التالية سنة ١٩٦٤، وفازت ثمانى سيدات دفعة واحدة بالعضوية وهن نوال عامر، وألفت كامل، مفيدة عبد الرحمن، وزهرة رجب، وكريمة العروسي، وعائشة محمد حسين، وفاطمة دياب (فلاحة)، وبثينة الطويل. وكان لهن الفضل فى الدفاع عن قضية المرأة ورعايتها، وتوجيهها الوجهة الصحيحة. وبخاصة فيما يتعلق بتعديل قانون الأحوال الشخصية.

كما أولت الثورة أيضا، وتحقيقا للمبدأ نفسه وهو إقامة عدالة اجتماعية، تعليم الفتاة وإعدادها للعمل، عناية فاقت كل ما كان قد بذل فى السنوات العديدة السابقة على قيامها. وأن مبادرة الثورة بتعميم مجانية التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية قد أتاح فرصة التعليم لآلاف الفتيات اللاتى كانت ظروف أسرهن الاقتصادية لا تسمح لهن بمواصلة التعليم.

وقد نجم عن ذلك إقبال شديد على مواصلة تعليم الفتيات، بعد إتمام المرحلة الابتدائية، وهى مرحلة التعليم الإلزامي، ولقد ظهرت نتائج هذا الإجراء فى إحصاء التعليمات فى التعداد العام للسكان ١٩٦٠. وتبين منه أن عدد المتعلمات فى ازدياد مطرد بشكل ملحوظ، وبخاصة أولئك الحاصلات على شهادات، والتى تراوحت الزيادة العشر سنوية فى مجموعهن ما بين ١٥٠٪ و ٣٦٢٪ ما بين سنة ١٩٢٧، وسنة ١٩٦٠.

ثم اعلنت الدولة مجانية التعليم فى الجامعات قبيل بداية العام الجامعى فى خريف ١٩٦٢، وكان لهذا الإجراء أثر فعال فى اشتداد إقبال الشباب من الجنسين على التعليم الجامعي، كما نتج عنه تزايد نسبة أعداد المتخرجات، سواء من الجامعات أو المعاهد العليا تزايدا كبيرا عن السنوات السابقة على هذا الإجراء.

أما التوسع فى توظيف المرأة، والذى ترتب عليه خروجها للعمل بشكل لافت عما كان لديه من قبل، قد بدأ مع حركة التمصير فى الميدان الاقتصادى

---

(١) نود أن نلفت النظر إلى أن النيابة الشعبية الأولى للمرأة فى مصر المعاصرة بدأت فى المدينتين الأوليين والكبيرتين فى مصر وهما القاهرة والإسكندرية. وأنه كما سنرى فيما بعد لا يزال تركيز النيابة الشعبية للمرأة فى هاتين المدينتين بعينهما.

بخاصة، والميادين الأخرى بعامة، وذلك فى سنة ١٩٥٧. كما عمل على توسيع مجال توظف المرأة أيضا البدء فى تنفيذ خطة السنوات الخمس الأولى التى وضعتها وزارة الصناعة سنة ١٩٥٧. أما التوسع الكبير اللافت فى توظيفها، فقد جاء على أثر إعلان قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ ولقد شجع الرواج الاقتصادى والتنمية السريعة اللذان حدثا بعد ذلك، أولى الأمر على الالتزام سنويا ابتداء من صيف ١٩٦٤، بتعيين كل المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا، فى الوظائف الكثيرة الجديدة التى أوجدها تنفيذ الخطة الخمسية الشاملة الأولى فى سنة ١٩٦٠.

وفى الستينيات من هذا القرن بدأ نجم المرأة المصرية الجديدة فى التألق وظهرت قيادات نسائية فى كثير من الميادين المتخصصة. ففى الأدب نذكر على سبيل المثال د. بنت الشاطئ، ود. سهير القلماوي، د. لطيفة الزيات، وفى التعليم ظهرت كريمة السعيد، وفى الصحافة أمينة السعيد، وإنجى أفلاطون، وسكينة السادات، وفى الموسيقى رتيبة الحفني، وفى المسرح سميحة أيوب وسناء جميل، وفى السينما كانت هناك أسماء لامعة مثل فاتن حمامة، وفى مجال الغناء سطع شمس السيدة أم كلثوم سفيرة للفن العربى فقامت بدور قيادى فى الفن والسياسة معا.

وكان اختيار سيدة لمنصب وزيرة لأول مرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ حدثا بارزا فى تاريخ النهضة النسائية فى مصر، ودليلا أكيدا على اعتراف الثورة بكفاءة المرأة، والدعم الكامل لمركزها ومكانتها فى المجتمع. وكان لاختيارها من صفوف سلك هيئة التدريس - الهيئة العلمية العليا فى مصر - بالجامعة مغزى كبير. وكان أهم ما قامت به الدكتورة حكمت أبو زيد التى كانت أول سيدة فى تاريخ مصر، تتقلد أمور وزارة الشئون الاجتماعية تنظيم مؤتمرين هامين أولهما خاص بشئون المرأة العاملة وعقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٣، وثانيهما مؤتمر الأسرة الذى عقد فى ديسمبر ١٩٦٤.

وقد جعلت السيدة الوزيرة، التى كانت تخرج للعمل الأكاديمي، شئون المرأة العاملة ومشكلاتها، وبخاصة حاجتها إلى دور حضانة ترعى أطفالها - على رأس قائمة مشروعاتها للإسهام فى التنمية الاجتماعية السريعة.

الفترة الثانية: (١٩٦٦ - ١٩٧٠) الركود والنكسة والاكتئاب الاجتماعى والسياسى.

تميزت هذه الفترة بأنها كانت فترة تقشف اقتصادي، أعقبها النكسة العسكرية سنة ١٩٦٧، التى تلتها فترة من الاكتئاب الاجتماعى والسياسي، وانعكس كل ذلك على نشاط المرأة المصرية الحديثة فبدأ راكدا فاترا غير فعال.

الفترة الثالثة: (١٩٧١ - ١٩٧٥) التصحيح والصحوة والفعالية على المستوى الشعبى والرسمي.

فى هذه الفترة الثالثة، التى تبدأ بعام ١٩٧١، الذى اشتهر بأنه عام التصحيح السياسى والاجتماعى أعيد انتخاب أعضاء مجلس الشعب وفازت فى هذا الانتخاب مفيدة عبد الرحمن، وألفت كامل، وفايدة كامل، وكريمة العروسى وزهرة رجب ورزقة البلش، وفاطمة عنان، ونوال عامر التى فارت فى الانتخابات التكميلية، ثم الدكتورة ليلى تكلا التى فارت بالتعيين. . وواكب فترة الصحوة هذه وعى دافق بقيمة المرأة وكيانها، كما بدأ فى تلك الانتخابات، التى ظهرت فيها المرأة بشكل واضح.

كما ظهر فيها احترام الشعب للمرأة الفنانة المتعلمة فى شخص السيدة فايدة كامل، واختياره لها نائبة عنه فى مجلس الشعب، وهو دليل مجسم على بداية الاحترام الشعبى للمرأة فى ذاتها ولذاتها.

وظهرت فى هذه الفترة أيضا القيادة النسائية الرسمية للمرة الثانية ممثلة فى اختيار الدكتورة عائشة راتب وزيرة للشئون الاجتماعية، وهى أيضا قد اختيرت من سلك هيئة التدريس بالجامعة تصحيحا لمسار النهضةالحديثة للمرأة المصرية العاملة بإعادة الثقة فيها واختيارها لمنصب الوزيرة فى ١٧ يناير ١٩٧٢. وبذلك كانت الدكتورة عائشة راتب ثانى وزيرة فى تاريخ الحركة النسائية فى مصر الحديثة.

وقد اهتمت الدكتورة عائشة راتب، بتعديل قانون الأحوال الشخصية، وذلك بإعداد مشروع قانون لازال فى مرحلة التجهيز قبل عرضه على مجلس الشعب. كما نفذت مشروعا آخر للاستفادة من جهود الشباب من الجنسين فى الخدمة العامة، كان محوره الأصلى تكليف الشابات من خريجات الجامعات والمعاهد العليا بهذه الخدمة.

التحليل الاجتماعى لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث:

يهمنا ونحن نتتبع دور المرأة المصرية فى المجتمع المصرى الحديث، أن نضع فى اعتبارنا ذلك التداخل الكبير بين الثقافة الريفية التقليدية، وبين الثقافة الحضرية الحديثة مع ما بين الثقافتين من اختلاف واضح يصل أحيانا إلى درجة التناقض. وتأسيسا على ذلك فإن الدور الذى ترسمه الثقافة المصرية الحديثة للمرأة المصرية دور مختلط المعالم، أو لنقل أنه جماع أدوار يصعب التوفيق بينها، والدليل على ذلك أن المرأة المتعلمة التى تخرج للعمل أصبحت تقوم بعدة أدوار فى المجتمع. فهى تؤدى دورها الجديد فى الإسهام فى أى ميدان من ميادين الإنتاج أو الخدمات خارج بيتها، مدفوعة إلى ذلك بالقيم الاجتماعية الجديدة التى تقدر تعليم الفتاة وبالتالى اشتغالها، وبرغبة الشباب أنفسهم فى شريكة حياة متعلمة ذات دخل[١] وبالفلسفة الاشتراكية التى تبنتها الدولة والتى تجعل إسهام المرأة المصرية فى عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية السريعة لتحقيق مجتمع الرفاهية ضرورة اجتماعية، ورغبة الفتاة نفسها فى أن تعيش فى مستوى اجتماعى واقتصادى كريم بعجز الزوج الشاب عن توفيره لها بإمكاناته المادية المحدودة. وهى تؤدى فضلا عن ذلك أدوارها التقليدية فى الأسرة كزوجة، وأم ومدبرة بيت. وبخاصة أن الشباب المصرى رغم تعلمه لا يزال يفضل أن تكون شريكة حياته ماهرة فى أعمال المنزل[٢].

وأصبحت المرأة العاملة متزوجة كانت أم غير متزوجة، منجبة كانت أم غير منجبة تحمل عبئا آخر، ذلك العبء منحصر فى الاهتمام بالدور الثاني، أى العمل خارج البيت والنظر إليه نظرة جد واهتمام رسمى بحت، ويطالبها بالتزامات محددة لا يمكن التهاون فيها، حتى لا تترك العمل الذى صار فى تنظيمه الحديث مرتبط بعضه ببعض أشد الارتباط ويتوقف بعضه على بعض بشكل دقيق.

وتجازى المرأة التى تقصر فى أداء دورها فى عملها بإنقاص علاواتها أو تأخيرها أو حرمانها منها، أو تفويت دورها فى الترقية. وهذه جزاءات تكرهها

(١) انظر سامية الساعاتى، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، ص٣٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٣١٢.

العاملة تماما كـما يكرهها الرجل[1]، ولذلك أحيـانا ما نجد الكثـيرات **ينظرن إلى دورهن الثاني وهو العمل خـارج البيت بنظرة أعلى من نظرتهن إلى دورهن الأول والأساسي، وهو رعايـة شئونهن** وشئون باقى **أفراد الأسرة**، وتدبير الـبيت، وربما كـان ذلك لأن **دور المرأة فى بيـتهـا دور غير رسـمي**، ولا تطالب فـيه بالتـزامات محددة، لأن التنظيم الاجتماعى داخل البيت، يعكس التنظيم الاجتماعى فى محل العمل، غير رسمي، وتسوده علاقات حـميمة ويغلب فيه التسامح، ويمكن تلافى أى نوع من التقصير من جانب الزوجة عن طريق الخدمة المنزلية، أو بواسطة الزوج إذا كان مـتعاونا، والأطفـال إن كانوا فى سن تمكنهم من المسـاعدة، أو عن طريق الهيئات الكثيـرة الموجودة فى المجتمع. **وللمرأة العاملة دور نحو نفسـها كمشتغلة تخرج كل يوم للعمل**، ولابد أن تبدو فى مظهر لائـق يكسبها احتـرام من تتعامل معهم فى عملها، وحب زوجها وتقديره الذى يتعامل بدوره مع مشتغلات مهتمات بأنفسهن. ولذلك أصبحت المرأة العاملة تعتمد اعـتمادا كليا على خدمات التجميل والخياطات ومحلات الملابس الجاهزة لمعاونتها فى أداء دورها نحو نفسها، ويستنفذ ذلك من ميزانية الاسرة نسبة لا يستهان بها.

ولئن كان العمل قد جعل المرأة المصرية الحـديثة تشعر بالرضا النفسي، وربما يمكن أن نسميه الاعتداد الاقتصـادى بالذات، إلا أنها تشعر بإرهاق شديد لكثرة ما تتحمله من أعباء ومسئوليات داخل البيت وخارجه.

ورغم أن كل شاب وفـتاة قد أصـبحا يفـضلان الاستقـلال فى معيـشتهـما الزوجية فى مسكن خـاص بهما، حتى لا يتدخل فى شئونهـما أحد من الأقارب، فإنهما سرعان ما يحتاجان إلى من يعاونهما فى رعاية ما ينجبان من أطفال. وإقامة قريبـة معـهما، سـواء كانت من ناحـية الزوجة أو من ناحـية الزوج، أمـر مرهق للأعصـاب من جراء ما يحـدثه التعامل المسـتمر من احـتكاك يؤدى إلى مشكلات متنوعة تنـعكس على الزوجين، ومما يزيد هذا الاحتكاك حدة أن قيم ثقـافتنا تنمى فى النفوس ميلا إلى التدخل فى شئون الآخرين، فضلا عن اختلاف وجهتى النظر فى تربية الأطفال بين الجيلين. جيل الزوجين، وجـيل القريبة. وعلى أية حال فإن مساعدة القريبات ليست متوافرة فى كل أسرة.

---

(١) انظر حسن الساعاتى، المصدر السابق، ص١٨٤.

أما اعتماد الأم التى تخرج للعمل على الخادمات، فمشكلة أخرى بذاتها، فجذب العمالة فى المصانع قد قلل المعروض فى السوق للخدمة المنزلية، كما أن كثيرات من الأمهات المتعلمات اللاتى يخرجن للعمل لا يثقن بطريقة الخادمات فى رعاية الأطفال، ولا يأمنَّ لهن فى القيام بهذه المهمة الدقيقة، التى تقدرها المرأة المتعلمة، وتعرف مبلغ تأثيرها فى شخصية الطفل، وبخاصة فى طفولته المبكرة، هذا فضلا عن مشكلات الخدم التقليدية المعروفة التى تجعل بعض النساء يستغنين عن خدماتهن ألبتة[1].

أما عن إفادة المرأة المصرية الحديثة من التكنولوجيا المتقدمة، فى تدبير شئون بيتها كاستعمال مواقد البوتاجاز، والغسالات الكهربائية، والسخانات، والمكانس الكهربائية وأدوات الطهو العاجل التى تجعل الحياة جد ميسرة، فإن ذلك فى نطاق ضيق، وفى بعض الأدوات دون البعض الآخر. وقد وجد من بحث مشكلات المرأة العاملة، الذى قدم فى مؤتمر شئون المرأة العاملة، فى نوفمبر ١٩٦٢، أن الغالبية العظمى من عينة البحث لا تعتمد على هذه الأجهزة والأدوات، كما اتضح من البحث أيضا، أنه كلما زاد الأجر الشهرى للمرأة العاملة زاد استعمالها إياها. وقد ظهر أن موقد البوتاجاز هو أكثر الأجهزة استخداما إذ وجد أن اللاتى يستخدمنه ٩١٪ من مجموع اللاتى يستخدمن الأدوات والأجهزة الحديثة.

وربما يرجع ذلك إلى أن الدولة لا تزال تعد هذه الأجهزة من الكماليات، ولذلك فإنها تفرض عليها رسوما جمركية عالية، هذا بالإضافة إلى أن المرأة المصرية الحديثة مازالت تعانى من نقص إمكانيات الطهو السريع التى تمكنها من إعداد وجبات مغذية وشهية فى دقائق، مثل التى تتوافر لزميلتها فى المجتمع الغربى الحديث، مما يوفر على المرأة العاملة كثيرا من الوقت والجهد.

---

(١) تنوى الكاتبة أن تخصص بحثا مستقلا عن هذه المشكلة الهامة، وتقترح ابتداء أن تنشئ الدولة مدرسة متخصصة لتخريج أمينات (شغالات) من الفتيات اللاتى يعددن إعدادا خاصا، وتنظيم تشغيلهن بواسطة الدولة عن طريق مكاتب للتشغيل فى وزارة العمل.

الظواهر الاجتماعية المصاحبة لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث:

١ - الاغتراب:

والاغتراب ببساطة هو أن يفقد الإنسان ذاته، أى أن يصبح غريبا عنها(١).

والمرأة فى المجتمع المصـرى الحديث تعانى اغترابا شديدا، فهى تنتقل اليوم من عهد التبعية الضعيفة المسحوقة المقهورة إلى عهد التبعية المبدعة القوية. وهى فى حيرة وأزمة إزاء خلط الأدوار الذى وضعت فيه. فمطلوب منها أن تستخدم أسلحة التحرير والقـوة نفسها التى يستخدمـها الرجل، فتتعلم، وتعمل، وتـستقل وتحمى نفسهـا، أى أن المرأة فى المجتمع المصرى الحديث قد أصـبح لها ثلاث مراحل من النضج الحسي، والنضج التعليمي، ثم النضج الاقتصادي، وهذا جعلها تتشابه مع الشاب ومع ذلك، فالمتوقع منها هو التبعية لزوجها وطاعته، والرضوخ لرغباته.

إن المرأة المصرية الحـديثة، تقع فى حيـرة شديدة، واغتراب أشـد لأنها تجد نفسها مطالبة بالشيء وعكسه، فمطلوب منها أن تتـعلم وتكسب وتستقل، ولكن إذا أبدت أية ممارسة حقيقية لهذا الاستقلال فإنها تعاقب أشد عقوبة. (٢)

إنها تتـعلم وتقضى سنـوات وسنوات فى التحـصيل، لأنها مطالـبة بذلك، ولكنها فى الوقت نفسه تقيم كزميلتها من حيث تفضيل كونها صغيرة السن، فرغم عملها وتفوقهـا وعملها، إلا أنها تتزوج أحيانا بلا إرادة ولا اختـيار قبل أن يفوتها القطار، وتصبح «بايرة»، لأنها تقلق على نفسـها قلق المرأة الريفية التى لم تتعلم. إنها تعـمل مثل الرجل تماما ولكنهـا مازالت تقيم من حيث هى جـسد ناقص، أو عاجز أو فاتن(٣).

إنها ليست واثقة نتيجة لذلك - مما تريده فعلا، فهى من ناحية تريد الحصول على تعليم عال، ووظيفة مـتخصصة بعد الجامعة. ومن نـاحية أخرى، فهى تريد

---

(١) انتهى ماركس إلى هذا المعنى للاغتراب فى كتابه مخطوطات اقتصادية وفلسفية عام ١٨٤٤، حين كان بصدد الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الرأسمالى (الكاتبة).

(٢) انظر محمد شعلان، المرأة والثورة، الطليعة، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤، ١٩٧٥، ص ١٨٤.

(٣) انظر فرج أحمد فرج، المرأة والرجل والمجتمع، المصدر نفسه، ص ١٨٨.

الزوج وتكوين الأسرة فى مقبل عمرها. وهى حين تتلقى قدرا عاليا من التعليم، مساويا للقدر الذى تلقاه زوجها فإنها تملك عناصر من القوة تتلخص في:

١- الدرجة العلمية.

٢- الوظيفة.

٣- المرتب الشهري.

وهذه العناصر الثلاثة الهامة أخذت فى تضييق هوة القوة التى بينها وبين زوجها، فهى لا تملك حينئذ إلا النظر إليه كرفيق وصاحب وصديق، أكثر من كونه سيدا ورئيسا، لكن ذلك يمثل تحديدا للمعايير التقليدية المختلطة إلى حد كبير بالمعايير الحديثة فى الثقافة السائدة فى المدينة التى لا تزال فيها عناصر ريفية كثيرة.

٢- صراع الأدوار:

يطلق هذا الاصطلاح ليعنى تلك الصراعات التى يدركها الأفراد المتعرضون لها، كما أنه يعنى ذلك الموقف الذى يدرك فيه شاغل مركز معين، أو لاعب دور بعينه أنه مواجه بتوقعات متباينة، ويرى «سبيجل» أن هذا الاصطلاح يشير إلى **ذلك الموقف الذى تقع فيه الأنا فى اختيار صعب أو مستحيل بين دورين مختلفين.**

كل هذه التعريفات لصراع الأدوار تنطبق على المرأة المصرية فى المجتمع الحديث. فهى تدرك أنها فى صراع، كما انها مواجهة بتوقعات متباينة من زوجها، ومن رؤسائها فى العمل، كما أنها تقع فى اختيار صعب بين دورها كامرأة، وزوجة وعاملة.

والأدوار ما هى إلا نتاج لتفاعل اجتماعى سابق، لكنها توجه التفاعل الحالي، وفى المجتمع التقليدي، حيث التغير الاجتماعى فى أدنى حدوده كان الجيل الأصغر يتقبل توقعات الجيل الأكبر دون مناقشة. أما فى المجتمع الحديث، فإن كثيرا من الناس غير قادرين على العيش وفق متطلبات أدوارهم، فقد تغيرت مواقف الحياة بشكل يجعل كثيرا من أنماط الدور غير ملائمة.

ولقد كانت واجبات وحقوق المرأة فى المجتمع التقليدى واضحة التحديد فى الماضي، أما اليوم فقد اعتراها كثير من الخلط، مما يجعل الكثير من النساء فى مصر اليوم غير متأكدات من أدوارهن الفعلية.

إن المرأة المصرية الحديثة هى التى تواجه ذلك القدر الكبير من الخلط والفوضى فيما يتعلق بدورها، وذلك يعود، ببساطة إلى أن دورها هو الذى تغير تغيرا جذريا إذا ما قورن بدور الرجل. فلم يعد للمرأة المصرية الحديثة كزوجة وأم ذلك الاستمرار المحدد فى الدور، فبالإضافة إلى أدوارها التقليدية، أصبح يتوقع منها أن تكون، صديقة لزوجها، وخليلة ومستشارة، ومربية أطفال.

لذلك فإن المرأة المصرية الحديثة تواجه صراعا فى الأدوار يمكن إرجاعه إلى ما يأتي:

(أ) تعدد الأدوار: فأمام الكثير من الأدوار المتاحة للمرأة، وأكثرها أدوار متعارضة، تجد المرأة نفسها عاجزة عن اختيار دور واحد فقط واتباعه. ففى المجتمع المصرى التقليدى كانت هناك أدوار أنثوية قليلة نسبيا، ومتفق عليها. أما اليوم فإن تعدد أدوار المرأة المصرية كرفيقة، وشريكة، وكاسبة، وأم، تؤدى إلى زيادة مشكلة التكيف لديها.

(ب) الخلط فى تعريف الأدوار: ذلك أن التعريفات الجديدة لدور المرأة، وبخاصة كزوجة وأم، تتطلب تكيفا مصاحبا من الرجل، وبخاصة الزوج والأب. وقد تشكل هذه التعريفات تهديدا لأنا الرجل، وخصوصا أن أنماط الدور التى بقيت قرونا طويلة، كانت مبنية على قوة الذكر القانونية، والاجتماعية، والاقتصادية، ولما أصبحت المرأة تمارس قوة أكبر من تلك التى كانت لها من قبل[1]، أضحى الكثير من النساء والرجال يجدون مشقة فى تقبل الأدوار الجديدة.

وترى الكاتبة أن إزالة الاغتراب، وحل صراع الأدوار، إنما يتحقق إذا ما توافرت الاعتبارات الآتية:

١- وضع حدود واضحة لأدوار كل من الجنسين، أى المرأه والرجل، حدود تعرف المرأة فيها قيمة أدوارها وأن من هذه الأدوار ما يكون فوق قدرة الرجل. وعلى الرجل أيضا ان يعرف فيها أهمية أدواره ومسئولياته.

---

(١) يتجلى ذلك فى الأسرة الحضرية فى حدوث نوع من الاتفاق الودى والالتقاء فى منتصف الطريق فيكون اتخاذ قرار نهائي. هو نتاج قرار الزوجين معا فى أغلب الأحيان.

انظر سامية الساعاتي، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢ ص ٥٧٩.

٢- غرس أيدولوجية جديدة فى النظر إلى كل من الرجل والمرأة، وتنشئة كل من الولد والبنت تنشئة متساوية فى القيم والوعي، وتعريفهما بأن تحرير المرأة ما هو إلا الوجه الآخر من تحرير الرجل، فبقدر ما **تتحرر المرأة من عبوديتها للرجل بقدر ما يتحرر الإنسان فى كليهما، فتحرير المرأة إنما هو تحرير الإنسان من أجل الإنسان.**

٣- تضييق هوة القوة بين الرجل والمرأة، فى إطار من التسامح والحنان، بمعنى ألا تكون علاقات الدور بين الرجل والمرأة علاقة السيد بالمسود، ولا المسيطر بالمسيطر عليه، وإنما تتكامل الأدوار بينهما، ليلعب كل منهما دوره المحدد، المكمل للآخر فى الحياة.

وينسجم مع هذا الخط الفكرى ذلك الرأى الذى أخذ يتردد فى المجتمع المصرى الحديث بأن الرجل والمرأة وجهان لشيء واحد، فقدر المرأة الوجه الآخر لقدر الرجل، كما أن قدر الرجل هو الوجه الآخر لقدر المرأة، **وأن قضية تحرير المرأة تتضمن تحول القضية من أن المرأة جسد فحسب إلى الطور الذى تصبح فيه «المرأة إنسان له جسد»** والمرأة لا تصبح كذلك، ولا يكتسب جسدها بعده الإنسانى العميق إلا بقدر ما يحقق المجتمع تطورا إنسانيا عميقا، وبقدر ما يصبح الرجل انسانا كذلك. وحركة تحرير المرأة وجه من وجوه تحرير الإنسان، تحرير فكره كما فى الحركات **الديمقراطية، وتحرير عمله كما فى الحركات العمالية والاشتراكية، وتحرير جسده كما فى الحركات النسائية**(١).

٤- أن المرأة والرجل ما هما إلا وجها الإرادة الإنسانية، وكما قيل أن وراء كل عظيم امرأة، فكذلك يصدق القول أن وراء كل عظيمة رجلا، يشد أزرها، ويعينها على الكفاح، فأينما كان هناك سعى وكفاح، وإبداع، فلابد من تعاون بين المرأة والرجل.

---

(١) فرج أحمد فرج، المصدر السابق، ص ١٨٨.

المراجع

مراجع عامة:

١- الاتحاد النسائى المصري، موجز سجل عن أعمال جمعيه آلاتحاد النسائى المصرى من سنة ١٩٢٣ - ١٩٦١، القاهرة، ١٩٦١.

٢- مجلس الأمة، دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥١ «الموسوعة العربية للدساتير العالمية»، القاهرة، ١٩٦٦.

كتب ودوريات:

٣- حسن الساعاتي، **علم الاجتماع الصناعي**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١.

٤- رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز فى تلخيص باريز**، طبعة وزارة الإرشاد، ١٩٥٨.

٥- سامية الساعاتي، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي**، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٣.

٦- سامية الساعاتي، **الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية**، دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢.

٧- صبحى تادرس قريصة ومحمد على الليثي، **مقدمة فى الاقتصاد**، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ١٩٦٩.

٨- عبد الرحمن الرافعي، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر**، عصر محمد علي، الجزء الثالث، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٥١.

٩- **فرج أحمد فرج**، المرأة والرجل والمجتمع، **مجلة الطليعة**، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤، ١٩٧٥.

١٠- فوزية دياب، **القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميدانى لبعض العادات** الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٦. ط١

١١- قاسم أمين، **تحرير المرأة**، مكتبة الرقي، القاهرة، ١٨٩٩ .

١٢- قاسم أمين، **المرأة الجديدة**، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩١١ .

١٣- كريمة السعيد، تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة، **المؤتمر الأول** للجامعيات العربيات، اتحاد الجامعيات اللبنانيات من ٥ - ٨ مارس سنة ١٩٦٤ .

١٤- محمد شعلان، المرأة والثورة، **مجلة الطليعة**، السنة الحادية عشر، عدد ٢٤-١٩٧٥ .

١٥- محمد على حافظ وزينب محرز، **تعليم الفتاة فى الجمهورية العربية المتحدة**، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٦٥ .

١٦- مجد الدين حفنى ناصف، **تحرير المرأة فى الاسلام**، مطبعة أبى الهول، القاهرة ١٩٢٤ .

Gross, N, Mc Eachern, A, W., Mason, W.S. "Explorations in Role Analysis, Studies of the School Superintendency Role Wiley, New york, 1957.

الفصل الثالث



دور المرأة كربة بيت(*)
« سوسيولوجيا العمل المنزلى »
عرض وتحليل ونقد

تمهيد:

تأتى أهمية هذا الكتاب من أنه يفرض قراءته على كل مهتم بقضايا تحرير المرأة، فهو دراسة تتحدى النظر التقليدية إلى العمل المنزلى التى تحاول دائما التقليل من شأنه، كما أنها تتحدى إهمال السوسيولوجيين، وبخاصة المتخصصين فى علم الاجتماع الأسرى وعلم اجتماع العمل، للعمل المنزلي، كموضوع علمى جاد.

فقد دأب الباحثون فى علم الاجتماع الأسرى على دراسة المرأة إما من خلال دورها الأسرى كزوجة وأم، أو من خلال دورها كعاملة خارج المنزل بدون أجر لم يحظ بدراسة جادة أو منظمة.

ويتناول هذا الكتاب قضية هامة وهى موقف علم الاجتماع التقليدى من المرأة. كما يعرض بين دفتيه موضوعات جديرة بالاهتمام مثل: نظرة النساء للعمل المنزلي، ونظرتهن لأنفسهن كربات بيوت، ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلي، واتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهى وتنظيف.. إلخ. ومدة العمل المنزلى الذى تقوم به المرأة محسوبا بالأسبوع. ومدى أهمية المعايير والروتين كطريقة للتأكد من أن العمل المنزلى يتم على وجه أكمل، وكأسلوب على مكافأة الذات.

(*) انظر سامية حسن الساعاتي، **سوسيولوجيا العمل المنزلي**، عرض وتحليل ونقد، عالم الفكر، المجلد الثامن العدد الثالث، ١٩٨٣.

The Sociology of House work, Martin Robertson, 1974، Ann Oakley

وقد حاولت الباحثة فى هذا الكتاب وضع تقييم يكشف عما إذا كانت النساء راضيات أو غير راضيات عن العمل المنزلي، ومدى الاختلاف فى درجات الرضا بينهن. كما يتناول الكتاب أيضا الطبقة الاجتماعية، وصلتها بالعمل المنزلى والرضا عنه، كما تناقش الباحثة تأثير التنشئة الاجتماعية على الحياة المنزلية للمرأة، وتحلل تقسيم العمل بين ربة البيت وزوجها فى المنزل، وتتفحص صعوبات الجمع بين العمل المنزلي، وواجبات الأمومة.

وعماد هذا الكتاب دراسة قامت بها الباحثة « آن أوكلى » فى سنة ١٩٧١ على أربعين زوجة من ربات البيوت الإنجليزيات الحضريات.

والباحثة توجه كتابها إلى فئتين مختلفتين من القراء، الأولى تتألف من المتخصصين فى علم الاجتماع، والثانية تتضمن هؤلاء الذين يهتمون بموقف ربة البيت اهتماما خاصا دون أن تكون لديهم معرفة بعلم الاجتماع، لذلك فقد جاء الكتاب فى جملته جليا واضحا.

وعلى الرغم من أن العينة التى ينصب عليها هذا الكتاب، كانت عينة إنجليزية، فإن وضع الزوجة ربة المنزل فيها، ينطبق فى أساسياته على الزوجات فى مجتمعات صناعية معاصرة أخرى.

وإذا ما تناولنا العمل المنزلى على سبيل المثال، وهو عمل أساسى للمرأة، فسنجد أن إغفال هذا الموضوع من ميدانى علم الاجتماع الأسري، واجتماعيات العمل، إنما ينقل بوضوح انطباعا محرفا ومشوها عن موقف المرأة الحقيقي. فليس هناك اهتمام بمدى أهمية العمل المنزلى للمرأة، لا من حيث مقدار الوقت الذى تنفقه فى الأنشطة المنزلية والعناية بالمنزل من جهة، ولا من حيث المعنى الذاتى للعمل المنزلى بالنسبة للمرأة الذى يمكن أن يختلف باختلاف المواقع الاجتماعية، والطبقة من جهة أخرى.

وفى الفصل الأول ترى المؤلفة تناقضا بين وجود المرأة فى علم الاجتماع ووجودها الاجتماعى الحقيقي، كما يعد أيضا دليلا على فشل علم الاجتماع فى أخذ خبرات المرأة وواقع حياتها فى الاعتبار. ويمكن أن يوحى ذلك بإعادة تصنيف موضوعات علم الاجتماع وميادينه بحيث تمثل كلا المنظورين الذكرى والأنثوى على السواء.

وتمضى المؤلفة إلى الفصل الثانى من الكتاب لتحلل العمل المنزلى بوجه عام، وتصف البحث الذى قامت به بوجه خاص. وترى أنه على الرغم من أن هناك ميلا، يتزايد فى السنين الحالية، إلى تقليل حدة الفروق النوعية بين الذكور والإناث فى عالم العمل والمهن والوظائف، فسيظل هناك دائما دور وظيفى أنثوى برمته وهو دور ربة البيت. وعلى الرغم من أنه ليس هناك قانون يمنع الرجال من القيام بهذه الوظيفة، إلا أن هناك ضغوطا اقتصادية واجتماعية وسيكولوجية تقف عائقا أمام الرجل، وتمنعه من الدخول فى رحاب هذه المهنة.

وتبدأ المؤلفة هذا الفصل بتعريف ربة البيت، ويرتكز هذا التعريف على مفهوم المسئولية، وعلى ذلك تكون ربة البيت هى الشخص المسئول وحده (دون الخادم المنزلى) عن معظم المهام المنزلية، أو عن الإشراف على الخادم المنزلى الذى يقوم بهذه المهام. وقد تكون ربة البيت متزوجة كما قد لا تكون، كما قد تكون عاملة خارج المنزل وقد لا تكون، وقد أفصح ذلك المسح الذى قام به « هنت » (Hunt) عن أن تسعة أعشار النساء من غير العاملات خارج منازلهن كن ربات بيوت متزوجات. كما كانت سبعة أعشار العاملات خارج منازلهن من ربات البيوت[1]. وعلى هذا لا يكون دور ربة البيت دورا أنثويا فقط، بل إنه يعد الدور

(١) تتفق هذه النتيجة مع نتائج توصلت إليها باحثات مصريات، جاء فيها ما يلي:

« يتضح مما سبق بالنسبة لتقسيم العمل الخاص بشئون المنزل بين الزوجين فى الأسرة الحضرية أن الزوجة العاملة فى معظم الحالات تقوم بعمل كل شيء يتعلق ببيتها بعد عودتها من عملها، وأنه ليس صحيحا ما يذهب إليه البعض من أن الأم المشتغلة لا تقوم بأى عمل منزلى فى بيتها، وقد تبين من استعراضنا لما سبق من الأعمال المنزلية، ومدى لمسنا لاضطلاع الزوجة بالمنصب الأكبر فى الغالبية العظمى من تلك الأعمال جميعا، وهذا على الرغم من وجود الخادمة فى الكثير من الأحيان ».

انظر سامية حسن الساعاتي، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٢، ص ٥٤١.

« ويتفق هذا مع ما وجدته « فوزية دياب » عند تقصيها النشاط المنزلى لعينة تبلغ الواحد والسبعين من الأمهات العاملات ومدى إسهامهن فى أعمال البيت. إذ تبين لها أن أغلبية الأمهات العاملات ونسبتهن ٦٤,٨٪ من مجموعهن يقمن بكل الأعمال فى البيت بعد عودتهن من العمل، وأن أقلية من هؤلاء الأمهات العاملات بنسبة ١٢,٧٪ من المجموع يقمن بالإشراف فقط على شئون البيت، بينما تقوم ٢٢,٥٪ من المجموع بالإشراف والاشتراك فى بعض الأعمال ».

انظر: فوزية دياب، دور الحضانة والمجتمع، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٧٠.

الوظيفى الرئيسى للمرأة فى عصرنا الحالي، لأن مسئولية إدارة المنزل هى مسئولية مشتركة بين معظم النساء البالغات.

ذلك إذن هو التبرير الأساسى لدراسة العمل المنزلي، فإنه يمثل الخبرة اليومية المتكررة فى حياة معظم النساء اللائى يكوّن إحصائيا قسما كبيرا بين السكان.

وتنتقل الباحثة بعد ذلك إلى وصف دراستها، التى تطلق عليها المسح الاستطلاعى الكشفي، والسبب فى هذه التسمية يرجع كما تقول الباحثة إلى ندرة البحوث والدراسات فى هذا الموضوع الذى صادف إهمالا بالغا فى علم الاجتماع.

وتبدأ بتعديد أهداف دراستها التى تجملها فى ثلاثة أهداف رئيسية، أولها يتضمن وصف موقف العمل المنزلي، واتجاهات ربة البيت نحو ذلك العمل، والثانى يتبلور فى فحص نماذج الرضا، وعدم الرضا عن العمل المنزلى فى علاقته بعدد من المتغيرات التى تتضمن الطبقة الاجتماعية، والتربية والتعليم، وتقسيم العمل فى الزواج والأجهزة والمعدات الفنية، ونماذج التفاعل الاجتماعي.. إلخ. أما الهدف الثالث والأخير فينحصر فى اقتراح الفروض الممكنة والموجهة نحو تفسير الفروق بين ربات البيوت فيما يختص باتجاهاتهن نحو العمل المنزلي، وموقف العمل المنزلى ذاته..

وقد تكونت العينة من أربعين من ربات البيوت الإنجليزيات والأيرلنديات اللائى تتراوح سنهن ما بين العشرين والثلاثين، أثناء إجراء الاستبار، وكن جميعا من الأمهات ولهن طفل واحد على الأقل عمره أقل من خمس سنوات، وقد تم اختيارهن من واقع التقارير الطبية لاثنين من الأطباء العموميين. وقد تم استبار أفراد العينة فى أوائل سنة ١٩٧١، وكان عماد البحث استبارا مقيدا باستبيان، وكانت تلك الاستبارات مسجلة على شرائط تظل مدة تصل إلى حوالى الساعتين فى المتوسط. وعلى أساس من اجابات الاستبارات قننت الباحثة مقياسا لقياس الرضا عن العمل المنزلى بدرجاته المختلفة، كما توصلت إلى اختبار مظاهر أخرى داخل موقف العمل المنزلى ذاته، وتشمل الرضا وعدم الرضا عن العمل المنزلى والعناية بالطفل، والزواج، والعمل الخارجى بأجر، كما كان هناك تقييم لدرجة توحد المرأة مع دور ربة البيت، وأهمية تحديد معايير للعمل المنزلى وروتينيته.

وترى الباحثة أن النتائج التى حصلت عليها من بحثها إنما تنطبق على مجتمع العينة فقط، لكنها تذهب أيضا إلى أنه ليس هناك من سبب يدعونا إلى القول بأن هذه العينة هى عينة غير ممثلة، وبخاصة أنه ليس هناك دليل على أن تلك التسجيلات لا تعكس الواقع.

وتمضى الباحثة فى وصف دراستها، فتقول إن نصف عدد النساء البالغ مجموعهن أربعين كن من الطبقة العاملة، أما نساء النصف الآخر فكن من الطبقة الوسطى.

أما الفصل الثالث فيعطينا فكرة واضحة عن صور العمل المنزلى وتبدؤه المؤلفة بعرض فكرتين نمطيتين سائدتين عن العمل المنزلى فى التفكير الشعبى المعاصر: الفكرة الأولى تذهب إلى أن ربة البيت عاملة مظلومة، تستعبد فى عمل محقر، كريه، بغيض، يتضمن بالضرورة إنكارا كبيرا للذات. أما الفكرة الثانية فترى أن العمل المنزلى يعطى فرصة غير محدودة للقيام بمجهودات خلاقة مبدعة. ولا تنظر هذه الفكرة إلى العمل المنزلى على أنه عمل بل على أنه صناعة منزلية يشكل فيها المنزل وزارة للمالية.

وقد ظهر من خلال فحص الأربعين استبارا، أن هناك مفهوما واضحا للعمل المنزلى كعمل قد بدأ يبزغ. فالنساء فى عينة البحث يخبرن العمل المنزلي، ويعرفنه على أنه عمل مماثل لذلك الذى يتطلبه أى موقف عمل، وقد ارتبطت ملاحظات هؤلاء النساء ارتباطا وثيقا بنتائج علم اجتماع العمل، فقد كان لمظاهر العمل المنزلي التى أطلق عليها أنها مشعبة أو غير مشعبة نظائر فى عالم المصنع، والمكتب. ويتأكد هذا التطابق بوجود ميل لدى النساء لمقارنة انعكاساتهن نحو العمل المنزلى بخبرتهن فى العمل خارج منازلهن.

وقد كانت هناك أسئلة تكشف عن إيجابيات العمل المنزلى وحسناته كما يفصح عن سلبياته ومساوئه. وقد تبلورت إيجابيات العمل، كما عبرت عنها الزوجات فى مظاهر كثيرة أهمها الاستقلال والذاتية، ووجود الأطفال، وتوفير ظروف العمل الحر، وعدم الاضطرار للخروج من المنزل، ووجود الزوج، وتوفير الحياة العائلية، وقد قصدت عينة الزوجات بالذاتية والاستقلال، التحرر من الرقابة

والقدرة على تحديد إيقاع العمل المنزلى وسرعته. وقد استخدمت حوالى نصف الزوجات المستبرات فى إجابتهن عن هذه الأسئلة عبارة **«إنك تكون رئيس نفسك» ليصفن شعورهن إزاء العمل المنزلي**. وقد احتوت إجابات الكثير من هذه الأسئلة على مقارنة عقدتها النساء بين العمل المنزلى والعمل الوظيفى خارج المنزل مثل:

«إنك إلى حد كبير تكونين سيدة نفسك. إنك تستطيعين أن تحددى ما تريدين أن تفعلى وما لا تريدين، إنه شيء مختلف عن الوجود فى عمل وظيفي، حيث يدق أحدهم الجرس، فتضطرين إلى الصعود أو الهبوط لتلبية طلبه، أو حيث تجدين نفسك مضطرة لإنجاز هذا العمل أو ذاك فى غضون نصف ساعة ».

وفى إجابة أخرى نجد تعبيرا آخر عن مظاهر الاستقلال والذاتية مثل:

« إن أعظم محاسن كونك ربة بيت، هو أنك لا تضطرين إلى الاستيقاظ مبكرا، والذهاب إلى العمل ».

وفى الحقيقة أن الذاتية والاستقلال فيما يتعلق بربة البيت هى أمر نظرى أكثر منه واقعى متحقق، فكونها رئيسة نفسها يفرض عليها واجبا، هو أنها لابد أن تنجز العمل المنزلى وتتأكد من أن كل شيء فى موضعه. ومسئولية العمل المنزلى هى مسئولية من جانب واحد فقط، والفشل فى تحملها، قد يكون له نتائج بعيدة المدى، وبخاصة على الزوج والأولاد.

أن حقيقة كون الإنسان رئيس نفسه يضيف إلى الضغوط السيكولوچية لأداء العمل المنزلى أكثر من كونه يخفف منها. وتوضح إحدى الزوجات ذلك بقولها:

« إن أسوأ شيء يتعلق بالعمل المنزلى هو أنك تضطرين لأدائه لمجرد أنك فى المنزل. وعلى الرغم من أنى أملك حرية الاختيار فى ألا أقوم به، فإنى أشعر أنى لا أستطيع، لأنه يجب أن أقوم به ».

وتصوره أخرى بقولها:

« ليس هناك أحد يمسك لى سوطا إذا لم أقم بالعمل المنزلى ولكنى أعرف، أننى إذا لم أفعل، فغدا سيكون على أن أقوم بضعف العمل، ففى الحقيقة إننى أقوم بإمساك السوط لنفسى ».

إن مسألة حرية العمل المنزلى يمكن اختزالها فى أنها حرية من، وليست حرية لفعل. إنها حرية ربة المنزل من الرقابة، لكنها ليست حرية لها لتختار ما تفعله من أنشطة.

وعندما سئلت الزوجات عن مساوىء العمل المنزلى تبلورت الإجابات بالترتيب فى **العمل المنزلى نفسه، والرتابة، والتكرار، والسأم، والمسئولية المنزلية المستمرة والعزلة والوحدة، وضرورة الانتهاء من العمل المنزلى والتقيد الشديد بالمنزل.**

وعندما طلب من الزوجات أن يقارن عملهن المنزلي، بعمل أزواجهن، كانت معظم الإجابات تشير إلى أنهن يعتقدن أنهن يعملن أكثر من أزواجهن، بينما ذهبت نسبة قليلة منهن إلى أن الزوج يعمل أكثر، أو أن هذه المسألة تتحدد بنوع الشخصية من جهة، ونوع العمل من جهة أخرى. وقد صورت إحدى الزوجات ذلك بقولها:

« لا شك أن ربات البيوت يعملن أكثر. إن زوجى يعود دائما من عمله، ليقول لي: **لقد جلسنا اليوم وتحدثنا فى كيت وكيت. أو لقد كان يوما مسليا فقد ضحكنا، وتسامرنا حول كذا من الموضوعات. أما أنا فلا أفعل ذلك، إنى لا أجلس لحظة** ».

وكثيرا ما يوصف العمل المنزلى بأنه « **عمل لا ينتهى** »، ويذهب البعض إلى أنه عمل أكثر إرهاقا من الناحية الجسمية، **من أى عمل آخر مأجور. وتذهب بعض السيدات** إلى القول بأنه يأخذ جهدا عاطفيا أكثر من أى عمل آخر،بالإضافة إلى الجهد الفيزيقي. وتشير بعض السيدات إلى طبيعة الأعمال المنزلية غير البناءة، كما يلفتن الأنظار، إلى الإحباط العاطفى الذى ينشأ عن كون إحساس ربة البيت بأنها مشدودة إلى طاحونة، أو ساقية، يتطلب منها أن تؤدى الفعل نفسه مرات ومرات.

والزوجات بوضعهن العمل المنزلى ضمن **الأعمال اليدوية، يجعلنه بذلك فى مرتبة عالية** من مراتب الأعمال. وقد كان هذا الدفاع عن العمل المنزلى ضرورى من جانب الزوجات، إزاء الإهمال السائد لهذا العمل، وإزاء النظر إلى ربة البيت على أنها مدبرة منزل تعمل بحريتها، ووفق ما يحلو لها.

وعندما سئلت الزوجات عن مشاعرهن إزاء كتابتهن لوظيفتهن كربات بيوت فى أية صحيفة أو أوراق رسمية. أجابت أكثر من نصف أفراد العينة بأنهن يستشعرن حرجا، ومشاعر بالأقلية نشأت من أن العمل المنزلى عمل أقل من غيره من الأعمال، وهن يعبرن عن ذلك بكتابتهن فى تلك الأوراق: « مجرد ربة بيت». إن هذه الكلمة مجرد ربة بيت أو ربة بيت فقط تعنى الكثير، أنها تصور مدى شعور ربة البيت بتقليل المجتمع من شأن هذا العمل مقارنا بالأعمال الأخرى، كما أن هذا يتضمن أيضا تقليلا من شأن أدوارها كزوجة وأم. وتصور إحدى أفراد عينة البحث هذه المشاعر أصدق تصوير حين تقول: « إنى أكره كلمة ربة بيت، وعندما يسألوننى من أنت ؟ وماذا تعملين ؟ وأجيب بأنى أم، ولى أولاد، وإننى زوجة، فإنهم يهزون رؤوسهم باستخفاف قائلين: أوه، مجرد ربة بيت إننى أتعجب... مجرد ربة بيت ! أشق مهنة فى العالم... ينظر إليها بهذه الطريقة ؟! ».

ويتبين مما سبق أن مسألة التصنيف المهنى أو الوظيفى مرتبطة ارتباطا وثيقا بصورة الذات، لأنها تعكس كيفية رؤية الزوجات لأنفسهن كربات بيوت، ولكن مهما كان مستوى توحد الزوجات الذاتى مع دور ربة البيت، فيكفى أن الفكرة السائدة عنه فى ثقافة المجتمع هو أنه عمل تافه وضيع، منخفض المكانة بالنسبة للأعمال الأخرى، وهذا ما يخلع عليه أوصافا معينة مثل العمل الممل، أو العمل التافه، وما يخلع على ربة البيت أوصافا مثل المملة، والغبية... إلخ، من الأوصاف السلبية وتصور أحد الزوجات ذلك بقولها:

« إنى أتحرج من كتابة ربة بيت على أية أوراق رسمية، إنى أفضل أن أكتب سكرتيرة مثلا أو أية وظيفة أخرى، فإن لها انعكاسا أحسن، إن معظم الزوجات ربات بيوت، وهذا يبدو رتيبا مملا. إنك لا تتوقع حينئذ إلا التنظيف، والأتربة، والطبخ ».

تنتقل الباحثة بعد ذلك إلى نقطة أخرى جديرة بالاهتمام وهى مسألة الخلط بين الأنشطة المختلفة التى يتضمنها العمل المنزلي، ومدى الحاجة إلى تحديدها، وتصنيفها. إن العمل المنزلى فى رأيها هو مجموعة من الأعمال غير المتجانسة التى

تتطلب مهارات متنوعة، وأنواعا مختلفة من النشاط، فمسح الأرضية يختلف عن الذهاب لشــراء بعض اللحــوم والفــاكــهة، وطهى وجــبــة يخــتلف عن غــسل الملابس. . . إلخ. وإطلاقنا الاسم نفسه على كل هذه الأعمــال أمر يتضمن إنكارنا لوجود اختلافات وفروق بينها. ففى الحقيقة توجد بين هذه الأعمال، أعمال أحب من الأخرى، وأعــمال أقل رتابة وبعثا على الملل، وأخــرى أكثر خلقا وإيجــابية، وهكذا. وجــدير بالذكــر أن كل عمل من الأعــمــال التى تقوم بــها ربة البــيت كــالطهي، وغــسل الملابس، وكــيــهــا، وتنظيف المنــزل يمكن أن يشكل دورا مــهنيــا مأجورا.

ومن تحليل المؤلفة للأعمال المنزلية المخــتلفة وجدت أن أهمها هي: التنظيف والتســوق، والطهي، وغسل الأطــباق، وغســيل الملابس، والكي. وقد كانت هناك أسئلة عن أحب هذه الأعمال إلى قلب ربات البيوت وعن أبغضها إليهن، كشفت الإجابات عن أن أبغض تلك الأعمال، كان كــى الملابس لأنه عمل مجهد رتيب، يتلوه العمل الخاص بغــسيل الأطباق لما فيه من قــذارة، وتكرار. أما تنظيف المنزل فأتى ترتيــبه الثالث من حيث كــراهية ربات البيوت له؛ ذلك لأنه عــمل متكرر لا ينتهي، كمــا أنه على العكس من عملية التسوق، عــمل يؤدى فى عزلة وصمت، فعندمــا تعمل المكنســة الكهربائيــة فإنها لا تســتطيع تبادل الحــديث مع الآخرين، بعكس ما يحدث لعــملية الطبخ والكي، فيمكن لربة البيت تأديتــها وهى تتحدث إلى صديقــة مثلا. وتأتى بعــد ذلك فى الترتيب الأعــمال الخاصــة بغسل الملابس والتســوق، والطهي. أما بالنسبــة لغسيل الملابس فــهو عمل أقل بغــضا إلى ربات البــيوت من غــسيل الأطبــاق، رغم أن كلا العــملين يتطلب إزالة القــاذروات من الأشياء.

ويعزى ذلك إلى أن هناك ارتباطــا شخصيا بالملابس. فالمــلابس التى تغسلها ربة البيت تنتــمى إلى زوجها أو أحد أبــنائها، أو إليها ذاتهــا. يضاف إلى ذلك أن وسائل الإعلام تركز على عملية الغسيل وتغلفها بهالة جميلة فى إعلاناتها التجارية عن المنظفات المختلفــة موحية إلى ربة المنزل بأن نقاء غسيلــها وبياض لونه هو أحد واجباتها الأساسية.

وجدير بالذكر أن استخدام الآلة بالنسبة لعمليتى غسيل الأطباق وغسيل الملابس، يقلب اتجاه ربة البيت إليهما من كره إلى تقبل، وقد لوحظ ذلك بالنسبة إلى الكثير من أفراد العينة [1].

أما التسوق، كدور من أدوار ربة البيت، فأمره مختلف، ذلك أنه دور أكثر اجتماعية، فهو يتطلب غيابا عن مقر عملها وهو المنزل، لذلك فقد ذكرت معظم الإجابات أن التسوق من الأعمال المحببة لأنه يتضمن خروجا من المنزل، ومقابلة للناس ونوعا من التغيير من جو المنزل. وقد ذكرت بعض السيدات أنهن لا يحتجن للخروج من المنزل يوميا للتسوق، لكنهن يفعلن ذلك لمجرد الخروج من المنزل، أو لإعطاء صغيرهن فرصة لنزهة قصيرة. ورغم هذه المزايا المرتبطة بالدور الاستهلاكى لربة البيت فإن هناك سلبيات لهذا الدور تتبلور فى المصاعب الفيزيقية. فاصطحاب أطفال أثناء عملية التسوق ترهق ربة البيت جسمانيا وعقليا، فإن الجمع بين عملية التسوق وبين رعاية طفل أو أكثر أثناءها يجعل اهتمام ربة البيت موزعا، ويقلل من كفاءتها كمشترية،كما أن الانتظار الطويل فى بعض المجمعات الاستهلاكية، أو المحلات أمر يبعث على الملل. ويلاحظ أن هناك فرقا بين نوعين من التسوق: تسوق بشكل جزئي، ويحدث يوميا تقريبا لشراء متفرقات بكميات قليلة، وتسوق آخر كلى يأخذ شكل التخزين ويحدث مرة أسبوعيا أو كل أسبوعين. وهذا النوع الأخير من التسوق هو الأكثر كراهية من جانب ربات البيوت لأنه يتطلب جهدا مضاعفا فى شرائه وتوصيله إلى المنزل، ولا شك أن وجود سيارة، وهو أمر لا يتوفر للكثيرات، يسهم فى التقليل من حدة كراهية هذا العمل.

أما العمل السادس من الأعمال المنزلية الرئيسية فهو الطهي، والذى اعتبرته جميع ربات البيوت اللائى تضمنتهن العينة أكثر الأنشطة المنزلية قربا إلى قلوبهن لأنه يمثل فى رأيهن فنا خلاقا، واستعراضا للقدرة والمهارة. ولا شك أن نظرة ربات البيوت للطهى على أنه عمل فنى خلاق، يمثل انعكاسا للفكرة الثقافية السائدة

---

(١) تتفق هذه النتيجة مع نتائج بحث مصري، تقول فيه صاحبته:

« إن الزوجات أنفهسن أصبحن يتضايقن من أداء الأعمال الخاصة بالغسيل، وغسيل الصحون بالطرق التقليدية لأنها تتضمن قدرا كبيرا من (المرمطة). ولكنهن يقبلن عليها كلما أصبحت آلية».

انظر: سامية حسن الساعاتي، المصدر السابق، ص ٥٤٣.

عنه، والتى تؤكدها وسائل الإعلام والإعــلانات، والمجلات النسائية، ودور النشر التى تخصص كتبا بـأكملها لهذا الفن. والملاحظ أن معظم التوجيهـات الثقافية فى هذا المجال والتى تتناول الطـهى بوصفه فنا، واستـعراض غضلات، لا ترشد ربة البيت إلى كـيفية صنع أكثر الوجبات غنى بالمواد الغـذائية المفيدة فى أقـصر وقت ممكن، قدر ما تعلمهـا كيف تزين الأكلات المختلفة وتجعلها شهـية. وهذه محاولة لنقل الطهى من كونه عـملا إلى كونه تسلية وقضـاء وقت، وتعكس تلك المحاولة مثلا واضحا على الإنكار الاجتماعى لاعتبار العمل المنزلى عملا بالمعنى الصحيح. ولكن إيجـابيات العـمل المنزلى الخاص بالطهى تفـسده سلـبيات منـها أن الأزواج يطلبون الطعـام فى أوقات محددة، وأن وقت طهى الطعام قد يتداخل مع الوقت المحدد لغسل الملابس أو تغيير الأسرة، أو إطعام الوليد أو الصغير. ومن السلبيات الأساسية لعملية الطهى **تلك المهمة الثقيلة التى لا تنتهى أبدا وهى التفكير الدائم فى السؤال الخالد: ماذا نأكل اليوم ؟.**

ويمكن أن نلخص فى آخر هذا الفـصل الإيجابيات المتصلة بالأعـمال المنزلية بعامة مرتبة حسب أهميتها فى نظر الزوجات، وهي: **التمكن من محادثة الآخرين أثناء العمل**، واعتدال المزاج أثناء أداء العمل المنزلي، ووجود وقت كاف لأدائه، وأن تكون هناك خلفية جيدة للعمل وذلك بتوفـر الأدوات الحديثة، ووجود مقدار كاف من المال للمتطلبـات المنزلية المختلفـة وتوفر التقـدير اللازم للعمل، أما السلبـيات المتـصلة بالعمل المنـزلي، فتـمركـزت حول الملل والـرتابة والتكرار، وعدم توافـر الأدوات المناسبـة لأداء الأعمال المنزليـة، وانحراف المزاج أثناء العمل، واعـتراض الأطفـال طريق ربة البيت أثناء أدائهـا لعملهـا، وعدم وجـود الوقت الكافى لأداء العمل، والعـزلة الاجتمـاعيـة، والاضطرار الدائم إلى التفكير فى الـعمل المنزلى وترتيباته.

مما سـبق يتضح لنا إذن صـدق مـا ذهبت إليه المؤلفـة من أن **ربات البيـوت ينظرن** إلى العمل المنزلى على أنه عمل يماثل غيره من أنواع الأعمال الأخرى. ومن تحليل ملاحظاتهن عن أحب مظاهر العمل المنزلي، وعن أبغضها بالنسبة إليهن تبين أن التحـرر من الرقابة كان على رأس الصفـات الإيجابية، أمـا العمل المنزلى ذاته فكان فى مـقدمـة السلبيـات التى ذكرناهـا. وقد عـرفن العمل المنزلى بأنه عـمل

«**حقيقى وشاق**»، وهى صفات أكـدنها ليجابهن بها تلك الأفكار النمطيـة الخاطئة السائدة فى ثقافتـهن، والتى تخلع على العمل المنزلى مكانة وقيمة منخفـضة. كما تبين من البـحث أيضا أنه بينمـا تتناول تلك الأفكار النمطية الخـاطئة الشـائعة فى الثقافة، العـمل المنزلى كنشاط منفرد، فإن ربات البيـوت ينظرن إليه على أنه عمل رئيسى يتضمن أعمالا وأنشطة فرعية منفصلة. **وظهر من البحث أن مشاعر الرضا أو عدم الرضا عن مختلف الأعمـال المنزلية تتأثر كثيرا بالظروف** التى تتم فيها هذه الأعمال والتى تتعلق بمدى توافر الأجهزة والأدوات الميسرة والمخففة.

وفى نهاية هذا الفصل يمكن القـول بأن الصورة التى رسمتهـا المؤلفة للعمل المنزلى ولربات البـيوت من خـلاله، من واقع النتـائج التى أسفـر عنها بحـثهـا، تتعـارض مع الصورة السائـدة عنه وعنهن فى الثقافـة، والتى تذهب إلى أن ربات البيوت يشكلن طبقة مرفهة، وأنهن لا يعملن شيئا طوال اليوم.

أما الفصل الرابع، فيتناول موضوعا هاما هو **العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والأعمـال المنزلية ومدى الـرضا أو عدم الرضـا عنها**. ومفهـوم الرضا عن العمل المنزلى فى هذا الفـصل مشـتق من مفـهوم الرضـا عن العمل المسـتخـدم فى علم الاجتماع الصناعي، وعلم اجتماع العمل فهو يمثل تقييما شاملا لدرجة الإيجابية أو السلبية التى تتناول بهـا ربات البيوت عملهن. وقد حـددت الباحثة مفهـوم الطبقة الاجتمـاعية على أسـاس مهنة الزوج، وهو مقيـاس تقليدي، وقد بررت البـاحثة اختيـار ذلك المحك التقليدى بأنه أكثر مـلاءمة فى المقارنة بين بحثـها وبين بحوث أخرى تناولت الموضوع نفسه، واتخذت ذلك المحك التقليدى أساسا للدراسة.

ومن النتائج الجديرة بالاهتـمام فى هذا الفصل أنه ليست هناك فروق طبـقية فى النوع وإنما فى الدرجـة فقط بـين الطبقـة العاملة والـطبقـة الوسطى من ربات البيوت، اللائى كـان لهن عمل خارجى قبل الزواج، فى تفضـيل العمل الوظيفى على العمل المنزلى على أساس أن العمل المنزلى يفتقـد المكافأة الاقتصادية، ويتميز بالانعزال ونقص الاعتراف الاجتماعى بالمسئوليات الملقاة على عاتق ربة البيت.

ومن أهم النتائج التى توصلت إليها البـاحثة، هو أنه ليست هناك فروق فى الطبقة الاجـتماعيـة بين الراضيات وغيـر الراضيات عن العمل المنزلي، فـقد كان الاتجاه السائد بين الغالبية العظمى من المستبرات فى عينة البحث هو عدم الرضا عن

العمل المنزلى سواء بين ربات البيوت من الطبقة العاملة أو من الطبقة الوسطى. أما من حيث اتجاه أفراد العينة نحو دور ربة البيت فقد كان هناك بعض الفروق الطبقية، وحيث كان اتجاه ربات البيوت من الطبقة العاملة بعامة أكثر إيجابية من مثيله بين ربات البيوت من الطبقة الوسطي. ومن هنا يتبدى أن ربات البيوت من الطبقة الوسطى أكثر ميلا لإدراك المكانة المنخفضة لدور ربة البيت من مثيلاتهن من الطبقة العاملة. ولذلك فإن الشكوى من تلك العبارة الشائعة: « مجرد ربة بيت »، هى أكثر ترددا بينهن منها بين نظيراتهن من الطبقة العاملة.

وقد يبدو فى النتائج السابقة شيئا من التناقض، ولكن هذا التناقض يزول إذا ما أدركنا أن المؤلفة تفرق بين المشاعر نحو العمل المنزلي، وبين الاتجاه نحو دور ربة البيت. فربما أحست المرأة بإيجابية وتقبل لدور ربة البيت، ولكنها فى الوقت نفسه تكره العمل المنزلي، كما أن عكس ذلك النموذج يمكن تواجده أيضا، فالمشاعر تجاه العمل المنزلى يتدخل فيها التعود على أداء هذه الأعمال والخبرة بها، أما اتجاهها نحو دور ربة البيت، فمسألة يتدخل فيها مفهومها عن ذاتها ومعايير الثقافة الفرعية التى تعيش فيها والخاصة بمظاهر سلوك الدور الأنثوي، وحيث تختلف اتجاهات المرأة نحو دور ربة البيت فى الطبقة العاملة عنها فى الطبقة المتوسطة، بينما لا توجد اختلافات بينهما فيما يتعلق بنشاط العمل المنزلي.

وفى الفصل الخامس تناقش المؤلفة ظروف العمل المنزلي، وتتناول فيه الفترات التى يستغرقها هذا العمل، والخلفية التكنولوجية التي يتم فيها. وقد تبين منه أن متوسط عدد ساعات العمل المنزلى لربات البيوت فى هذا البحث كان سبعا وسبعين ساعة أسبوعيا، وهو عدد يماثل تقريبا ضعف عدد ساعات العمل الأسبوعية للعامل الصناعي والذى يقدر بأربعين ساعة في المتوسط. كما تبين منه أن استخدام الأجهزة والأدوات المناسبة فى العمل قد يقلل من الشعور بعدم الرضا عن العمل المنزلى لكنه لا يحوله من عمل بغيض إلى عمل سار محبوب. كما ظهر أن بعض الصلات الاجتماعية لربة البيت قد تقلل أيضا من ذلك الشعور بعدم الرضا.

وفى الفصل السادس تلقى المؤلفة الضوء على المعايير المتعلقة بالعمل المنزلى والتى على أساسها تتبع ربة البيت أسلوبا معينا أو روتينا معينا فى أدائه. وقد كانت هناك اختلافات عديدة بين ربات البيوت فى عينة البحث بهذا الصدد، وحيث كانت بعضهن تضع لنفسها معايير صارمة فى أداء العمل المنزلي، حتى أنه يمكن تصنيفها باثولوجيا ضمن الحوازيات، بينما لا تتبع أخريات أسلوبا أو نظاما معينا فى أدائه. ولتحديد تلك المعايير وذلك الروتين وظائف هامة، **أولها** أنها وسيلة لتوحيد أعمال غير متجانسة تكون العمل المنزلى فى بناء وظيفى متماسك، **وثانيها** أنها دليل على أن العمل المنزلى عمل له معاييره وروتينه مثل أى عمل آخر، وهذا فى ذاته دفاع ضد من يقول أن المرأة فى المنزل لا تفعل شيئا، **وثالثها** أن فى تحديد تلك المعايير وذلك الروتين توسيع لمجال العمل المنزلي، وبخاصة أمام ربة البيت المتفرغة التى لا تعمل خارج منزلها، **وآخرها** أن ربة البيت بذلك التحديد إنما تضع ميكانيزما تستطيع أن تكافئ نفسها عن طريقه فى إنجاز العمل المنزلي. وتأخذ المكافأة السيكولوجية التى تحصل عليها ربة البيت من تمسكها بمعايير أداء العمل المنزلي، وروتينه المعين، شكلا موضوعيا على الرغم من أنها موضوعة سلفا بواسطة ربة البيت كعاملة. وتلعب وسائل الإعلام أيضا دورا فى تحديد معايير العمل المنزلي، كما تسهم فى ذلك إلى حد كبير، التنشئة الاجتماعية المنزلية السابقة لربة البيت وإعدادها للعمل المنزلي.

وتخصص المؤلفة الفصل السابع للعلاقة بين التنشئة الاجتماعية لربة البيت وبين صورتها عن ذاتها. وفيه تبين أن العمل المنزلي، مثله فى ذلك مثل أى عمل، لابد أن تسبقه فترة تدريب مهنى أو تلمذة وظيفية. ولكن الإعداد الأنثوى للدور المنزلي، يختلف عن الأعمال الأخرى فى أنه لا يتخذ شكلا رسميا، ولذلك لا ينظر إليه على أنه تلمذة وظيفية. **والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن إعداد المرأة لتكون ربة بيت يختلط مع تنشئتها لدورها الأنثوى بالمعنى الواسع**. وتفصح نتائج البحث عن أن جميع أفراد العينة قد قررن أنهن على وعى بوجود صلة وثيقة بين طرقهن فى أداء العمل المنزلى وبين الطرائق التى كانت أمهاتهن يستخدمنها لأداء العمل نفسه. وفى هذا تقول إحدى أفراد العينة:

« إن لى نفس المعايير التى كانت تتبعها أمى فيما يتعلق بأعمال المنزل. فقد كانت تفعل كل ما ينبغى عمله، ولم يكن هناك من يستطيع أن يتجول بعينيه فى المنزل ليقول إن هذا العمل أو ذاك ينقصه شيء. . إننى دائما أحاول أن أتمثل بها. . . ».

ومن النتائج الهامة فى هذا الصدد، أن هناك فروقا طبقية بين ربات البيوت فيما يتعلق بصورة الذات، فقد كان هناك ميل لدى اللائى ينتمين منهن إلى الطبقة الوسطى إلى ذكر أحد دورى الزوجة والأم أو كليهما، دون الإشارة إلى دور ربة البيت فى تصورهن لذاتهن. كما وجد ميل لديهن أيضا إلى رؤية أنفسهن من خلال أدوار أخرى غير منزلية، كالأدوار الدينية أو السياسية. . . . إلخ. أما ربات البيوت من الطبقة العاملة فقد كن يملن إلى اختصار دورى الزوجة والأم تحت كلمة « ربة بيت »، وذلك فى وصفهن لذواتهن. وفيما يلى إجابة إحدى ربات البيوت من الطبقة الوسطى على اختبار العشر جمل، الذى يكشف عن تصور الذات. .

« إننى متقلبة ـ إننى أعمل بجد ـ إننى اتكلم كثيرا ـ إننى سعيدة معظم الوقت ـ إننى امرأة راضية ـ إننى احتاج وجود الآخرين طوال الوقت ـ إننى أعشق الخروج ـ إننى مسيطرة ـ إننى حالمة ـ إننى قلقة ».

وبهدف وضوح المقارنة فانا نسوق اجابة أخرى للاختبار ذاته، لربة بيت من الطبقة العاملة تكشف عن تصورها لذاتها:

«إننى ربة بيت جيدة ـ إننى أجيد معاملة أبنائى ـ إننى أجيد العمل المنزلى ـ إننى أجيد معاملة زوجى ـ إننى أجيد الغسيل ـ إننى أشعر بالسأم أحيانا ـ إننى أشعر بالغضب أحيانا ـ إننى شديدة السعادة بعملى ـ إننى سعيدة بأولادى ـ نادرا ما أكون تعيسة ».

وتتضح من المقارنة السابقة نتيجة هامة أخرى، تضاف إلى النتائج سالفة الذكر وتؤيدها، وهى أن صورة المرأة من الطبقة العاملة عن نفسها يتضح فيها بشدة توحدها بدور ربة البيت. وإقبالها على العمل المنزلي، بينما تظهر قدرة المرأة من الطبقة الوسطى على رؤية نفسها ووصفها لها من منظور الشخصية وسماتها.

وفى الفصل الثامن تبحث المؤلفة موضوع الزواج. وتقسيم العمل بين الزوجين من وجهة نظر بعض المتخصصين فى علم الاجتماع الأسري، كما تتعرض المؤلفة فى هذا الفصل إلى وصف تقسيم العمل المنزلى بين الزوجين وتحليله كما تبحث معتقدات ربات البيوت من أفراد العينة حول الأدوار الذكرية والأنثوية.

وقد أجريت الاستبارات مع الزوجات فقط، ولم تشمل الأزواج، وقد طلب منهن تقييم مدى اشتراك أزواجهن معهن فى العمل المنزلى وفى رعاية الأبناء على السواء بثلاثة محكات تتراوح بين عال، متوسط، ومنخفض، وقد أفصحت إجابات الاستبارات عن ثلاث نتائج هامة:

١ ـ إن قلة من الأزواج فقط هم الذين يساعدون زوجاتهم بقدر مرتفع. فقد كان ١٥٪ من الأزواج فقط هم الذين حصلوا على تقدير عال فى المشاركة فى العمل المنزلى بينما حصل ٢٥٪ منهم على التقدير ذاته فى المشاركة فى رعاية الأطفال.

٢ ـ اختلفت نماذج مشاركة الأزواج لزوجاتهم باختلاف الطبقة الاجتماعية فقد كان اشتراك الأزواج من الطبقة المتوسطة فى العينة، أكثر انخفاضا من اشتراك الأزواج من الطبقة الدنيا، وذلك فيما يتعلق بالعمل المنزلى ورعاية الأطفال.

٣ ـ كان هناك ميل أكثر من قبل الأزواج للمشاركة فى رعاية الأطفال منه فى العمل المنزلي.

ومن بين من حصلوا على تقدير عال فى المشاركة فى كل من العمل المنزلي، ورعاية الأطفال ننتقى هذه الصورة لزوج يعمل فى تجارة المعلبات، وكانت زوجته تعمل على الآلة الكاتبة قبل أن ترزق بطفلها:

« إننى أساعده فى عمله، فأطبع له أوراقه، وأضيف بعض فقرات إذا لزم الأمر. كما أنه يساعدنى فى عملى أيضا. إنه طاهٍ ممتاز، وهو لا يمانع فى أن يأتى فى نهاية اليوم ليطهى وجبة. وفى الأسبوع الماضى مثلا قام بطهى ثلاث وجبات. وإذا حدث أن كنت أقوم بتنظيف حجرة بالمكنسة الكهربائية وأقبل هو فى هذه اللحظة فإنه يقوم بتنظيف الحجرة الأخرى، كما أنه ينظف النوافذ بانتظام، ويقوم بتجفيف الأطباق، وهو يعيننى على الانتهاء من عمل المنزل لأنه يحب أن نجلس

سويا بعد الظهر، وهو يكوى ملابسه أيضا. وعندما نكون فى المنزل معا فإنه يشاركنى فى رعاية الطفل، فهو يحممه فى المساء **ويغير له لفائفه، وفى يوم العطلة يصحو له مبكرا** فى الصباح كى يعطينى الفرصة لأنام بضع ساعات ».

وهذه صورة أخرى **لزوج حصل على تقدير منخفض فى المشاركة فى كل من العمل المنزلي**، ورعاية الأطفال، تقول زوجته:

« إنه لا يساعدنى أبدا فى الأعمال المنزلية، ولا فى شراء لوازم المنزل، ولا فى الطهي، إنه يقول دائما: إننى أعمل طوال اليوم، وعندما أعود إلى المنزل أكون مرهقا تماما. وهو لا يشترك فى رعاية أبنائه أبدا. إنه يحب الأطفال، ولكنه لا يرعاهم. فقد كان على أن أؤدى واجب العزاء منذ يومين، ولكنه لم يدعنى أذهب لأنه قال لي: أنا غير مستعد لأن أرعى الأطفال إلى حين عودتك. لذلك فإنه إذا كان على أن أذهب لأى مكان لقضاء أحد شئونى فلابد أن تكون « مارى » أكبر بناتى بالمنزل. إننى أقصد أنه يرفض مجرد الجلوس مع أبنائه لحين عودتي، لا لأنه يكره الأطفال، بل لأنه ببساطة قد ورث هذا الاتجاه عن والده ودائما ما يردد كلمته المأثورة: إننى لا يمكن أن أقبل أن تدلنى امرأة على ما ينبغى فعله ».

أما من حيث تحليل معتقدات ربات البيوت التى تدور حول الأدوار الذكرية والأدوار الأنثوية فقد ثبت من البحث أن معظمهن يذهبن إلى أن مكان الرجل ليس فى البيت، حتى وإن كن يحبذن مشاركة الرجل لهن فى الأعمال المنزلية مشاركة أكثر. وبالمثل فإن من كانت تريد منهن أن تسهم بقدر أقل فى العمل المنزلى فإنها كانت تجابه بتلك الضغوط الاجتماعية الناشئة عن المعيار القائل بأن المرأة تنتمى إلى مملكة العمل المنزلى ورعاية الأطفال.

كما أسفرت نتائج البحث أيضا أنه خلال دورة الزواج تكون هناك فترات تتسم بالمشاركة أكثر من غيرها. فحين تخرج الزوجات إلى العمل تزداد درجة مشاركة الأزواج لهن فى الأعمال المنزلية، وفى رعاية الأبناء. وهذه النتيجة تتسق مع ما ذهبت إليه بحوث أخرى كبحث « هوفمان » Hoffman الشهير عن النساء العاملات وتأثير عملهن على الأسرة، **ولكن ذلك لا يعنى أن آراء الزوجين** متحررة أو منادية بالمساواة؛ ذلك لأنه عندما تكف الزوجة عن العمل خارج المنزل فإن رغبة

الزوج فى مساعدتها تقل، ويعكس تقسيم العمل بينهما عندئذ نموذجا تقليديا واضحا. ويدل ذلك على أن معتقدات الزوجين الأصيلة عن الأدوار الذكرية والأنثوية لم تتغير.

وتعالج الكاتبة فى الفصل التاسع والأخير تربية الأطفال كوظيفة مرتبطة كل الارتباط بالعمل المنزلي. فمعظم ربات البيوت من الأمهات، وكل الأمهات ربات بيوت. وقد ظهر من خلال هذا الفصل والفصول السابقة، أن الأطفال يؤثرون فى مدى الاستمتاع بالعمل المنزلي، لأنهم يجعلون ساعات العمل الأسبوعية أطول، كما أنهم كثيرا ما يظهرون كعوامل محبطة لربة البيت كعاملة منزلية. فدائما ما يقطعون عليها عملها، ودائما ما تجد نفسها وسط أعمالها المنزلية الكثيرة، مطالبة برعاية أبنائها فى الوقت نفسه. ويزيد رضاء ربة البيت عن عملها المنزلى كلما ساعدها زوجها فى أن يحمل عنها بعض العبء فى تربية الأطفال لأنه عندما يحدث ذلك فإن الضغوط الناشئة عن أداء ربة البيت ودور مربية الأطفال تخف حدتها.

وتلقى الكاتبة الضوء على دورى الزوجة كربة بيت ومربية أطفال معا، وعلى المشكلات الناجمة عن الجمع بين هذين الدورين. وهى ترى أن هناك تناقضا واضحا بينهما، ولا ينجم هذا التناقض فقط عن أن الأطفال مخلوقات فوضوية، تفسد نظام البيت المنظم، ولا عن حاجتهم لأن تطعمهم الأم، أو تلعب معهم، أثناء إعدادها الطعام أو تنظيفها للحجرات، بل إن هناك تناقضا أساسيا يكمن فى طبيعة هذين الدورين ذاتهما. فتربية الأطفال عمل منتج ومثمر Productive، بينما لا ينطبق **ذلك على** العمل المنزلي. **فالعمل المنزلى عمل** له أهداف وقتية ومتكررة، فالمنزل ينظف اليوم، وتعاد نظافته فى الغد، وهكذا لمدة سنوات قد تربو على الثلاثين أو الأربعين. أما الأمومة فإن لها هدفا وحيدا بعيد المدى، فالأم تربى الأبناء حتى يعتمدوا على أنفسهم ويستغنوا عنها بالتدريج، ولذلك فقد كان أحد المحكات الأساسية فى اختيار العينة أن يكون لدى كل امرأة طفل على الأقل فى سن ما قبل المدرسة.

وتنظر الكثير من الزوجات إلى دورهن كربات بيوت، ومربيات أطفال على أنهما وجهان لعملة واحدة، وغالبا ما يعتبرن تربية الطفل، وتنظيف ملابسه،

وترتيبها جزءا من العمل المنزلي، كما أن المعايير التى يضعنها لأنفسهن والمتعلقة بالعمل المنزلي، غالبا ما تنسحب على تربيتهن لأطفالهن وأهمها معايير النظافة والترتيب. **وتعد هذه المماثلة بين الدورين، مجرد انعكاس لمعايير المجتمع، والاتجاهات الاجتماعية السائدة فى النظر إلى المرأة، والتى تذهب إلى أن دور ربة البيت يشمل أدوار المرأة، والزوجة، والأم ونادرا ما تفرق بين هذه الأدوار، أو تذكرها منفصلة.**

وتنتهى الباحثة فى هذا الفصل إلى نتائج هامة استقتها من بيانات بحثها، **وهى أن الأم المعاصرة تؤدى دورها فى سياق اجتماعى لا يبعث على الرضا.** ومنشأ **عدم الرضا هو العزلة الاجتماعية، والمسئولية المستمرة، كما وجدت أن الأم كعاملة منزلية تواجه صراعا بين المطالب المختلفة للعمل المنزلى بحيث يعد الطفل أحيانا وسط خضم هذه المطالب عائقا فى سبيل الرضا عن العمل المنزلي،** أما بالنسبة للطفل فيعد الجمع بين مطالبه ومطالب **العمل المنزلى شيئا محبطا له وللأم.** وعلى الرغم من أن الرجل يحاول أحيانا أن يعالج تلك المشكلة بالتدخل فى رعاية الأطفال، فإن تدخله يكون غالبا محدودا بأنشطة معينة مفضلة لديه كاصطحاب الأطفال للنزهة أو وضعهم فى الفراش، لكنه يحجم عن الاشتراك فى أنشطة أخرى لها مظاهر أكثر روتينية، وأقل متعة فى تربية الأطفال ورعايتهم. وهذا التوسع فى دور الأب يعطى الأم الفرصة لأداء **بعض الأعمال المنزلية، وترتيبا على ذلك** فإنه يعطيها مزيدا من الإحساس بالرضا عن العمل المنزلي.

وفى الخاتمة تركز المؤلفة على تلخيص أهم نتائج بحثها. وتكرس الجزء الأخير منها لمناقشة مسألة مركز ربة البيت فى المجتمع بعامة. وتطرح عدة أسئلة أهمها: **ما هو مدى وعى ربات البيوت - أو مدى الوعى الذى ينبغى أن يكن عليه- بموقفهن كنساء، وهل ينظرن إلى أنفسهن كجماعة مضطهدة ؟ وهل تلاقى حركة تحرير المرأة صدى بينهن؟ وإلى أى مدى نجحت حركة التحرير هذه فى توصيل أيديولوجيتها وأفكارها إليهن ؟ وما هى أنسب الوسائل، وأنجح الطرق لتحرير ربة البيت؟.**

وتجيب الباحثة عن هذه الأسئلة إجابة مركزة فتقول: إن انتماء معظم النساء للأدوار التقليدية لربة البيت والزوجة والأم، لا يمكن أن يعالج فقط بالنظر لمواقعهن

من بناء اجتماعى واقتصادى معين، بل يجب أن تمتد لتشمل فهما شاملا للكيفية التى تستطيع بها النساء أن يتوحدن مع قهرهن. بمعنى آخر أن الأبنية والنظم التى تضطهد المرأة، لا يمكن أن تتغير ما لم يوجد وعى مسبق لدى المرأة لأهمية هذا التغيير، وهذا هو دور حركة تحرير المرأة.

* * *

ثانيا - تقييم ونقد:

نجحت المؤلفة فى إيضاح نظرتها الجديدة إلى العمل المنزلي، وفى تحليلها له كعمل يماثل غيره من الأعمال، كما أنها أظهرت زيف تلك الأسطورة السائدة فى الثقافة الإنجليزية، وفى ثقافات أخرى كثيرة، والخاصة بسلبية العمل المنزلي، وسهولته، وطبيعته بالنسبة للمرأة والتى تتضح من أسئلة توجه إلى النساء فى عالمنا المعاصر مثل: هل ستعملين ؟ أم ستبقين فى المنزل ؟ وكان البقاء فى المنزل لا يتضمن عملا [1].

وكان تعمق المؤلفة فى تحليل صور ربات البيوت عن أنفسهن، وعن اتجاهاتهن نحو العمل المنزلى وما يتضمنه من أعمال فرعية مختلفة، ومدى شعورهن بالرضا أو عدم الرضا عن عملهن، ونفاذها إلى طبيعة العمل المنزلى نفسه، بما يستغرقه من وقت وما يتفرع إليه من أعمال، والكشف عن المعايير التى تحكم انجازها، كل ذلك كان عملا جديرا بالاعجاب، كما وفقت الكاتبة فى عرض أفكارها فجاءت فصول الكتاب منطقية مرتبطة، يسلم كل فصل منها إلى ما بعده فى سلاسة ووضوح.

لكننى بالتعمق فى دراسة محتويات **هذا الكتاب** فيما عدا الفصل الأول منه، وأجزاء يسيرة من الفصل الثالث **والسابع والثامن، سيكولوجى النزعة** قلبا وقالبا. فهو يلقى الضوء كله على مسألة الرضا أو عدم الرضا عن العمل المنزلي، ويحلل

(١) هناك عبارات تشير إلى ذلك فى الثقافات المختلفة، ففى الثقافة الأوروبية تجيب المرأة إذا سئلت عن هويتها (مجرد ربة بيت Just a House wife) وفى الثقافة المصرية تجيب (مجرد ست بيت) وتشير عبارات مصرية مثل (فلانة مش بتشتغل، دى قاعدة فى البيت.. إلخ) إلى أن البقاء فى المنزل يتضمن الجلوس وعدم القيام بعمل وعبارة « فلانة بتشتغل وجوزها قعدها فى البيت » تشير أيضا إلى أن البقاء فى البيت راحة، بعكس العمل الذى لا يكون إلا خارجه.

دور العاملة المنزلية من وجهة نظر سيكولوجية بحتة وذلك بالكشف عن صورة الذات، واحيانا يفرق فى تحليلها بمنظور علم النفس التحليلى فيأتى ذكر (فرويد) فى عدة صفحات من صفحات الكتاب. أما تحديد الباحثة للطبقة على أساس تقليدى وهو مهنة الزوج، فلم يكن منطقيا مع اتجاهها التجديدي، كما أنه لم يكن واضح الدلالات فى ثنايا الكتاب. ولا يشفع لها فى ذلك ما بررت به موقفها، من أن ذلك التحديد كان أكثر ملاءمة فى المقارنة بين نتائج بحثها ونتائج بحوث أخرى تناولت الموضوع نفسه.

والخلاصة إننى أرى أن استبدال عنوان هذا الكتاب بـ (**سيكولوجية العمل المنزلى**) كان يصبح أكثر إيحاء ودلالة على ما احتواه بين دفتيه من حقائق ومعلومات [(١)].

إن كتابا عن سوسيولوجيا العمل المنزلي، لابد أن يتضمن موضوعات سوسيولوجية متخصصة من بينها: تصنيف الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية التى يجرى فى إطارها العمل المنزلى فى ثقافات مختلفة، والمقارنة بوجه خاص بين الدول المتقدمة تكنولوجيا، وبين الدول النامية والمتخلفة، من حيث طبيعة العمل المنزلى فى كل منها. وتحليل دور ربة البيت وما يتضمنه من قوة تتمثل فى تأثيرها فى نماذج شخصيات أطفالها وسلوكهم فهى المنشئة الأساسية لهم، بل إن مركزها المحورى فى الأسرة يمكن أن يؤثر فى صحة أفرادها ومرضهم على السواء. كما لابد أن يحتوى مثل هذا الكتاب على دراسة التفاعل الاجتماعى لربة البيت، وتحليل عملها المنزلى كعمل يجعلها تتفاعل مع زوجها وأبنائها وجيرانها وأقاربها، وصديقاتها، ومعارفها، والبائعين سواء من يذهبون إليها فى المنزل، أو من تذهب هى إليهم، وتفاعلها مع الدولة والأسعار عن طريق وضعها لميزانية الأسرة، وتحديدها لمواصفات السلع المتوقفة على مدى إقبالها أو إحجامها عن شراء سلع

(١) ربما كان السبب فى تلك النزعة السيكولوجية التى لونت الكتاب هو أن المؤلفة أخذت أفكار هذا الكتاب وموضوعاته عن رسالتها للدكتوراه التى قدمتها سنة ١٩٧٤، وكانت بعنوان « الاتجاهات نحو العمل، واتجاهات الرضا لدى ربات البيوت » وهو عنوان ينبئ عن منظور سيكولوجي.
Ann Oakley. "Work Attitudes and Work Satisfaction of Housewives", unpublished PH.D thesis. University of London, 1974.

معينة، كـذلك فى اتخاذ القرارات اليوميـة المتعلقة بنماذج الاستـهلاك والموضات، والشئون العامة، وأهميـة النظر إلى مطالبها التكنولوجية وكل ذلك يدخل فى إطار علم الاجتماع الأسرى وعلم الاجتماع الاقتصادي.

كما أن كتابا عن سوسيولوجـيا العمل المنزلى لابد أن يشمل توضيحا للصلة بين العمل المنزلي، وبين اختيـار الشريكة فى الزواج، فكم من رجل فضل الزواج بامرأة معـينة لأسباب من بينها أنها تجـيد الطهي، أو أنها قدمت إليـه أكلة مفضلة بطريقة مـشوقة، أو لأنهـا ممتازة فى العمل المنزلى أو « شـغل البيت » كمـا تشيع الإشارة إليه فى لغتنا الدارجة [(١)] وكم من رجل أعرض عن الزواج بامرأة جاهرته بأنها لا تحب العمل المنزلى ولا تجيده. كما أن مفهوم العمل المنزلى نفسه لابد وأن يدرس فى أطره الاقتـصادية المختلفـة، فهو فى المجـتمع الزراعى الريفى غـيره فى المجتمع الصناعى الحضري، غيره فى مجتمع الرعى [(٢)] وهكذا.

---

(١) انظر فى ذلك نتائج البحث الذى قامت به باحثة مصرية عن الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، وقارنت فيـه بين جيلين: جيل الشباب مـن ريف وحضـر، وجـيل آبائهم « أما المهارة فى أداء أعمال المنزل (الشطارة فى شـغل البيت) فقد أتى ترتيبـها الثالث بين مجموع الصـفات المفضلة عند اختيار الزوجة، وذلك عند كل من الآباء الحضريين والريفيين على السواء، بل لقد كان هناك إجماع منهم على هذا الترتيب بلغ حد التطابق.

وقد كـانت المهـارة فى أعمـال المنزل، أمرا هامـا وجوهريا فى اخـتيـار زوجة المسـتقـبل فى المجموعات الثلاث المكونة لعينة الأبناء، وهى المجموعـة الحضرية، والمجموعة الريفى ـ حضرية ومجموعة القرناء الريفيين.

كما أن أحدا من أفراد عينة الأبناء، لم يقرر أبدا فى إجابته بأنه لا يرغب فى توافر هذه الصفة فى زوجة المستقبل ».

انظر: سامية حسن الساعاتي، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي**، دار النجاح بيروت، ١٩٧٣، ص٣٠٢.

(١) انظر فى ذلك نتائج البحث السابق نفسه وفيه تقول الباحثة:

« رأينا أن أغلبيـة أفراد عينة الأبناء فى مجـموعاتهـا الثلاث يرغبون بلا اسـتثناء فى أن تكون زوجة المستـقبل ربة بيت ماهرة، لكن مفـهوم ربة البيت الماهرة هذا مفهـوم نسبي، لذلك رأينا أن نتعرف على أهم مـقاصده الشائعة فى عرف كل مـجموعة من المجموعـات الثلاث. وكانت أهم الإجابات الشائعة ما يلي:

(١) تهتم بشئون المنزل.

(٢)تجيد الطبخ.

وقد اهتمت المؤلفة كثيرا بالجزاء الذاتى السيكولوجى الذى تحصل عليه ربة البيت من خلال قيامها بعملها وتمسكها بالمعايير التى حددتها، والروتين الذى وضعته لنفسها. ولكنها نسيت أو تناست أبعادا اجتماعية غاية فى الأهمية، وتشمل الجزاءات الاجتماعية التى تحصل عليها من خلال تعليقات زوجها، وأبنائها، وجيرانها، أو صديقاتها، أو من مقارنة عملها بالأعمال المنزلية التى تصورها وتبرزها وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وصحافة وتليفزيون وسينما. إن ربة البيت حين تعمل فإنها لا تعمل فى فراغ وإنما تعمل وهى تضع فى ذهنها توقعات الآخرين منها، وتتدخل علاقاتها مع هؤلاء الآخرين ابتداء من زوجها وأولادها وانتهاء بمعارفها، فى مدى إقبالها على العمل المنزلى وتقبلها له، أو إعراضها ونفورها منه، فالزوجة المحبة لزوجها، والتى تتميز علاقاتها معه بالتفاهم والود، تفكر فى زوجها أثناء عملها المنزلي، وتضع نصب عينيها أن تدخل السرور على قلبه حين يعود وأن تنجز عملها على وجه يرضاه وترتضيه هى لإسعاده، كما أن ثناءه عليها، ومكافأته لعملها بالتقدير يجعلها أكثر رضا وإقبالا على عملها المنزلي، ويصدق ذلك أيضا على أبنائها وأصدقائها وجيرانها. أما من لا تتمتع

= (٣) مدبرة.

(٤) توازن بين عملها ومسئولياتها المنزلية.

(٥) توائم بين واجبها كزوجة وأم.

(٦) تجيد العجن والخبز والحلب، وتربية الطيور.

وكان السبب الثانى أكثر تواترا فى إجابات مجموعة القرناء الريفيين، أما السبب الرابع فكان أكثر شيوعا فى إجابات الطلبة الحضريين، تليهم فئة الطلبة الريفى ـ حضريين، ولعل ذلك يتفق مع تحبيذ هاتين المجموعتين الظاهر لاشتغال المرأة خارج المنزل واعتبار ذلك قضية مسلم بها.

أما السبب السادس والأخير فاقتصر على فئة القرناء الريفيين، ولعلنا نلاحظ أن مفهوم المهارة لديهم واسع، ويتطلب دراية بأمور كثيرة ومتشابكة. ولا غرابة فى ذلك؛ فالمهارة (أو شطارة البنت) كما يقول الريفيون، من أولى الصفات التى ترفع قيمة الخطيبة وتتحدث عنها النساء فى القرية إذ يقلن « إن بنت فلان، نار وشرار »، قلبها حامى « أى أنها سريعة فى العمل ».

انظر: سامية حسن الساعاتي، المصدر نفسه، ص ٣٣.

وانظر أيضا للباحثة نفسها تفصيلا للأعمال المنزلية فى الثقافة الريفية والثقافة الحضرية في:

سامية حسن الساعاتي، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، المصدر السابق، الفصل الثالث عشر.

جيدة مع زوجها، أو لا تتمتع بتقدير زوجها أو أبنائها لعملها فسوف لا تستشعر بدوافع الإبداع فى عملها ولا الرضا عنه، وينطبق القول ذاته بنسب مختلفة على ردود فعل أصدقائها وأقاربها.

وفى النهاية كان لابد وأن يتضمن كتاب عن سوسيولوجيا العمل المنزلى تحليلا وافيا لديناميات العمل المنزلي، ودراسة لمدى مشاركة آخرين غير الزوج والأبناء لربة البيت فى العمل المنزلى وانماط تلك المشاركة، فهناك المشاركة المتبادلة، وهى التى تحدث بين ربة البيت وجيرانها أو صديقاتها، كأن يتبادلن المشاركة فى أعمال منزلية معينة كطهى أكلات معروفة وشائعة فى أوقات معينة كالأعياد مثلا، أو كإعداد الخبز بطريقة معينة [1].

وهناك مشاركة طويلة المدى يقوم بها خدم دائمون، أو مشاركة موقوتة يقوم بها خدم لساعات معينة من اليوم، كما أن هؤلاء الخدم الذين يقومون بدور مساعد فى العمل المنزلى قد يمتد دورهم أحيانا ليشمل رعاية الأطفال أيضا، أو أداء العمل المنزلى برمته،وفى ذلك انعكاسات بعيدة المدى على العلاقات والتفاعلات الاجتماعية لربة البيت فى أسرتها وفى عملها الخارجى إن كانت تعمل.

(١) يشيع فى القرية المصرية، أن تتبادل ربات البيوت الريفيات، المساعدة فى الأعمال المنزلية لإعداد الخبز بطرق معينة تستلزم عمليات شتى من طحن وعجن وخبز، وأن يتبادلن المساعدة فى الأعمال المنزلية فى الأعياد والمواسم،وبخاصة فى العيد الصغير أثناء قيامهن بعمل الكعك،ويأخذ ذلك شكل تجمعات متفاعلة تتشابك فيها العلاقات الاجتماعية بينهن بشكل واضح.



الفصل الرابع

علاقة الأم بالطفل فى القرية المصرية

عنقود من التكنولوجيات التقليدية

بحث اجتماعى ثقافى (*)

ملخص بالعربية :-

قبل أن نتحدث عن علاقـة الأم بالطفل فى القرية المصرية، ينبغى أن تعطى تعريفا إجرائيا للمفهومات المستخدمة فى هذا البحث.

ونقصـد بالطفل هنا، الطفل منذ الولادة حتى السنة الثـالثة من عمـره. أما القـرية المصرية فنعنى بهـا نوعين من القرى، قـرى الوجه القـبلى، وقرى الـوجه البحرى. وهناك تشابهات عديدة بين هذين النوعين من القـرى فيما يتعلق بالقيم، والتقاليد، والتكنولوجيات التقليديـة. ولكن هناك أيضا بعض الاختلافات الرئيسية فيما بين هذين النوعين، يحسن أن توضع على الاعتـبار عند وضع التعميمات فى هذا المجال.

وسنعالج فى هذا البحث علاقة الأم بطفلها من مظاهر ثلاثة :

١- المظهر الفيزيقى.

٢- المظهر السيكولوچى.

٣- المظهر الاجتماعى (المتعلق بالتقاليد، والدين، والمعتقدات الغيبية).

(*) بحث بالإنجليزيـة نشر فى المجلة الاجتـماعيـة الجنائية، المركـز القومى للبـحوث الاجـتماعيـة والجنائية، عدد ٢. ١٩٨٢ ص ص ٥٨- ٦٤.

ومنشور أيضا بالألمانية في:

EL- SAATY, Samia Hassan, Die Mutter- Kind- Beziehung im ägyptischen Dorf . Ein Bericht über tradierte Sozialisationspraktiken, Bildung und Erziehung. Erziehungsprobleme in Verschiedenen Kulturen, 49. Jg. Heft 1 / März 1996.

وبالنسبة **للمظهر الفيزيقى** لعلاقة الأم بالطفل فيتتبعه البحث منذ الصرخة الأولى للطفل، ويتناول فيه الاجراءات والممارسات التى تتبع للحفاظ على حياة الطفل، وصحته، وتوفر الغذاء اللازم له أثناء فترة الرضاعة وما بعدها.

أما **المظهر السيكولوچى** لعلاقة الأم بطفلها فى القرية المصرية فى هذه الفترة الباكرة من الطفولة. فيشمل طريقة تربية الطفل فى هذه الفترة، ومدى الاهتمام، والنواحى السيكولوچية على عملية الرضاعة، ومدى قرب الطفل من أمه فى هذه الفترة، والمدة التى يستغرقها الطفل كرضيع فى تلك السنوات الثلاث، ومن المعروف أن عملية الرضاعة ليست عملية فيزيقية فقط بل هى عملية سيكولوچية أيضا، كما يتناول المظهر السيكولوچى أيضا، التطورات الإرتقائية لنمو الطفل، وما يواكبها من تغيرات بالنسبة لطريقة حمله، وفطامه. ويلاحظ عموما فيما يختص بالمظهر السيكولوچى فى هذه المرحلة من الطفولة أن الأم الريفية تحيط طفلها بقدر ضئيل من الرعاية والعناية، وذلك يمكن أن نجد له تفسيرا، عندما نتحدث عن **المظهر الاجتماعى** لعلاقة الأم - الطفل.

وتتبلور فى المظهر الإجتماعى بعلاقة الأم بطفلها فى مرحلة الطفولة المبكرة، كثير من الردود على التساؤلات التى يعن لنا أن نبحث فيها، والخاصة بنواحى متعلقة بالمظهرين الفيزيقى والنفسى.

فظاهرة إهمال الأم لطفلها مثلا فى هذه السن وعدم العناية بنظافته الجسمية فضلا عن نظافة ملابسه إنما مرجعه إلى الاعتقاد فى الحسد، فالأم تبرر ذلك الإهمال بأن الطفل فى تلك الفترة انما يكون عرضة للأنظار ، لذلك فلا يجب أن يبدو نظيفا، لطيفا، جذابا، وإلا تعرض للعين الشريرة. ويستمر ذلك الخوف من العين الشريرة والحسد الذى بدأ منذ الأيام الأولى لميلاده أثناء ممارسات « السبوع » وهو الاحتفال بمرور سبعة أيام على ميلاد الطفل، ليغلف كل الممارسات الخاصة به بعد ذلك، فهذا الخوف يتجدد إذا ما أصيب الطفل مثلا بأى مرض أو توعك، والذى يعتقد دائما أن مرده إلى «العين» أى العين الشريرة، «والنظرة» أى نظرة السوء.

INFANT MOTHER RELATIONSHIP IN THE EGYPTIAN VILLAGE

A cluster of traditional technologies

By

Dr. Samia Hassan El-Saaty *

Before starting to speak about the infant-mother relatioship in the Egyptian Village , a definition of concepts is essential .

By infant we mean the child from zero to three years old The word Egyption village denotes two kinds of villages , villages in Upper Egypt and villages in Lower Egypt . There are similarities between to the kinds of villages , in many values , traditions and traditional technologies , but there are also some main differences which must be considered . Accordingly one must be cautious before making generalizations in this sphere .

In this paper we shall deal with infant-mother relationship from **three aspects :**

1- Physical aspect .

2- Psychological aspect .

3- social (traditional , religious , and supernatural) aspect .

The child's first cry is interpreted as his reaction to his coming from the wide to the narrow [1] . It is wrapped in some old clothes of its parents or brothers and sisters . The child's waist is wrapped with broad piece of cloth band "kumat " in order to keep his body erect .

(1) The women villages explanation seems to be in line with what some pasychonalysts call the birth - trauma .

After the delivery comes the placenta or after-birth which the (daya), a midwife reponsible for deliveries in the village, separates from the child's body by cutting the navel cord and putting some salt round the navel wrapping it with a piece of cloth and leaving it to dry.

The diposal of the after birth and the child's navel cord is of spceial social significance. The after birth is thrown out at night to be eaten by the dogs', the purpose fathering a wish that the women would hear as many children as the bitch bears puppies (dogs being known for their proliferousness). He who throws the after birth should be smiling, so that the child may grow up to be gay and happy.

After cutting the boy's navel cord, the father takes it to a field, and buries the cord in one of the divisions of the field. In the case of a girl, the navel cord is buried below the threshold of the house or kept in a small box. It is quite obvious that the difference in the disposal of the navel cord reflects the distinction between the prospective spheres of work for the two sexes.

After receiving the child, and cutting the navel cord, his body is smeared with a mixture of butter and anise, so that his skin may be cool. The "daya" also puts "blue khol" in the childs eyes for it is believed that kohl clarifies the sight and widens the eyes[1] . The mother also squeezes the child's breasts until a liquid comes out. She does this daily until the seventh day of the delivery, because it

(1) This procedure is done by bringing an onion, and putting in it a hen's feather, then the feather is to be put in the "kohl" and at last passed in the eyes of the child.

is believed that this procedure prevents the child from having bad sweating odour. In the case of a girl the mother is kean about "batting" her. This means that she smears her arm pits and pubic-bone with the blood of a bat, because it is believed that this procedure prevents hair front growing in these places and thus the girl keeps clean until she grows up and gets married[1].

Considering the mother, she is the center of attention, with respect to food given to her. She is usually fed very well (especially in the first seven days of delivery, and usually during the first forty days), on chicken, chicken broth, soup, eggs, milk, clarified butter, molasses, "mughat," (which is a nourishing mixture of rich stuffs and nuts in the form of a hot drink), and other richly prepared dishes. It is believed that this care is essential so that the mother becomes healthy and strong. The result will be that she can have enough milk to feed her baby.

It is also common to give the mother castor oil laxative on the second or third day of delivery, for it is believed that this cleans the stomach. After this she is given hot liquids such as anise to prevent gasses, camomile to prevent collics.

The belief that the recently delivering mother "Nafasah" should be excellently fed prevails through the different classes in the Egyptian village and even between the very poor villagers. The phenomenon of "Nokoot" helps them very much in this shpere[2].

---

(1) In the Egyptian village a married woman should not have hair on her body especially in the above mentioned places, or she is considered unclean and ugly.

(2)S.f. p. 6

It is believed that the most dangerous period for the newly born child and his mother is the first forty days. This is the period of confinement for the mother during which she is prevented from sexual intercourse with her husband. She is called "nafasah."

The rural Egyptian mother usually rests in bed a period verying from three to seven days after the delivery, but especially in the case of the working class mother it is not unusual that she starts her daily routine after the first day of delivery.

One of the most important events in connection with the arrival of the new born baby is the ceremony called "Sobou" being held on the seventh day of the baby's birth. This ceremony is of a special social significance. According to the Egyptian village tradition the ceremony has a religious sanction from one of the sayings of the Prophet On this occasion they usually kill a yearling lamb[1] and thus causing the blood to flow, over which the baby (carried by his mother) is passed seven times. Blood flowing is supposed to ward off the effects of the evil eye. It is also considered as a sacrifice for the childs' life, saving his by giving the life of an animal.

The official delcaration of the child's name takes place on this occassion. The name is usually chosen by the parents. With the first child, the name of the grand father for a boy, or grandmother for a girl is frequently decided upon. It is reported as a prophetic tradition that the best names are those which are similar to the Prophet's names or indicate the subservience to God. The name of

(1) In the case of parents who could not afford a lamb, they just kill a goose or duck.

Moslem saints such as "El-Sayed El-Badawi" is also common. If the child is born in a religious occasion like the feast, or the anniversary of a saint, he is named after the occasion. That's why names like, Ragab, Shaaban, Ramadan, Eid, are common in the Egyptian village. Villagers believe that the child who has one of those names may grow to be pious[1] .

On the morning of "the Sobou" come the invited mothers with their children to enjoy the party. They eat sweats, drink "moghat" and sing collectively for the baby. Every invited woman must give the mother of the new baby what is know as "the Nokout" The mother expects certain women relatives or friends to give her Nokout[2] because she is condidered in a period in which she needs to spend a lot on herself and on the baby.

During the first forty days, the child remains in the closest contact with his mother. Practically throughout the whole of his waking as well as sleeping hours she lies beside him on the mat. If we discuss the early training of the child during the first three years, the most important feature that looms large is the close physical proximity not only during the first forty days but which is also sustained till the arrival of the next baby. According to the family structure in the Egyptian village, there are invariably at least two grown-up women attending to the rearing of the child, or sharing in the child's care, e.g. maternal grandmother, paternal grandmother, sisters, paternal or maternal aunts, or brothers' wives. As the newly

(1) See : Samia Hassan El-Saaty, Egyptian Names and their Social Implications : A Socio-Cultural research, underprint.

(2) "Nocout" can be money or nourishing food like birds and meat.

born baby, or even child, has no special cradle, cot, or bed, it always sleeps beside the mother or sits on her lap. It may also be put in a tub like jar or a basket when the mother is working. After the forty days it may be picked up by relatives.

During the third and fourth month, the child is usually held horizontally with the mother's hands underneath its legs and head. During the fourth month it is held vertically, supported under the arms, and can be carried against the mother's breast, being supported with her hands under the buttooks. During the fifth month, he is normally held astride the mother's hip.

During the twelveth month the child is carried astride on his mother's shoulder.

Nursing is one of the first basic needs of the child which in the Egyptian village conforms to no schedule. It is guided only by two principles. The first is that the child is given the breast whenever it cries. The second is that it is suckled when the breast becomes "compassionate," in other words when the mother's breast become full. The reciprocity between the baby's need and the breast is recognized to be one of the determining, factors in suckling. In the Egyptian village, the mothers breast is the symbol of compassion. Nothing is more binding in the mother-child relationship, than the memories of stomach enveloping and breast-feeding, which are symbols invoked by mothers to remind their sons or daughters to be obedient, or to come to their help in old age. "I enveloped you for nine months and have fed you with my breast," is supposed to be one of the most effective and compelling entreaties.

The time and frequency of suckling varies from day to day and from child to child. Usually the child suckles till it is satisfied, but it also happens that the mother withdraws the nipple whenever she feels that he is satisfied, or when she has to engage on an immediate task, to give it the breast later.

The period of nursing, on the whole, varies from child to child and from mother to mother, depending on the health of the child or on the arrival of the next baby, or on the mother's milk. No child is ever weaned before the end of the first year. Some children are suckled for two years and a few others remain as long as three years.

When the mother starts weaning her child, she increases the amount of premasticated food given to it. She begins by weaning her child first from one breast, and later from the other. She stops milk from the breast by rubbing the nipple with a concoction of spices, ground sheep tripe, henna, cactus juice and salt stone.

A marked characteristic of the period of infancy and early childhood is the decreasing amount of care and attention given to the child by its mother. This is evidenced by the childrens, appearance during this stage of development. They are less clean in body and clothes, and it is not an unusual sight to find nasal mucus on children's faces. Mothers justify this neglect on the ground that the child in this stage is exposed to the public so it should not appear attractive for fear of the evil eye. This fear of the evil eye and people's envy (Hasad) is expressed in most of the pocedures to

be taken through the life of the infant especially on the (Sobou) ceremony and in treating this illnesses by folk medicine. Many of infant diseases, are believed, to be due to (Ein) evil eye, and (Nazra), people's bad looks. In this case the mother, or the (daya) says some certain words (Raquwa) in which they believe very much as a cure from many infant diseases. In a (Raquwa) the mother of the (Daya) says : "I have fortified you against the evil-eye of those who cast their eyes on you and do not pray for the Prophet."

REFERENCES

1- Ammar Hamed; **Growing Up in an Egyptian Village, Silwa,** Province of Aswan, London, Routledge and Kegan Paul, 1954.

2- Diab Fawzia; **Values and Folkways, a Field-Study of Some Social Habits in Egypt,** Dar El-Nahda El-Arabia, Bairut 1980 .

3- Diab Fawzia; **Development and Socialization of the Child between the Family and the Day Nursary**. In Arabic El-Nahda Book-Shop, Cairo, 1978.

4- El-Saaty, Samia; **Egyptian Names and their Social Implications : A Socio-Cultural reasearch, under-print.**

* * *



الفصل الخامس

المعوقات الثقافية والمشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية «بحث تحليلى نقدى»(*)

تمهيـــد :

يحاول هذا البحث تركـيز الضوء على أهم المعوقات الثقـافية التى تؤثر على المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية، ويحتوى أولا على تحديد لأهم المفهومات الأساسية التى يتناولها البـحث، وهى الثقافة، والمعوقات الثقافيـة للتنمية الريفية، والمشاركة التنموية للمرأة الريفية، والمرأة المصرية الريفية، ثم يشتمل ثانيا على أهم القضـايا الأساسيـة التى تدور حول المعـوقات الثقـافية والمشـاركة التنمـوية للمرأة المصرية الريفية، وينتهى باقتراحات وتوصيات.

أولا : المفهومات الأساسية للبحث :

١ـ الثقافة :

الثقافة ظاهرة تاريخية ويتحدد تطورها بتتـابع النظم الاقتصادية الاجتماعية. وتتخذ الثـقافة فى أى مجـتمع طبقى، طابعا طبـقيا سواء فـيما يتعلق بمضـمونها الأيديولوجى أو أهدافها العميقة(١).

(*) بحث قدم فى مؤتمر، مشاركة المرأة الريفية فى التنمية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٨٤.

(١) الموسوعـة الفلسفـية، لجنة من العلماء والأكـاديميين السوفيـيت بإشراف روزنتال ويودين، ترجـمة سمير كرم، دار الطليعة، ص ١٣٩، ١٤٠، ١٩٧٤.

ومن المعتاد التمييز بين الثقافة المادية (أى الآلات والخبرة فى ميدان الإنتاج وغير ذلك من الثروة المادية)، والثقافة الروحية (أى المنجزات فى مجال العلم، والفن، والأدب، والفلسفة والأخلاق والتربية. . .إلخ). وتعد الأفكار التقاليدية (المتكونة والمنتقاة تاريخيا) وبخاصة ما كان متصلا منها بالقيم، هى قلب الثقافة، كما تعد الأنساق الثقافية، نتاجا للفعل من ناحية، كما يمكن النظر إليها بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل.

٢ ـ المعوقات الثقافية للتنمية الريفية :

إذا انتقلنا إلى المعوقات الثقافية للتنمية بعامة، فإننا نقصد بها تلك القيم والعادات، والتقاليد التى تقف كحجر عثرة فى سبيل التنمية، وهى تمثل ألوانا من الثقافة غير المتطورة، بل والجامدة أحيانا من فرط ثباتها فى مجتمع دينامى متحرك فى مجموعه :

وتتمثل المعوقات الثقافية التى تؤثر على المشاركة التنموية للمرأة بشكل عام فى تلك القيم، والعادات، والتقاليد التى تنظر إلى المرأة على أنها أداة تزويد المجتمع بالسكان، وأن دورها فى المجتمع إنما يتحدد على أساس من خصائصها البيولوجية.

وتؤكد « كارن هورنى » (Karen Horney) هذا التأثير المتعاظم للثقافة على مفهومى « الرجل »، والمرأة فتذهب إلى حد القول بأن فكرة اعتماد المرأة الشديد على زوجها، وإبراز ضعفها، وأن لا حول لها ولا قوة، وأنها دائما تعيش فى كنف الذكور ورعايتهم، كل ذلك أساطير من صنع الثقافة وحدها،أى أنها مكتسبة اجتماعيا وليست فطرية، ولا متأصلة فى طبيعة المرأة [(١)].

٣ ـ المشاركة التنموية للمرأة :

لابد للتنمية من تسخير كل الطاقات المادية والبشرية، ولعل أهم عملية استثمارية تقوم بها أية دولة نامية ــ على الأخص ــ هى تنمية مواردها البشرية، والمرأة فى المجتمع ــ كما يقال عادة ــ تكون نصف الموارد البشرية التى يعتمد

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية : دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٩٤ .

عليها فى تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى دور المرأة فى تكوين شخصية أطفال المجتمع، أو بمعنى آخر فى تنمية الموارد البشرية الصغيرة[1].

ويقصد بالمشاركة التنموية تلك الجهود والإسهامات التى تبذلها المرأة سواء اتسمت بالطابع الاقتصادى أو الاجتماعي. والتى تؤدى إلى إحداث التغير الاجتماعى، وتسهم فى تحقيق درجة ما من التقدم الاجتماعي.

وتتأثر المشاركة التنموية للمرأة، بالوضع الثقافى السائد، والوافد إليها عبر التاريخ ــ كما يرى ماليوفسكى ــ وبما يظهر فى ثقافة المجتمع من اتجاهات فكرية تعكس أثرها على وضع المرأة ومكانتها، وبالتالى على دورها ومشاركتها التنموية.

وبقدر ما تكون المشاركة التنموية للمرأة مرتكزة أساسا على مهاراتها وقدراتها الفعلية من ناحية، وعلى ما يقدمه المجتمع من وعى لترشيد هذه المشاركة من ناحية أخرى، بقدر هذا كله تكون درجة التقدم التى تحرزها المرأة فى تنمية مجتمعها، فالمشاركة هى الوسيلة الأساسية للتنمية، ولابد أن يتوفر المناخ الثقافى المناسب لذلك من قيم وعادات، وأعراف، وتقاليد.

المرأة المصرية الريفية:

المرأة المصرية الريفية شأنها شأن الرجل سواء بسواء وهى ليست مقولة عامة مطلقة، بل هى مرتبطة بانتمائها الاجتماعى والاقتصادى، والفكرى، وتستمد قيمتها ومعناها من سياق اجتماعى تاريخى.

والمرأة الريفية فى مصر، كانت أكثر إسهاما فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية من زميلتها الحضرية، وقد كانت تعمل مع الرجل فى الزراعة، ولم تعرف الحجاب، على العكس من المرأة الحضرية[2].

والمرأة المصرية الريفية ــ بوجه عام ــ **كثيرة الذرية، تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعية منذ سن مبكرة**، وهى بالإضافة إلى ذلك ذات دور بارز فى اقتصاديات الأسرة فهى **عاملة، ومشرفة، ومدبرة، ومسئولة** عن جعل البيت

---

(١) انظر التقرير النهائى لمؤتمر دور المرأة العربية فى التنمية القومية، القاهرة، ٢٤ ــ ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢.

(٢) على حسن فهمى، العلاقة بين دور المرأة المصرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر، المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص عن المرأة، ١ ـ ٣، ١٩٧٧، ص ٩٣.

فى حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتى لا ينقصه شيء من المئونة، والمطالب التى تحتاجها الأسرة على مر فصول السنة.

والمرأة المصرية الريفية **تصنع الأغذية فى مقدمتها الخبز**، وتصنع فى كثير من **الأحوال الملابس التى** يحتاجها أفراد الأسرة، وبخاصة الإناث، وهى تنظف، وتغسل الملابس، وتربى الدواجن، وبعض الحيوان للإفادة من نتاجها، ولحومها، وصنع مستخرجات الألبان.

وإذا ارتأى رب الأسرة أن يمارس فى بيته صناعة من الصناعات التى تعد من اختصاص الرجال أساسا، **فإن زوجته وبناته**، فى حالات كثيرة، **يساعدنه فى العمليات** التى يستطعن القيام بها [١].

ثانيا: المعوقات الثقافية والمشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية: قضايا أساسية:

١- تختلف المعوقات الثقافية التى تؤثر على المشاركة التنموية **للمرأة المصرية الريفية**، عن مثيلاتها المؤثرة على المشاركة التنموية **للمرأة المصرية الحضرية المثقفة**، كما تختلف المرأة المصرية الريفية، عن المرأة المصرية الحضرية المثقفة فى **مدى وعيها بتلك المعوقات**، ومدى **تقبلها أو رفضها لها**.

٢- هناك عدة مؤشرات هامة تدل على أهمية **القيم**، **والعادات**، والعوامل **الثقافية بعامة، فى المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية**، بعضها يتعلق **بحقوق الزوجة الريفية وواجباتها**، ويتعلق بعض ثان **بنظرة الرجل بعامة والزوج بخاصة، والمجتمع الريفى عادة إليها**، ويتعلق بعض ثالث **بنظرتها نحو نفسها، ووعيها بذاتها**؛ ويمكن إيجاز بعض هذه المؤشرات على النحو التالى: -

(أ) الذكورة فى الثقافة الريفية تعنى **القوة والسطوة**، **والسيطرة والسيادة**، أما الأنوثة فتعنى **الضعف**، **والخضوع** والاستسلام لسيطرة الرجل.

(ب) المرأة المصرية الريفية تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل، أى **أنها تدور دائما فى فلك** «رجولي»، وحياتها دون

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص عن المرأة، المجلد ١٢، سبتمبر ١٩٧٥، ص ٩٢.

الرجل لا قيمة لها لأنها لا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله، ولا يقيمها الناس إلا من خلال علاقتها به. وتقول الأمثال الشعبية: « ضل راجل ولا ضل حيط »، و« أبو البنات يناسب الكلاب »، « واللى عايز له سيد يجوز بنته ».

(جـ) مع أن الزوجة المصرية الريفية **أكثر كدحا من الرجل لكنها أقل مكانة**، فبينما وقت الزوج فى الريف، فى الفئات الكادحة، موزع بين عمالة قصيرة متكررة، وبطالة طويلة متكررة أيضا، فإن الزوجة على العكس منه لا تنعم بالراحة قط. إذ إن وقتها مشغول بشتى الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال، وتربية الدواجن والأغنام،هذا فضلا عن مساعدتها لزوجها فى الفلاحة فى كثير من الأحيان.

ويلاحظ أن ما تملكه المرأة المصرية الريفية كزوجة، أو ما سوف ترثه من أرض أو عقار، أو حلى يستطيع الزوج أن يتصرف فيه، **وتعتبر الزوجة نفسها وما تملكه ملكا لزوجها.**

وقد **أكد بحث مصرى أن اشتغال الزوجات الريفيات بأجر لا يغير من دورهن التقليدى فى الأسرة، وأن اشتراك الزوجة الريفية فى اتخاذ القرار إنما يرتبط بعوامل أخرى مثل مدة الزواج، وخلف الأبناء وبخاصة الذكور**[1].

(د) إذا ما حللنا **علاقات القوة** (من يسيطر، ومن يخضع، ومن يتخذ القرار، ومن ينفذه، ومن له الكلمة الأخيرة، ومن له القيادة) بين الرجل والمرأة فى الثقافة الريفية التقليدية، **لوجدنا أن المرأة الريفية على العموم، ضعيفة، مقهورة**، تابعة، لا حول لها ولا قوة،مقابل الرجل الذى تعطيه تلك الثقافة السيطرة والحرية.

(هـ) النظرة إلى المرأة الريفية من خلال **الجنس وإنسال الأطفال**، وذلك لأن الزوج الريفى ومجتمعه يرون فى عقم الزوجة أمرا مهينا، ومن ثم يرفعون من قيمة الزوجة الولود ويقولون فى المثل « ربنا يجعلك شجرة تطرح وتملا المطرح ».

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، المصدر السابق، ص٦٢٨.

(و) موقف الزوجة الريفية الضعيف تحت التهديد المستمر بحق **الرجل فى الطلاق أو الزواج من أكثر من واحدة تجعل** المرأة الريفية تهتم اهتماما خاصا بزيادة عدد الأطفال تدعيما لمركزها، وحماية لأسرتها.

(ز) **يفضل الريفيون عدم خروج المرأة خارج منزلها،** كما يوحى لها المجتمع بأن عدم خروجها أفضل لها، بل إنه يرفع شأنها لدى الآخرين، وتؤكد ذلك الأمثال السائرة مثل « قعدتى بين أعتابى، ولا قعدتى بين أحبابى »، و «اللى يخرج من داره يتقل مقداره ».

(ح) الزوجة الريفية ـ فى الغالب ـ **لا تختار قرينها،** لأن أمر الزوج متروك للأسرة التى **يرأسها الأب،** فالزواج فى القرية المصرية ـ وإلى درجة واضحة بين **أسرتين أكثر منه اتحاد بين فردين.**

(ط) للرجل القروى **الحق فى طلاق زوجته** فى أى وقت يشاء ولأى سبب يراه.

(ك) وجود **ظاهرة تعدد الزوجات** التى تدلل على تحكم الرجل فى المرأة، وإن كانت بعض الدراسات القروية فى مصر تشير إلى اتجاه معدلات الطلاق نحو الارتفاع؛ ذلك أنه أصبح هو الأسلوب المفضل للزواج من أخرى نتيجة لضغط الظروف الاقتصادية[1].

(ل) **ينظر المجتمع الريفى إلى المرأة نظرة تجعلها أدنى من الرجل** ويؤكد أن المرأة شخص يجب ألا يوثق به أو يعتمد عليه، أو يستشار فى أمر من الأمور [2]، ويكفى أن نعرف أن أسوأ إهانة توجه لرجل فى ظل الثقافة الريفية التقليدية وصفه أنه « امرأة ».

(م) **لا تجد المرأة المصرية الريفية فى نفسها أى صراع بين المتوقع والمتحقق،** ولا تستشعر فى أدائها لدورها أدنى مشاعر الاغتراب، فالرجل فى نظرها كامل الإرادة والسيطرة، والمرأة أدنى منه، وأقل فى إرادتها وقدرتها، وحياتها تعتمد عليه، وهو سيدها، وما هى إلا خادمة له.

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، **الزواج والطلاق فى مصر**، أول نوفمبر ١٩٧٤، ص ١٣.

(٢) من الأمثال الشعبية التى تؤكد ذلك « الراجل ابن الراجل اللى عمره ما يشاور مرة »، و « عمر المرة ما تربى طور ويحرث ».

وعلى هذا النحو من التـدريب والتعويد، وغرس الأفكار تنشـأ المرأة الريفية على الإيمان بقيـمة الطاعة، وبـذلك لا تشعر بأية غـضاضة ولا تأفف من سـيادة زوجها عليهـا، ومن طاعتها له ولأهله، بل والغالبية العـظمى من النساء الريفيات يكرهن سلوك المرأة قوية الشخصية التى تكثر من الاعتراض والمناقشة [1].

- **نسبـة الأمية العاليـة بين النساء فى مصـر تعد معوقـا أساسيا أمـام المرأة المصرية، وبخاصة المرأة الريفية،** حيث ترتفع النسبة ارتفاعا كـبيرا، فالمرأة الأمية لا تستطيع أن تشارك فى التـغير الاجتـماعى ولا فى التنميـة بالقدر الذى تستطيعـه لو أنها تعلمت.

- تلجأ المرأة المصرية الريفية إلى السحر والخرافات فى حل كثير من المشكلات التى تعترضهـا فى حياتها [2]، وفى هذا تعويق كبـير لمشاركتها التنمـوية وبخاصة ما يتعلق بتنشئتها لأبنائها ومعاملتها لزوجها.

نحو زيادة المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية: اقتراحات وتوصيات:

١- لازلنا نبحث شـئون المرأة الريفية من مكـاتبنا فى القاهرة، ونفتقـد وجود المرأة الريفيـة بنفسهـا معنا، فإذا مـا أردنا حقا، زيادة فى المـشاركة التنمـوية للمرأة الريفـية، فلابد أن تـوجد **ممثلات للمـرأة الريفية** يتحـدثن من واقع حيـاتهن، وهمومهـن، وتجاربهن عن المشاركة التنمـوية؛ وبذلك نصبح **أكثر فهما للواقع الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للمرأة المصرية الريفية.**

٢- البدء من الأساس، أى تدعيم **ما يسمى بالتنمية الأساسية،** فالملاحظة بالمشاركة، والالتـحام بالنسـاء الريفيـات فى بيئـتهن يكسـبنا القدرة على فـهم واقعـهن، والوقوف على المعوقات الحقيقية الفعالة للمشاركة التنموية للمرأة الريفية.

٣- تأكيد **لامركزية البحث والتخطيط المحلى** أى على مستوى المحافظات، **ومركزية التخطيط الشامل،** وتوزيع الميزانية على المحافظات فى ضوء ذلك.

---

(١) انظر فوزية دياب ـ **القيم والعادات الاجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠، ص ٢٥٨.

(٢) انظر سامـية حسن السـاعاتى، **السحر والمجتمع**، دراسة نـظرية وبحث ميـدانى، مكتبـة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٨١.

٤- أن يكون هناك قسم أو إدارة للبحث والتخطيط الاجتماعى فى كل محافظة يعمل جنبا إلى جنب مع إدارة أخرى للإحصاء. وأقترح أن يهتم **المركز القومى للبحوث الاجتماعية** بهذه القضية فيتصل بالمحافظات ويقنعها بهذه الفكرة، على أن يختار ويدرب لهم من يعملون فى هذه الإدارات.

٥- **تخلف المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية مرتبط بتخلف الرجل، وأن تخلفهما معا هو نتاج القرية المصرية المتخلفة**، لذلك فإن المدخل الطبيعى يأتى من تنمية القرية المصرية تنمية اجتماعية واقتصادية **شاملة**، أى أن تتوجه التنمية **نحو كل الطبقات والفئات والجماعات مشاركة وعائدا.**

٦- تهيئة سياق وفرص مواتية للمرأة لنجاح مشاركتها التنموية بصورها المختلفة على النحو المطلوب لها **مجتمعيا وشخصيا**، بمعنى أنه إذا خطط لها لأداء أدوارها خارج البيت، فلابد من التخطيط لأداء أدوارها فى البيت كأن توفر لها الخدمات الأساسية، ودور الحضانة... إلخ.

٧- **التركيز على رفع الوعى النسائى الريفى، والكفاءات النسائية الريفية. فى دائرة نسائية مغلقة منفصلة عن المشاكل الأساسية للمجتمع الريفى، لا يساعد كثيرا على تحسين الموقف**، وربما يؤدى، وبخاصة على المدى البعيد، إلى المقاومة والاستفزاز، وتعويق عملية التخطيط، **والأجدى أن تواكبها تغييرات مجتمعة أخرى اقتصادية واجتماعية**، كأن نطالب **بالتعليم للقرية**، وبداخله تعليم المرأة، وبالخدمة الصحية للقرية وبداخلها الخدمة الصحية للمرأة.

٨- تشجيع المثقفات المصريات الريفيات النشأة اللائى سرعان ما ينسين القرية بعد تخرجهن من الجامعات والمعاهد، أو إرسالهن إلى بعثات، لخدمة قراهن، فهن أولى بالمشاركة التنموية الريفية من المثقفات اللائى يعقن التغير التنموى بسبب جهلهن بطبيعة المجتمع الريفي، واصرارهن على استعارة صيغ أوروبية أو أمريكية لا تتلاءم مع واقعنا الاجتماعى.

٩- وجوب الجمع بين محو الأمية الأبجدية ومحو الأمية السياسية بالنسبة للمرأة الريفية بمعنى مساعدتها على الربط بين حياتها اليومية والحياة السياسية العامة حتى تتخلص من التخلف الذى تعيش فى إطاره.

المراجع

١ـ **التقرير النهائى لمؤتمر دور المرأة العربيـة فى التنمية القومية**، القاهرة، ٢٤- ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢.

٢ـ **الجهاز المركـزى للتعبئـة العامة والاحصــاء، الزواج والطلاق فى مـصــر**، أول نوفمبر ١٩٧٤، ص ١٣.

٣ـ **الموسوعة الفلسفية**، نخبة من العلمـا والأكاديميين السوفيـيت بإشراف روزنتال ويودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة.

٤ـ سامية حـسن الساعاتي، **الدور الوظيـفى للزوجين فى الأسرة المصـرية**: دراسة ميـدانية فى الريف والحضـر، رسالة دكتـوراه غير منشـورة، جامعـة القاهرة، ١٩٧٢.

٥ـ ســاميــة حـسن الساعــاتي، دور المرأة فى المجـتمع المـصرى الحـديث، المجلة الاجتماعية القومية، **عدد خاص عن المرأة، المجلد ١٢**، سبتمبر١٩٧٥.

٦ـ سامية حسن الساعاتي، **السحر والمجتمع**، دراسة نظرية وبحث ميداني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢.

٧ـ على حسن فهمي، العلاقة بين دور المرأة المصـرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر، المجلة الاجتماعية القومية، **عدد خاص عن المرأة، ١ - ٣، ١٩٧٧**.

٨ـ فــوزية دياب، **القيم والعادات الاجتـماعية**، دار النهضـة العربيـة، بيروت، ١٩٨٠. ط٢.

الفصل السادس



دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعي
(بحث اجتماعى ـ تاريخى)(*)

تمهيـد :

قبل البدء فى تناول دور المثقـفات المصريات فى التغير الاجـتماعى يجدر بنا تحديد المفهومات الأساسية فى هذا البحث.

فالدور يمكن تعريفه على أنه السلوك المتوقع من شـخص يشغل مركزا معينا ولكل دور متطـلباته وخصـائصه. فـمن ناحية نجـد أن هناك توقعـات من الأفراد لسلوك شخص يشغل مركزا ما (وهذه التوقعات تكون مشروطة ومتأثرة بالمعتقدات الشائعة) ومن ناحية أخرى نجد أن هناك قواعد سلوكية تنمط سلوك الشخص الذى يحتل مركزا معينا (١)

والدور فى نظرنا هو مجمـوعة مواصفات تحدد ما ينبـغى أن يفعله الشخص كشاغل مـركز معين على مسـتوى المجموعة الصـغيرة، أو المجتمـع الكبير. وهذه المواصفات قـد يضعها للشـخص المجموعة الصـغيرة، أو قد يحددهـا له المجتمع الكبير فى شكل معايير وقيم، أو قد يرسمها الشخص نفسه لنفسه، متخذا فى هذه الحالة صورة توقعاته هو نفسه عن متطلبات هذا الدور المتصل بمركز معين.

ويشتمل تحليلنا الإجرائى المتكامل للدور على ثلاثة تعريفات فرعية : **الدور المعيارى** Normative role، ونقصد به مـجموعة المواصفـات أو المتطلبات النابعة

(*) بحث قدم فى الندوة الدولية عن: المثقفون والتغير الاجتماعى فى العالم العربي، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة ٣-٦ ديسمبر ١٩٧٩.

(١) International Encyclopedia of the Social Sciences, 1971, Vol. 13

من المجتمع أو من الثقافة بعامة، والتى ترسم للأشخاص أدوارهم فى حدود مراكزهم المتباينة. والقيم هنا جزء لا يتجزأ من هذه المواصفات.

الدور المتوقع Expected role وهو مجموعة من المواصفات التى يتطلبها الأنا من الآخر (والعكس صحيح أيضا) فى موقف تفاعل يتأثر بالثقافة الفرعية لكل منهما.

الدور الوظيفى Functional role، وهو الدور الفعلي، أى سلوك الدور فعلا أو أداؤه. وهو يؤدى وظيفة التوافق مع الثقافة العامة أو الفرعية المجموعية أو الجماعية Group or Communal قد يتمشى الدور الوظيفى مع الدور المعياري، والدور المتوقع، وقد لا يتمشى مع أحدهما أو كليهما كما أنه قد يسايرهما بدرجات متفاوتة[1]. وسوف ينعكس تحليلنا الإجرائى السالف الذكر على رؤيتنا لدور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى كما سنرى فى الصحفات القادمة.

أما المثقفات المصريات فاقصد بهن **تلك الصفوة من المتعلمات فى مصر**، وبخاصة أولئك اللائى تبنين موقفا ثوريا تجديديا، من الأفكار والتقاليد السائدة فى مختلف مجالات العلم، والأدب والفن والسياسة، وغيرها، وهؤلاء فى الغالب جزء من الطبقة الوسطى[1، 2]

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتي، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة، ١٩٧٢، ص ٩٠-٩٥.

(٢) استخدام تعبير: المثقفون Intelligentsia فى روسيا فى منتصف القرن الماضي، وكان يطلق على الصفوة المتعلمة التى تلقت تعليمها فى الجامعات الأوربية الغربية على الخصوص أو فى الجامعات الروسية الحديثة. وكانت الكلمة تطلق على من سموهم «زبدة الصفوة» وهم الكتاب والنقاد الأدبيون وأساتذة الجامعات والعلماء، ثم أصبحت تطلق على رجال القانون والمعلمين، ثم على وجه الخصوص الأطباء. ولما كانت الدكتاتورية سائدة فى روسيا آنذاك، واستمرت سائدة حتى سنة ١٩٠٥، وكانت حرية الرأى مقيدة طيلة هذه الفترة، فقد امتد معنى الكلمة ليشمل كل من يعارضون سياسة روسيا السياسية والاجتماعية من المعلمين.

وانتشرت الكلمة من روسيا إلى كل جهات أوربا الغربية وكذلك بعض الدول الشرقية كالهند الصينية والهند ومصر. فمثلا فى مصر، كان الكتاب الأجانب يشيرون منذ سنة ١٩٠٠ على الخصوص إلى دور «المثقفين» المصريين فى السياسة، كقاسم أمين وسعد زغلول وعمر لطفي، ومصطفى كامل.. وغيرهم من أبناء ذلك الجيل كانوا يعدون من الصفوة المثقفة، وفى الدول العربية انتشرت الكلمة لتعنى «صفوة صغيرة» من الكتاب والشخصيات المثقفة الكبري. =

ويقصد **بالتغير الاجتماعى** أنواع التطور التى تحدث تأثيرا فى النظام الاجتماعى أى التى تؤثر فى بناء المجتمع ووظائفه. وما دام الانسان كائنا اجتماعيا، فان التغير الاجتماعى معناه التغير الإنساني، وكل تغير فى المجتمع ينعكس آثره على الإنسان بالضرورة(١). وقد شغل الاجتماعيون المحدثون بمسألة ضبط عملية التغير الاجتماعى والتحكم فيها وتوجيهها فى اتجاه يحقق أمانى المجتمع وآماله وظهر اصطلاح التنمية Development ليعنى ذلك الكل المعقد من الإجراءات والعمليات المتتالية المستمرة التى يقوم بها الإنسان للتحكم بقدر ما، فى متضمنات واتجاهات التغير الثقافى والحضارى فى مجتمع من المجتمعات وكذا فى سرعته بهدف إشباع حاجاته(٢)

خلاصة القول أن هذا البحث ينصب على الدور الفعلى الذى قامت به المثقفات المصريات وأثر هذا الدور فى التغير الاجتماعى وبخاصة فى عملية التنمية التى تهدف إلى نقل المجتمع المصرى من مجتمع تقليدى إلى مجتمع متقدم فى أساليب الإنتاج وفى العلاقات الاجتماعية. وجدير بالذكر أن الدور الفعلى للمثقفات المصريات كان كثيرا ما يتعارض مع الدور المعيارى الذى حددته لهن

= ولقد أصبحت تلك «الصفوات» فى كل بلد أوربي، وكأنها تكون جسما أو هيئة واحدة. ولها تأثيرها الضخم فى الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى بلدها. وكان لهذه الصفوات أماكن تشهد ندواتها مثل الحى اللاتينى فى فرنسا، أو بار اللواء وغيره من الأماكن التى كانت منتديات للصفوة المصرية إبان هذا القرن.

وتجب الإشارة إلى أن صفوة المثقفين هذه لا تكون طبقة مقفلة عليها بل هى عادة جزء من الطبقة المتوسطة، وليس ثمة فواصل قاطعة، أو محددة بينها وبين الطبقة المتوسطة عموما، كما أنه ليس ثمة فواصل بينها وبين طبقة أصحاب المهن الحرة، إذ لوحظ أن الصفوة تنشأ دائما مع طبقتها، وتظل تشعر دائما بشعورها، ولا تفصل تفكيرها من تفكير تلك الطبقة.

(٢) معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة دكتور ابراهيم بيومى مدكور، اعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ٥١٤ - ٥١٥.

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٢) انظر عبد المنعم شوقي، **مفهوم التنمية** : صياغة محددة للمشكلة (بحث غير منشور) مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة (٥-٨ مايو ١٩٧٣).

الثقافة المصرية Total Egyptian Culture ومع الدور المتـوقـع أى فكرة الرجل عنها، وتوقعاته منها.

ولابد لأى بحث من إطار زمنى تدور فى فلكه أهم أحداثه وحقائقه وسوف نقصر بحثنا على دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر فى العصر الحديث، ونقصد **بالعصر الحديث** السنوات التى مـرت منذ أواخر القـرن التاسع عشر حتى الآن.

دور المثقفات المصريات وحركة تحرير المرأة فى المجتمع المصرى الحديث : رؤية تحليلية :

إن إسهام المثقفـات المصريات الحقيقى فى عملية التغـير الاجتماعى وبالذات فى عمليـة التنمية لا يمكن تتبع مـساره إلا من خلال خروج المصـريات إلى العمل خـارج بيوتهن وتكسـبـهن. وذلك بعد تعلـمهن فى مـختلـف مراحل التـعليم، وتحررهن فكريا بالتدريج.

إن دور المثـقفـات المصريات هو الوجـه الآخر للعـملة لقضـية تحـرير المرأة المصرية، ولما كانت قـضية المرأة ترتبط إلى درجة كـبيرة بالتغـير الجذرى فى النظام الاقتصادى من حيث تشغيل النساء فى شتى المجالات وفى نطاق واسع، فإنه لأبد من القول بادئ ذى بدء أن نمو الصناعـة فى مصر لم يأخذ شكل ثورة صـناعية أو انقلاب صناعى مثل الذى حدث فى إنجلترا مثـلا، فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وإنمـا بالتدريج البطيء أحيانا والسـريع نسبيا أحـيانا اخرى كمـا حدث فى الخمسـينيات والستينيات من سنوات ثورة ٢٣ يولـيو. . وعلى الرغم من ذلك فإن النمو الضناعى فى مصر وبخاصة فى إطار سـياسة التصنيع التى أخذت بها الدولة بعد سنوات قلـيلة من بدء الثورة (١٩٥٢)، كان له كـثير من الآثار المـاثلة لتلك التى ظهرت فى كثير من الدول الأوربية التى حدث فيها الانقلاب الصناعي، ذلك الانقـلاب الذى نجم عنه أهم ظاهرة اجتـماعـية فى العـصر الحـديث وهى ظاهرة خروج المرأة إلى العمل، لأن عملها خارج بيتـها لم يعفها من أداء دورها الرئيسى فى الأسرة، بل إنه اضاف إلى هذا الدور دورا هاما، هو دور التكسب من العمل، الذى كان من قبل وقفا على الذكور وحدهم دون الإناث. وقد واكب هذه الظاهرة

ظاهرة أخرى أشد أثرا - فى رأينا - فـى قضية تحرير المرأة، تلك هى تعليمها فى مختلف مراحل التعليم وتحررها الفكرى بالتدريج.

لقد كـانت هذه الظواهر الثلاث وهى تعلم المرأة، وتحـررها واشتغـالها هى المسئولة عما صار يعرف «بالانقلاب النسوي» الذى امتاز به القرن العشرين، والذى ظهرت آثاره واضحة للعيان فى كل مكان.

ومما لاشك فيه أن تعليم المرأة فى جمـيع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعـة قوية، ذلك لأنه أوجد عند المرأة وعـيا واضحا بذاتهـا ومركزها ومكانتـها، ودورها فى المجتمع بعامة، وفى الأسرة بخاصة.

وقد ترتب على تحرير المرأة، تخلصها تدريجيا وبدرجات متفاوتة من سيطرة الرجل وسلطان التقاليد، والحرمان السياسى الذى كـان مفروضا عليها، كما ترتب عليه أيضا تـشغيلها فى مخـتلف المهن المتخصصـة سواء ما كان منهـا صناعيا، أو زراعيا، أو تربويا، أو طبيا، أو تشريعيا، أو تنفيذيا أو غير ذلك من المهن التى كان يعتقد أنها وقف على الرجل وحده.

وقد كان ذلك فى الوقـت نفسه مصاحـبا لظاهرة الحد من الفروق الطبـقية؛ **لأن التعليم وبخاصـة التعليم العالى أتيح أول ما أتيح لبنات الطبـقات المتوسطة ثم الراقية**. وما أن انتشر تعليم الفتيات بين هاتين الطبقتين حتى انتشرت من بعد ذلك ظاهرة اشتغالهن بشتى المهن خارج بيوتهن.

ونجم عن ذلك أن الفـجوة التى كـانت تفصلهن عن فـتيـات الطبقة الـدنيا العاملات أخـذت تضيق شيئا فشـيئا على مر السنين، وذلك للتفاعل الاجـتماعى الحادث فى المجتمـع الجديد، الذى دفع بكل من الطبقة الدنيا من جهـة والطبقتين العليا والوسطى من جهة أخرى، إلى التقارب إلى درجـة كبيرة فى **مستوى وسيط هو مستوى الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا المتطلعة الواعية**؛ ذلك لأنه لا يمكن إنكار أن التقدم الاجـتماعى الاقتصادى الحـديث فى كل المجتمعات المتقـدمة، قد أدخل على الطبقـة الوسطى والطبقـة العليا. مظاهر معـينة كانت لحـقب كثيـرة تعد من

خصائص الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا وحدها[1]. ومن بين هذه الخصائص اشتغال نساء الطبقة الوسطى بالوظائف الكاسبة، أى التى تدر دخلا منتظما ذا قيمة يعتمد عليه، وذلك نتيجة ضعف ثم تلاشى ظاهرة توريث المرأة دخلا ثابتا من أرض زراعية أو عقار، أو استثمار مال معين. وهى ظاهرة كانت شائعة إن لم تكن عامة، بين أسر الطبقتين العليا والوسطى. وهكذا حل محل ظاهرة تأمين مستقبل المرأة على هذا النحو، تعليمها فى مختلف مراحل التعليم وتوظيفها، وقد أصبح هذ النظام الجديد من الأنظمة الشائعة فى النسق الاجتماعى الشامل فى المجتمع المصرى الحديث.

أما تحرير المرأة الذى تمثل فى مساواتها بالرجل فيما يتعلق بممارسة حق الانتخاب فقد كان ثمرة تعليمها، وخروجها للعمل واشتغالها بشتى الوظائف.

وجدير بالذكر أن ما حدث من تغير نتيجة لخروج المرأة المصرية المتعلمة المتخصصة الواعية من بيتها للعمل فى مختلف ميادين الإنتاج والخدمات يشبه ما حدث للمرأة فى المجتمع الغربى الحديث، ولكن مع تفاوت فى الدرجة والشدة.

خلاصة القول أننا نود أن نوضح أن تعليم المرأة فى مصر فى العصر الحديث وبخاصة التعليم العالى المتخصص كان هو مفتاح تحررها ونهضتها ووعيها، والدليل على ذلك أن رائدات التحرر فى مصر كن - كما سنرى - من المثقفات المتعلمات الواعيات.

---

(١) كان هناك تردد كبير فى نشر تعليم الفتاة فى مصر، وفى إتاحة الفرصة لخروجها للعمل (وبخاصة فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى) ذلك لأن العلم فى أول الأمر، كان ينظر اليه الكثيرون على انه ليس بذى قيمة أو أى نفع للمرأة، بل إنه كان يخشى منه فى أن يصرفها عن قيامها بدورها فى بيتها، الذى لم يكن يتصور عندئذ أنه كان يستغنى عنها فى تدبر أى شأن من شئونه. هذا فضلا عن أن خروج المرأة للعمل كان إهانة لرب الأسرة، لأنه دليل على عجزه عن إعالة أسرته، ولهذا لم تكن تخرج للعمل إلا المرأة الفقيرة أو التى فقدت عائلها. وكانت فى هذه الحالة تعمل وهى مجبرة، ومتأثرة فى قرارة نفسها بالقيم المسيطرة على المجتمع حينئذ، وهى أن الفقر مذلة والعمل مهانة، فتعمل وهى غير راغبة فى عملها، وتنعى طول الوقت حظها وظروفها. ولذلك تختار من العمل ما تستطيع أداءه وهى محجوبة بقدر الامكان عن الناس مثل الخدمات الشخصية التى تزاولها داخل المنازل، وفى نطاق ضيق محدود وبطريقة غير منتظمة، تحت إشراف ربات البيوت. كذلك كان لظهور بعض الصناعات، كصناعة الغزل والنسيج والأطعمة، ودبغ الجلود، أثر ملحوظ فى إتاحة الفرصة لبعض النساء للخروج إلى العمل فى المصانع، لا من قبيل التحرر فى الفكر ولكن انتهازا لفقرهن وحاجتهن للعمل، واستغلالا لطاقتهن الإنتاجية بأجور زهيدة، لتحقيق الكسب الكبير لأصحاب الأعمال من الرأسماليين.

(الباحثة)

دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر فى العصر الحديث :

تحليل تاريخى :

أعقب انفتاح مصر الحضارى على أوربا أثناء الحملة الفرنسية وما بعدها فى عهد محمد على، والذى أحدث تغيرات جذرية هامة فى البناء الاقتصادى المصرى (إلغاء الالتزام وظهور الملكية الخاصة فى الأراضى الزراعية، ونشأة احتكار الدولة) أن بدأ الصراع بين الاتجاهات التقليدية القديمة، والاتجاهات العصرية التجديدية.

ولايمكن لنا أن نعرض لدور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر، فى العصر الحديث، بمعزل عن هذا الصراع الفكرى بين اتجاهين جد متعارضين:

أولهما: اتجاه تقليدى قديم راسخ ذو جذور ضاربة فى أعماق المجتمع ويستمد قوته من الأشكال التقليدية لعلاقات الإنتاج التى سادت مصر زمنا طويلا.

ثانيهما : اتجاه عصرى تجديدى عبر عنه عدد من المثقفين والمستنيرين ابتداء من رفاعة الطهطاوى إلى علي مبارك وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وقاسم أمين، ومنصور فهمي، ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم.

وقد كانت صورة المرأة المصرية التقليدية السائدة حتى حوالى أوائل القرن العشرين، هى صورة الأم التى تهتم بشئون البيت، ورعاية الزوج والأطفال، كما كانت سيدة المنزل المحجبة التى يعولها زوجها، ويتكفل بمطالبها، ويجنبها الخروج ولو لشراء لوازمها الشخصية، أمل كل فتاة ومثلها الأعلي، ويكفى أنه كان من أرفع آيات التكريم للمرأة أن يشار إليها جينئذ بأنها «السيدة المصونة والجوهرة المكنونة» وفى إطار هذه التقاليد والقيم، كان الجهل، والأمية، والحجاب، فى التوارى عن أنشطة المجتمع حال الأغلبية العظمى من النساء والفتيات.

أما من أتيحت لهن فرص الذهاب إلى المدراس، فكن أقلية، وكانت أغلبيتهن من بنات الطبقة المحدودة الدخل، اللاتى أقبلن على التعليم الحكومى الموجود حينئذ والذى انحصر فى عدد محدود من المدارس الأولية والابتدائية، ومدارس إعداد المعلمات، والممرضات بغية تعلم مهنة شريفة تساعدهن

على كسب العيش، ولذلك كانت أولى الوظائف التى عملت فيها المرأة المصرية هى مهنة التوليد والتمريض ثم مهنة التدريس[1].

وكان أول عهد الفتاة بالتعليم فى مصر عندما أنشأ محمد على مدرسة الولادة عام ١٨٣٢ كإحدى الأجهزة التى أنشئت فى ذلك العهد لخدمة الجيش والعاملين فيه وعائلاتهم. أما التعليم الرسمى للبنات فلم يبدأ الا عام ١٨٧٣، متأخرا عن تعليم الفتى بنحو أربعين عاما عندما افتتحت المدرسة السيوفية للبنات. إلا أن هذا التعليم سبقه وواكبه أنواع أخرى من التعليم للفتاة تمثلت فى التعليم الذى أنشأته الجاليات الأجنبية، والإرساليات الدينية والطوائف غير الإسلامية (المسيحية واليهودية) إلا أن هذه اقتصرت على تعليم فئات قليلة وطبقات معينة من المجتمع هى الطبقات العليا والدنيا، أما غالبية فتيات الأسر من الطبقات المتوسطة فلم يكن لها مكان فى التعليم القائم حينئذ إلا فى الكتاتيب.

غير أن هذه الأوضاع، وتلك القيم المحافظة التى كانت تستحسن الحجاب، وتستهجن الخروج للعلم والعمل، لم تظل طويلا على ثبوتها بل أخذت تتزعزع من جذورها، بفضل ما كان يتردد فى جو المجتمع من صدى للصيحات المتكررة التى كان أطلقها رواد الفكر المتحرر، ودعاة التجديد والإصلاح وفى مقدمتهم رفاعه الطهطاوي[2]. الذى عبر عن آرائه التحررية فى كتابيه (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز) و (المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين) ونادى فى كتابه الأول برفع سن الزواج إلى خمس وعشرين سنة حتى يمكن للمرأة أن تتعلم، ونادى فى كتابه الثانى بوجوب تعليم الفتاة وبين عدم تعارض هذا التعليم مع التشريعات الإسلامية.

ثم جاء بعده الشيخ محمد عبده [3] الذى وصل إلى منصب مفتى الديار المصرية، والذى دعا إلى ضرورة تعليم المرأة، وتحسين ظروفها الاجتماعية، وأعتبر ذلك أمرا جوهريا فى برنامج النهوض بالمجتمع، وأيد آراءه ببيان مركز المرأة الممتاز فى الإسلام.

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث ـ المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص عن المرأة، سبتمبر ١٩٧٥، المجلد ١٢، ص ٩٩.

(٢) ولد سنة ١٨٠١م وتوفى سنة ١٨٧٧م.

(٣) ولد سنة ١٨٤٩م وتوفى سنة ١٩٠٥م.

ولم تتوقف صيحات التجديد والإصلاح، بنهاية القرن التاسع عشر بل امتدت إلى القرن العشرين بمجيء قاسم أمين [1] الذى جدد دعوة كل من رفاعه الطهطاوى، والشيخ محمد عبده، ووسع نطاقها، ونشر كتابيه «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» ودافع فيهما عن تعليم البنات وتحريرهن من رق الجهل. وشقاء الحجاب مبينا أن النساء والرجال فى المجتمع شقان لايتعارضان ونصفان متكاملان، وأن بقاء النساء فى الجهل معناه تعطيل لإنتاج نصف المجتمع بل للمجتمع كله. كما دعا بشدة إلى الأخذ بأيدى النساء وإعدادهن ليشتغلن مثل الغربيات بالعلوم، والفنون الجميلة، والآداب، والتجارة، والصناعة، ليستطعن كسب معاشهن بدلا من بقائهن عالة علي الرجال[2].

وتعد الكاتبة الاجتماعية والشاعرة ملك حفنى ناصف التى اشتهرت باسم «باحثة البادية» واضعة الحجر الأساسى لدور المثقفات المصريات فى التغيير الاجتماعي، فقد استفادت هذه السيدة بالجهود التى بذلها المثقفون الرجال، رواد تحرير المرأة الذين أشرنا إليهم، وفى مقدمتهم جهود قاسم أمين. وقد كانت ملك حفنى ناصف تمتاز بثقافتها العربية العريضة وإجادتها فى الوقت ذاته اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وسعة اطلاعها على كثير مما كتب فى الموضوعات الاجتماعية، **وقد نبغت ملك حفنى ناصف فى التأليف إلى حد أن لطفى السيد قال إن كتابتها صورة الكاتبات العربيات اللائى تفوقن على كثير من الكتاب الرجال**[3]. ولم تكن باحثة البادية أول كاتبة فحسب، بل كانت ايضا أول خطيبة جمعت النساء، وخطبت فيهن لتوعيتهن، وحثهن على المطالبة بحقوقهن، وكانت تنادى بالتعليم الإلزامى فى المرحلة الأولى، وفتح آفاق العلم أمام الفتاة، ومساواتها بالفتى، كما كانت تناشد الرجال أن يعزفوا عن الأساليب الرجعية، والتزمت فى معاملة نسائهم، حتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية. وقد توفيت سنة١٩١٨.

(1) ولد سنة ١٨٦٥م وتوفى سنة ١٩٠٨م.

(٢) انظر ايضا قاسم أمين، تحرير المرأة، ص١٩ـ ٢٠، ٥٦ الى ٩٢.

وانظر أيضا قاسم أمين، المرأة الجديدة، ص ٣٢ الى ٤٢.

(٣) درية شفيق وإبراهيم عبده، **تطور النهضة النسائية**، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٥، ص١٢.

ثم دخلت الحياة العامة للمرأة، خلفا لباحثة البادية فى حمل الشعلة الثقافية رائدة مثقفة أخرى هى السيدة **هدى شعراوى** [1] التى كانت تنادى بتعليم المرأة ومساواتها بالرجل، وبخاصة فى الحقوق السياسية. وإتاحة الفرصة لها كى تعمل وتؤدى واجبها نحو الوطن، كما كانت ترى أن الاستقلال السياسى لايقوم ولايؤمن عليه إلا بالاستقلال الاقتصادي[2] ولقد عززت قولها بالعمل، فأنشأت أول مصنع للفخار والزجاج الراقيين فى روض الفرج بالقاهرة، ونادت بترويج الصناعات الوطنية النافعة وشجعت الجمعيات النسائية الموجودة حينئذ على تعليم الفتاة نسج السجاد وأشغال الحياكة والتطريز، وهكذا يتقن مهنة تدر عليهن الكسب فضلا عن شغل أوقات فراغهن بطريقة نافعة.

وقد تميزت هدى شعراوى بالشجاعة فى الدفاع عن آرائها والعمل من أجل المبادئ التى تقتنع بها، وركزت جهودها فى الاتحاد النسائي. وقد أجرت اتصالات بسيدات أجنبيات ودعتهن إلى القاهرة لإلقاء محاضرات عن المرأة وحقوقها ومشاكلها. وكانت أول من رفع الحجاب، وأول من نظم مؤتمرا نسائيا عربيا عام ١٩٣٨ للدفاع عن قضية فلسطين[3].

وكانت مصر تجتاز بعد الحرب العالمية الأولى، محنتها الأولى وتصارع من أجل الحصول على الاستقلال وكانت هذه المحنة هى الفرصة الأولى، التى استطاعت فيها المرأة المصرية بعامة والمثقفة المصرية بخاصة، أن تظهر قدرتها على الإسهام فى حل مشكلات وطنها جنبا إلى جنب مع الرجل وبدرجة لاتقل عنه، وكسبت المرأة المصرية وقضيتها تأييدا كبيرا من رجال الفكر والسياسة نخص بالذكر منهم سعد زغلول الذى كان يرى أن التربية السياسية للنساء يجب أن تعدها الشعوب كأول دور من أدوار الحضارة[4].

---

(١) ولدت هدى شعراوى سنة ١٨٩٧ وتوفيت ١٩٤٧.

(٢) مجد الدين حفنى ناصف، *تحرير المرأة فى الاسلام*، ص٣٦.

(٣) *المرأة فى مصر*، وزارة التعليم العالى، ١٩٧٥، ص٣٤.

(٤) مجد الدين حفنى ناصف، *المصدر السابق*، ص ٣٧ - ٣٨.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر ثالثة الرائدات المثقفات من المصريات اللائى كان لهن دور فعال فى التغير الاجتماعى فى مصر، وهى المجاهدة **صفية زغلول**(١) زوجة الزعيم سعد زغلول، التى شاركت سعدا فى كفاحة الوطنى، وكانت له نعم الزوجة المخلصة، ونـعم الصاحب المعين، وقد خلفت سعـدا فى إذكاء روح الأمة وشحذ عـزائمها بعد نفيه مما أرغم المسـتعمرين على السمـاح لها أن تذهب حيث تشاء بعد أن كانوا يأبون عليها الذهاب إلى سعد فى منفاه.

وقد قـامت صفية زغلول بدور كـبير فى نشـر الوعى بين أبناء الشعب وبين النسـاء خاصـة، وكان بيـتهـا «بيت الأمة» مـعـقلا من مـعاقل الوطنيـة وسمـيت «أم المصريين» لمواقفها الوطنية الرائعة بجانب زوجـها العظيم، ولقيادتها الثورة فى غياب زوجها (٢).

وهكذا وبفضل ما أتاحته ظروف البلاد السياسية، ونشاط الحركة القومية فيها من فرص العمل الوطنى الجرىء، استطاعت المرأة المصـرية وبخاصة المثقفة، إطلاق إمكاناتها، وإثبات كفاءتها ونجاحـها، وكان من آثار ذلك أن المجتمع بدأ يغير نظرته الرجعية نحوها، ويعترف بأهمية جهودها وقدرتها فى تقدم البلاد، مما شجع الدولة بعد أن نالت أولى مراحل استقلالهـا سنة١٩٢٣، على أن توليها عنايتها، وتحسين اعدادها للعمل، وتتيح لها مزيدا من فرص التـعليم المختلفة. وأخذ المعنيون بشئون التـعليم يتوسـعون نسـبيـا فى نشر المدارس المخـصصـة لها فى المراحل الأولـية، والابتدائية والثانوية.

فقـد ظلت الفتـيات الحـاصلات على الشـهادة الابتـدائية منذ مطلـع القرن لايجدن السبـيل إلى الالتحاق بمراحل تعليـمية متقـدمة، اللهم إلا **مدرسة معلمات السنية** التى أنشئت سنة ١٩٠٠ من أجل إعداد مدرسات لمواجهة التوسع فى تعليم الفتـاة فى المرحلة الابتدائيـة والأولية. وفى سنة ١٩٠٩ قـررت الجامعـة الأهلية أن يتضمن جـدول الدراسة إلقاء محاضـرات بالفرنسية خـاصة بالسيدات. كمـا يشير تقرير الجـامعة عن العام الدراسى ١٩٠٩/ ١٩١٠ أن عـدد طلبة الجامعـة حتى ١٥

---

(١) ولدت فى ١٦ يوليو ١٨٧٦، وتوفيت فى يناير ١٩٤٦.

(٢) كانت صفيـة رغلول رئيسة شرف لجنة السيدات الوفـديات التى تألفت سنة ١٩٢٩ للعمل الوطنى السياسي.

فبـراير ١٩١٠ كان ٤٣٠ طالبـا من بينهم٨٦ من السـيدات، بينهن ٣٥ مـصرية، والباقيات عثـمانيات وأجنبيات. إلا أنهن لم يقيدن كطالبـات منتظمات بل حضرن كمستمعات فقط.

وفى عام ١٩٢٠ فـى أثر نضال المرأة ومشـاركتـها فى الحـركة الوطنيـة عام ١٩١٩، أنشـئت أول مدرسـة ثانوية للبنات هى مـدرسة الحلمـية الثـانوية،إلا أن مناهجـها لم تكن مماثـلة لمناهج مدارس البنين ولـم تكن تؤهل إلى الحصـول على الشهـادة الثانوية، ومن ثم وجـدت المرأة المصرية نفـسها حـبيسـة هذه المرحلة من التعليم، حتى كان عام ١٩٢٥ بعد صدور دستور ١٩٢٣ ــ الذى قرر مبدأ المساواة بين المصريين فى الحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من واجبات.

وكنتاج للمطالب التى تقدم بها الاتحاد النسائـى المصرى(الذى أسسته السيدة هدى شعـراوى فى مارس ١٩٢٧، والذى نجـحت فى جعله مـنذ نشأته فـرعا من الاتحاد النسائى الدولى)، من أجل إتـاحة التعليم الثانوى والعالى للفـتاة، أنشئت المدرسة الثانويـة التى تماثل مناهجها مناهج البنين وتسمح للفـتاة بالتقدم لامـتحان الشهادة الثانوية فى عام ١٩٢٩ التى تؤهل للالتحاق بالجامعة.

وبذلك استلزم الأمـر عشرين عـاما كاملـة من الجهد والعـرق والكفاح من جانب المرأة المصـرية، والمرأة المثقـفة على وجه الخـصوص؛ لأنهـا هى التى قادت المسيرة دائما لكى يصبح للمصرية الحـق فى الحصول على درجة علمية تؤهلها إلى الخروج إلى ميدان العمل. وكان أول عدد من الطـالبات يلتحق بالجامعة لأول مرة عـام ١٩٢٩هو ١٧ طالبة التـحقن منهن ٤ بـكلية الآداب، وطالبـة واحدة بكليـة الحقوق، وثمانى طالبات بكلية العلوم، ، وأربع طالبات بكلية الطب. وكانت هذه هى الكليات التى تضمها الجامعة فى ذلك الوقت، ولـم يكن قد مضى على افتتاح الجامعة الحكومية سوى أربع سنوات فقط.

وقد كان قبول الفتيات لطلب العلم فى أول جامـعة حكومية رسمية (جامعة القـاهرة حاليـا) نقطة تحـول بارزة المعالم فـى دور المثقـفات المصـريات فى التـغيـر الاجتماعى فى مصر وتغيير نظرة المجتمع إلى المرأة تغييرا جذريا.

وكان التحاق الطالبات بالكليات المذكورة آنفا يبدو وكأنه أمر طبيعى؛ إذ إن المجتمع يرى أن هذه التخصصات تتفق وطبيعة المرأة، ومع ذلك فقد أثار التحاق الفتاة بالجامعة الكثير من النقاش والجدل، داخل الجامعة وخارجها، ما أدى إلى تأخر دخولها الكليات الأخرى بعض الوقت.

فلم تتح للفتاة الالتحاق بكلية طب الأسنان إلا عام ١٩٣٢، والتجارة والصيدلة عام ١٩٣٥، والهندسة والزراعة عام ١٩٤٥، وكلية الطب البيطرى عام ١٩٤٧، وكلية دار العلوم عام ١٩٥٣، هذا، وقد حظيت المرأة المصرية بنصيب أكبر من التعليم عندما فتحت جامعة الإسكندرية فى سنة ١٩٤٢.

ولم يقتصر التعليم العالى للفتاة على الجامعة ولكن بدأت الدولة فى إنشاء معاهد عالية خاصة بالطالبات ابتداء من عام ١٩٣٣، فقد كانت هذه المعاهد تحقق حلم المرأة فى الحصول على تعليم عال بالمجان ترضى عنه العائلات المحافظة لانه غير مختلط ولايثير جدلا كما حدث عند التحاق الفتاة المصرية بالجامعة وخلال الفترة من عام ١٩٣٣ إلى ١٩٥٢ أنشئت المعاهد الآتية:

المعهد العالى للمعلمات لتخريج نوعية أفضل من مدرسات المرحلة الابتدائية والثانوية، وأربعة معاهد فنية هى معاهد التدبير المنزلى - التربية الفنية - الموسيقى - التربية الرياضية [(١)].

وفى الفترة من حوالى عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٢ التى بدأت بعد انتهاء الحرب العالمية، وامتدت إلى أوائل الخمسينيات، زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى لصالح المرأة، وأرسلت دفعات قليلة فى بعثات دراسية إلى الخارج وعدن يحملن أرقى الشهادات فى تخصصات شتى فى نفس الوقت الذى أتيح فيه للدفعات الأولى من الفتيات المصريات الالتحاق بالجامعة.

وأصبحت هؤلاء وهؤلاء يمثلن « **زبدة المثقفات** » من قادة الرأى فى أماكن عملهن، كما أصبحن طلائع طيبة للمرأة المصرية المثقفة المتطورة، وقد كان لنجاح الرعيل الأول من الجامعيات اللائى تخرجن فى مصر، والمبعوثات اللاتى أتممن دراساتهن فى الخارج، أكبر الاثر فى تشجيع الفتيات على الإقبال على التعليم

---

(١) المرأة فى مصر، المصدر السابق، ص٨١ - ٨٢.

العالـى اقتداء بهـن، كما حـفز هذا النجـاح فى الوقت نفـسه اهتـمام المسئـولين وشجعهم على السير بخطى أكثـر سرعة، إلى مزيد من التوسع فى تعليم الفتاة فى جميع المراحل، وإتاحـة الفرصة لها لتخوض غـمار الحياة الاجتماعـية والعمل فى مخـتلف المجالات لا فى مـيادين الأدب والفنون فـحسب، بل فى ميـادين العلوم البحتـة، والعلوم التطبيقية على وجـه الخصوص، وأصبحت الفـتاة أوفر حظا من التعليم الجامعى بإنشاء جامعة عين شمس ١٩٥٠.

ثم كانت ثورة ١٩٥٢ بداية جديـدة لمرحلة ازدهرت فيها المثقـفات المصريات وزاد عددهن وتأثيرهن فى المجتمع وكان ذلك هو الإفراز الطبيـعى والنتيجة الحتمية للتغيرات التحويلية التى واكبت هذه الفترة من سنة ١٩٥٢ إلى يومنا هذا.

وتحقيقا لمبـدأ إقامة عدالة اجتماعية بين الجنسـين، وهو أحد المبادئ الستة فى دليل عمل الثـورة المصرية ١٩٥٢، نص فى الدستور الجديد الـذى أعلن فى مصر فى ٢٣ يوليـو ١٩٥٦[١] على منح المرأة حـقوقـا سياسـية أسـوة بالرجل، وبذلك استطاعت المرأة أن تدلى بصوتهـا فى الاستفتاءات على رئاسة الجـمهورية، وعلى الدسـتور، وفى الانتـخـابات العامـة لمجلس الأمة، وكـذلك انتـخابات الاتحـاد الاشتـراكى، بل صار لها الحق فى ترشـيح نفسـها لمجلس الأمة(مـجلس الشعب الآن) وفى مجالس ولجان أخرى شعبية.

هذا وقد فازت فـى انتخابات مجلس الأمـة لأول مرة سيدتان من المثـقفات المصريات هما راوية عطية، وأمينة شكرى، ثم بعـد ذلك زاد عدد النساء الأعضاء فى مـجلس الأمة، فى الانتـخابات التـالية سنة ١٩٦٤، وفـازت فيـها ثمـان من المثقفات المصريات هن:مفيـدة عبد الرحمن،وألفت كامل، وكريمة العروسى، ونوال عامر، وبثينة الطويل وزهرة رجب،وفاطمـة بهى الدين، وعائشة حسانين، وهؤلاء أسهمن فى إبراز قضية المرأة ورعـايتها وتوجيهها الوجهة الصحيحـة وبخاصة فيما يتعلق بتعديل قانون الأحوال الشخصية.

وقد أولت الثورة، تعليم الفتاة وإعدادها للعـمل عناية فاقمت كل ما كان قد بذل فى السنوات العديدة السابقة على قـيامها تحقيقا للمبدأ نفـسه وهو إقامة عدالة

(١) انظر « دستـور الجمهـورية المصرية» الصـادر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦، الموسوعـة العربية لـلدساتير العـالمية » مجلس الأمة، القاهرة، ١٩٦٦، المادتان ٣١، ٦١.

اجتماعية،ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن **مبادرة الثورة بتعميم مجانية التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية، قد أتاحت فرصة التعليم لآلاف الفتيات اللاتى كانت ظروف أسرهن الاقتصادية لاتسمح لهن بمواصلة التعليم.**

وقد نجم عن ذلك إقبال شديد على مواصلة تعليم الفتيات، بعد إتمام المرحلة الابتدائية، وهى مرحلة التعليم الإلزامى، وقد ظهرت نتائج هذا الإجراء فى إحصاء المتعلمات فى التعداد العام للسكان عام ١٩٦٠ وتبين منه أن عدد المتعلمات فى ازدياد مطرد بشكل مطرد، وبخاصة أولئك الحاصلات على شهادات، واللاتى تراوحت الزيادة العشر سنوية فى مجموعهن مابين ١٥٠٪، ٣٦٢٪ فيما بين سنوات ١٩٢٧، ١٩٦٠.

وقد حقق تعليم الفتاة على كل المستويات توسعا كبيرا، فقد بلغت نسبة التلميذات إلى جملة التلاميذ عام ٧٤/ ١٩٧٥ فى المرحلة الابتدائية ٣٨٪، وفى المرحلة الإعدادية ٣٤,٤٪، وفى المرحلة الثانوية ٣٤,٤٪، وفى الجامعات ٣١,٣٨٪ عام ٧٣/ ١٩٧٤ والمعاهد العليا والكليات ٣٠,٤٪ (٧٢/ ٧٣) وفى معاهد إعداد الفنيين ٢٨,٧٪ (٧٢/ ٧٣)[1].

أما التوسع فى التعليم العالى فأهم أسبابه مجانيته التى أعلنتها الدولة فى خريف عام ١٩٦٢، وكان لهذا الإجراء أثر فعال فى اشتداد إقبال الشباب من الجنسين على التعليم الجامعي، كما نتج عنه تزايد كبير فى نسبة عدد الجامعيين والجامعيات بالمقارنة بالسنوات السابقة على هذا الإجراء. ومن الأسباب التى شجعت عددا كبيرا من الشباب وبخاصة الفتيات على الالتحاق بالتعليم العالى، تلك التيسيرات المالية على الطلبة والطالبات التى بدأت بإنشاء المؤسسة المالية لمساعدة الطلاب عام ١٩٦١، ثم انشاء صندوق الطلبة لتقديم القروض لطلبة وطالبات الجامعات، والمعاهد العليا ومعاهد إعداد الفنيين، وكذلك تخصيص المنح المالية السنوية للمتفوقين والمتفوقات،ومن الأسباب الأساسية أيضا التى يسرت التحاق الفتاة المصرية بمؤسسات التعليم العالى إنشاء عدد من الكليات الخاصة

(١) انظر المرأة فى مصر، المصدر السابق، ص ٨٣.

بالفتيات[1] واقامة الجامعات الإقليمية التى التحقت بها فتيات الأسر الريفية فى المحافظات المختلفة.

وقد تعدى نشاط الفتاة فى الدراسة مرحلة البكالوريوس والليسانس إلى الدراسات العليا. فأقبلت عليها بأنواعها المختلفة (الدبلوم ـ الماجستير ـ الدكتوراه) وقد بلغ عدد الملتحقات بهذه الدراسات بالجامعات المختلفة ٥٧٠٢ طالبة فى العام الجامعى ٧٣/ ١٩٧٤ يمثلن ١٨,٤٪ من إجمالى المقيدين.

واكب إعداد الفتاة المصرية علميا فى الداخل، إعدادها فى الخارج فأرسلت للدراسة بالجامعات والمعاهد فى الخارج فى جميع التخصصات، وقد بلغ عدد المبعوثات فى السنتين الأوليتين من الخطة الرباعية ١٣٢ مبعوثة يمثلن ١٧,٧٦٪ من إجمالى الذين تم إيفادهم للحصول علي الدراسات العليا.

وقد سافرت الفتيات أيضا فى إجازات دراسية للدراسات العليا أو فى مهمات علمية بهدف الاستزادة من العلم، وقد بلغ عدد هؤلاء عام ١٩٧٥ ـ ٤٣٣ يمثلن ١٣,٦٤٪ من إجمالي الموفدين فى إجازات دراسية[2].

أما التوسع فى توظيف المرأة، والذى ترتب عليه خروجها للعمل بشكل لافت عما كان عليه من قبل، فقد بدأ مع حركة التمصير فى الميدان الاقتصادى بخاصة والميادين الأخرى بعامة وذلك فى سنة ١٩٥٧، كما عمل على توسيع مجال توظيف المرأة أيضا البدء فى تنفيذ خطة السنوات الخمس الأولى التى وضعتها وزارة الصناعة سنة ١٩٥٧. أما التوسع الكبير الملحوظ فى توظيفها، فقد جاء على أثر إعلان قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١. لقد شجع الرواج الاقتصادى والتنمية السريعة اللذان حدثا بعد ذلك أولى الأمر علي الالتزام سنويا ابتداء من صيف ١٩٦٤، بتعيين كل المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا، فى الوظائف الكثيرة الجديدة التى أوجدها تنفيذ الخطة الخمسية الشاملة الأولى سنة ١٩٦٠، وفى الستينيات من هذا القرن بدأ نجم المثقفات المصريات فى التألق، وظهرت قيادات من المثقفات فى كثير من الميادين المتخصصة.

---

(١) كلية البنات بجامعة عين شمس، وكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر.

(٢) المرأة فى مصر، ص ٨٤ ـ ٨٥.

ففى الأدب نذكر على سبيل المثال د. سهير القلماوى، د. بنت الشاطئ، د. لطيفة الزيات، د. نعمات فوأد.

وفى التعليم ظهرت كريمة السعيد، وإحسان بدران اللتان وصلتا إلى منصب وكيلة وزارة التربية والتعليم. كما وصلت المرأة إلى منصب العمادة فى الكليات الجامعية الخاصة بالطالبات (كلية البنات جامعة عين شمس، وكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر) وتولت عمادة الأولى من المثقفات المصريات السيدة اسماء فهمى والسيدة فتحية سليمان، ثم الدكاترة رمزية الغريب، وسميحة عبدالوهاب، وتولت عمادة كلية البنات الإسلامية عند إنشائها د. زينب راشد.

وفى مجال العمل الاجتماعى ظهرت زاهية مرزوق أول وكيلة وزارة للشئون الاجتماعية فى مصر، واستقلال راضى، وليلى دوس وبهيجة رشيد وكريمة السعيد وزينب السبكي.

وفى الصحافة نجد السيدة أمينة السعيد، وإيفيلين رياض، وسكينة فؤاد وحسن شاه، وإنجى رشدى، وسناء البيسي، ولاشك أن مجال الصحافة فى مصر يدين لفاطمة اليوسف، ود. درية شفيق بالكثير، وقد كانتا من المثقفات المصريات الرائدات فى هذا المجال.

وفى مجال العمل الدبلوماسى والدولى ظهرت عزيزة حسين، وأبية النفراوى، وهدى المراسى، والأولى هى أول من مثلت المرأة المصرية والعربية فى لجنة المرأة بالأمم المتحدة، والثانية كانت أول ملحقة صحفية للسفارة المصرية بلندن، أما الثالثة فكانت أول دبلوماسية تعمل فى السفارة المصرية بباريس.

وفى الفنون الجميلة ظهرت فنانات مشهورات شاركن فى كثير من المعارض الدولية مثل : تحية حليم، وإنجى أفلاطون. وجاذبية سري، وفى الموسيقى نجد رتيبة الحفنى وسمحة الخولي.

وفى مجال الغناء سطع شمس السيدة أم كلثوم سفيرة للفن العربى فقامت بدور قيادى فى الفن والسياسة معا.

وفى المسرح ظهرت نجمات مثقفات رائدات مثل أمينة رزق وسميحة أيوب وسناء جميل، أما فى السينما فقد ظهرت أسماء لامعة مثل فاتن حمامة وشادية

وماجدة وسعاد حسني،كما تفوقت المرأة فى مجالات العمل السينمائى والتلفزيونى فرأينا على سبيل المثال رشيدة عبدالسلام فى المونتاج وإنعام محمد على فى الإخراج التلفزيوني.

وفي مجال فنون الرقص، أنشئت فرقة باليه القاهرة عام ١٩٦٥، وتشرف عليها السيدة عنايات عزمى، وفى مجال الرقص الشعبى تكونت فرقة رضا وكانت راقصتها الأولى فريدة فهمى،وقد احتضنت وزارة الثقافة هذه الفرقة مما أدى إلى ظهور فرقة شعبية قومية تابعة لكثير من المحافظات،وفى الإذاعة برزت صفية المهندس وآمال فهمي وسامية صادق ومديحة نجيب،وفى التليفزيون تماضر توفيق وهمت مصطفى وسعاد خشيلة،وقد قامت المثقفة المصرية بجهود رائعة فى هذه الوسائل الإعلامية الهامة وبذلت كل طاقاتها للعمل على تطوير البرامج ورفع مستوى الخدمات الثقافية والفنية والإعلامية.

وفى النقابات المهنية برزت أسماء فاطمة عنان وفردوس سعد وكريمة السعيد ومفيدة عبدالرحمن ونفيسة الغمراوى.

وكان اختيار سيدة مثقفة لمنصب وزيرة لأول مرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ حدثا بارزا فى تاريخ المثقفات المصريات، بل فى تاريخ النهضة النسائية فى مصر بعامة ودليلا أكيدا من الثورة على الاعتراف بكفاءة المرأة المصرية المثقفة، ودعما كاملا لدورها ومكانتها فى المجتمع،وكان لاختيارها من صفوف هيئة التدريس بالجامعة - الهيئة العلمية العليا فى مصر - مغزى كبير - وكان أهم ماقامت به **الدكتورة حكمت أبو زيد**، أول سيدة فى تاريخ مصر تتقلد أمور وزارة الشئون الاجتماعيه تنظيم مؤتمرين هامين أولهما خاص بشئون **المرأة العاملة**، وعقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ وثانيهما مؤتمر الأسرة الذى عقد فى ديسمبر ١٩٦٤،وقد جعلت السيدة الوزيرة، التى كانت تخرج للعمل الأكاديمي، شئون المرأة العاملة ومشكلاتها وبخاصة حاجتها إلى **دور حضانة** ترعى أطفالها على رأس قائمة مشروعاتها للاسهام فى التنمية الاجتماعية السريعة.

ويلاحظ أن الفترة من حوالى سنة ١٩٦٦ الى سنة ١٩٧٠ قد تميزت بأنها كانت فترة تقشف اقتصادى أعقبتها النكسة العسكرية سنة ١٩٦٧ التى تلتها فترة

من الاكتئاب الاجتماعى والسياسى، وقد انعكس ذلك على نشاط المرأة المصرية المثقفة فبدا راكدا فاترا.

ولعل أبرز دليل على ذلك هو تقلص عدد السيدات المثقفات المنتخبات فى الدورة الرابعة لمجلس الأمة إلى ثلاث سيدات بعد أن كن ثمانى سيدات فى الدورة الثالثة للمجلس.

وبعد ثورة التصحيح عام ١٩٧١ تحول اسم مجلس الأمة إلى مجلس الشعب وانتخب أعضاء الدورة الخامسة التى تستمر حتى عام ١٩٧٦، ودخل المجلس ثمانى سيدات من المثقفات [1] وقد واكب فترة الصحوة هذه وعى دافق بقيمة المرأة وكيانها، كما بدأ فى تلك الانتخابات التى ظهرت فيها المرأة بشكل واضح كما ظهر فى هذه الفترة **احترام الشعب للمرأة المثقفة الفنانة فى شخص السيدة فايدة كامل واختياره لها نائبة عنه فى مجلس الشعب هو دليل مجسم على بداية الاحترام الشعبى للمرأة فى ذاتها، ولذاتها.**

وقد ظهرت فى هذه الفترة أيضا القيادة النسائية الرسمية للمرة الثانية ممثلة فى اختيار **الدكتورة عائشة راتب** وزير للشئون الاجتماعية وهى أيضا من القيادات الجامعية المثقفة من سلك هيئة التدريس بالجامعة **تصحيحا لمسار النهضة الحديثة للمرأة المصرية المثقفة** وإعادة الثقة فيها واختيارها **لمنصب الوزيرة فى ١٧ يناير ١٩٧٢.**

وقد اهتمت الدكتورة عائشة راتب بتعديل قانون الأحوال الشخصية وذلك بإعداد مشروع قانون قامت بعرضه على مجلس الشعب كما نفذت مشروعا آخر للاستفادة من جهود الشباب من الجنسين فى الخدمة العامة، كان محوره الأصلى تكليف الشابات من خريجات الجامعات والمعاهد العليا بهذه الخدمة.

ومع قيام ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ أنشئت أمانة المرأة وتولت أمانتها فى تلك الفترة السيدة **كريمة السعيد** وأمينتها المساعدة السيدة **فاطمة عنان** ثم تلت السيدة كريمة السعيد فى منصب أمانة المرأة الدكتورة **زينب السبكى** ثم الدكتورة سعاد **أبو السعود.**

وفى سنة **١٩٧٥** اختيرت الدكتورة **آمال عثمان وزيرة للشئون** الاجتماعية وهى تمثل قيادة جامعية مثقفة، وكانت قبل اختيارها للوزارة تشغل إلى جانب

---

(١) هؤلاء هن : مفيدة عبدالرحمن، وألفت كامل، وفايدة كامل، وكريمة العروسى، وزهرة رجب، وفاطمة عنان، ونوال عامر، والدكتورة ليل تكلا.

عملها فى الجامعة منصب الأمينة المساعدة للمرأة، وفى عهدها ظهر إلى النور قانون الأحوال الشخصية وذلك فى سنة ١٩٧٩ الذى اكتسبت به المرأة المصرية مزيدا من الحقوق.

وفى سنة ١٩٧٩ حصلت المثقفة المصرية بخاصة والمرأة المصرية على وجه العموم على مكاسب شتى، فقد حصلت المرأة المصرية على ٣٠ مقعدا فى مجلس الشعب فى مايو من هذا العام، كما **تم تعيين أول سفيرة مصرية وهى د. عائشة راتب أستاذة القانون الدولى ووزيرة الشئون الاجتماعية سابقا** وظهر قانون الأحوال الشخصية المعدل الذى طال انتظار النساء فى مصر له وبخاصة المثقفات منهن.

معوقات فى طريق المثقفات المصريات:

تجابه المثقفات المصريات بعض المعوقات والمشكلات التى يمكن إجمالها فيما يلى:

(١) **الشعور بالاغتراب**: والاغتراب ببساطة هو أن يفقد الإنسان ذاته، أى أن يصبح غريبا عنها [١]. وتعانى المثقفة المصرية بوجه عام اغترابا شديدا لأنها تنتقل اليوم من عهد التبعية الضعيفة المسحوقة المقهورة، إلى عهد التبعية المبدعة القوية.

والمثقفة المصرية تقع فى حيرة شديدة واغتراب أشد لأنها تجد نفسها مطالبة بالشيء وعكسه فمطلوب منها أن تتعلم وتتكسب وتستقل، ولكنها إذا أبدت ممارسة حقيقية لهذا الاستقلال فإنها تعوق بكل الطرق.

أنها تتعلم وتقضى سنوات وسنوات فى تحصيل العلم، لأنها مطالبة بذلك ولكنها تقيم فى الوقت نفسه - عند الزواج - بالمقاييس التقليدية القديمة، من حيث تفضيل كونها صغيرة السن مثلا، وغيرها من المقاييس التقليدية لذلك نجد أنه على الرغم من علمها وتفوقها، وعملها، إلا أنها أحيانا ماتتزوج بلا إرادة ولا اختيار، قبل أن يفوتها القطار، لأنها تقلق على نفسها قلق المرأة التقليدية التى لم تتعلم.

---

(١) انتهى ماركس إلى هذا المعنى للاغتراب فى كتابه مخطوطات اقتصادية وفلسفية عام ١٨٤٤، حين كان بصدد الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الرأسمالى.

إن المثقفة المصرية تتعلم وتعمل مثل الرجل تماما ولكنها مازالت تقيم من حيث هى جسد ناقص أو عاجز، أو فاتن [1].

(٢) صراع الأدوار : أطلق هذا الاصطلاح ليعنى تلك الصراعات التى يدركها الأفراد المتعرضون لها، كما أنه يعنى ذلك الموقف الذى يدرك فيه شاغل مركز معين، أنه مواجه بتوقعات متباينة. ويرى «سبيجل» Spiegel أن هذا الاصطلاح يشير إلى ذلك الموقف الذى تقع فيه الأنا فى اختيار صعب أو مستحيل بين دورين مختلفين.

وتنطبق كل هذه التعريفات لصراع الأدوار على المثقفة المصرية فى المجتمع الحديث فهى تدرك أنها فى صراع، كما أنها مواجهة بتوقعات متباينة من زوجها، ومن رؤسائها فى العمل. كما أنها تقع فى اختيار أصعب بين دورها كامرأة وزوجة، وعاملة.

والأدوار ماهى إلا نتاج لتفاعل اجتماعى سابق، لكنها توجه التفاعل الحالي. وفى المجتمع التقليدي، حيث التغير الاجتماعى فى أدنى حدوده، كان الجيل الأصغر يتقبل توقعات الجيل الأكبر دون مناقشة. أما فى المجتمع الحديث، فإن كثيرا من الناس غير قادرين على العيش وفق متطلبات أدوارهم، فقد تغيرت مواقف الحياة بشكل يجعل كثيرا من أنماط الدور غير ملائمة.

ولقد كانت واجبات وحقوق المرأة فى المجتمع التقليدى محددة واضحة المعالم فى الماضى، أما الآن فقد اعتراها كثير من الخلط، مما جعل الكثير من النساء المثقفات فى مصر اليوم غير متأكدات من أدوارهن الفعلية.

إن المثقفة المصرية الحديثة هى التى تواجه ذلك القدر الكبير من الخلط والفوضى فيما يتعلق بدورها، وذلك يعود ببساطة إلى أن دورها كامرأة مثقفة هو الذى تغير جذريا، إذا ما قورن بدور الرجل، فلم يعد للمرأة المثقفة الحديثة ذلك الاستمرار المحدد فى الدور. فبالاضافة إلى أدوارها التقليدية، فإنها مطالبة بدور الكاسبة الواعية فى عملها،

---

(١) انظر فرج أحمد فرج، المرأة والرجل والمجتمع، الطليعة، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤، ١٩٧٥، ص١٨٤.

والشريكة والصديقة لزوجها، والطاهية ومربية الأطفال ومديرة المنزل فى بيتها، وكل ذلك يزيد مشكلة التكيف لديها.

(٣) الخلط فى تعريف أدوار الرجل والمرأة :

ذلك أن التعريفات الجديدة لدور المرأة المثقفة، وبخاصة كزوجة وأم، تتطلب **تكيفا مصاحبا من الزجل**، وبخاصة الزوج والأب. وقد تشكل هذه التعريفات تهديدا لأنا الرجل، وخصوصا أن أنماط الدور التى بقيت قرونا طويلة، **كانت مبنية على قوة الذكر الاقتصادية والاجتماعية، والقانونية.**

ولما أصبحت المرأة المثقفة تمارس قوة أكبر من تلك التى كانت لها من قبل أضحى الكثير من الرجال، والبعض من النساء يجدون مشقة فى تقبل الأدوار الجديدة [١].

(٤) نسبة الأمية العالية بين النساء فى مصر :

وهى معوق أساسى فى طريق المثقفات المصريات، لأنهن لن يجدن صدى لنشر دعوتهن، وتأثيرهن الثقافى بين نساء جاهلات غير واعيات، بالإضافة إلى أن المرأة الأمية لا تستطيع أن تشارك فى التغير الاجتماعي، وفى التنمية بالقدر الذى تستطيعه لو تعلمت. وجدير بالذكر أن نسبة الأمية بين الإناث فى مصر قد بلغت فى عام ١٩٦٠ ، ٨٤٪، ثم انخفضت فى عام ١٩٧٦ إلى ٧١٪ [٢].

---

(١) ظهر من تقرير للأمم المتحدة عن التكامل النسائى ودوره فى التنمية فى البلاد النامية، أن من أهم معوقات اشتراك النساء فى عملية التنمية فى هذه الدول عاملين هامين هما :

(أ) الاتجاهات التقليدية نحو دور المرأة فى المجتمع.

(ب) الاعتقاد بأن عمل المرأة شيء ثانوى.

انظر : United Nations : Headquarters Report of the Inter-regional Meeting of Experts of the Integration of women Development Sales No.E.73.LV,12June 1971.

(٢) انظر : نوال السعداوى، الوجه العارى للمرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٧٧، ص١٢١

(١) انظر : Spiegel, John P., "The Resolution of Role Conflict Within the Family",in Bell and Vogel (ed.).A Modern Introduction to the Family, the Free Prss, New York, 1968.

خاتمة وتعليق :

حاولت فى الصفحات السابقة أن أحدد معالم واضحة وموجزة لخطى المثقفات المصريات على طريق التغير الاجتماعى. ولعلى قد استطعت من خلال تصور شامل يأخذ بالوحدة، ويستلهم المنظور التاريخى الذى يرى الأشياء جميعها فى حركة دائمة، وصيرورة لا تتوقف ـ أن أضع قضية المثقفات المصريات داخل إطارها الصحيح.

وأستطيع أن أوجز خلاصة ما أردت تقديمه فى الصفحات السابقة فى الأفكار الآتية :

(١) أن هناك فرقا بين مثقفة ومثقفة، فهناك مثقفات رائدات يتقدمن المسيرة ويسهمن إسهامات رائدة كبرى فى التغير الاجتماعى فى مصر، وهناك مثقفات تاليات، جئن بعدهن. تاريخيا ـ وأسهمن إسهامات لا يمكن التقليل من شأنها، وهناك مثقفات سلبيات قد لا يسهمن فى التغير الاجتماعى بنصيب يذكر، ومثقفات معوقات، وهؤلاء يعقن مسيرة التغير الاجتماعى إلى التقدم بما لهن من أفكار وآراء ومعتقدات رجعية. وهناك مثقفات يعقن التغير إلى التقدم بشكل آخر، وذلك بسبب جهلهن بطبيعة المجتمع المصرى، وإصرارهن على استعارة صيغ غربية، أوربية أو أمريكية، لا تتلاءم مع واقعنا الاجتماعى والاقتصادى.

(٢) إن المثقفات المصريات يدخلن فى علاقة جدلية مع المجتمع المصرى، فهن إفراز المجتمع المصرى، ونتاج له من جهة، وهن من جهة أخرى مؤثرات فيه ومغيرات له.

(٣) إن تعلم المرأة المصرية وخروجها إلى العمل، وتحررها اقتصاديا يحولها (بعبارة مستمدة من فلسفة ـ سارتر) من شخص يوجد فى ذاته En-Soi إلى شخص يوجد لذاته Pour Soi أى أن المثقفة المصرية ستوجد لذاتها بعد أن ظلت توجد للآخرين وستستمد وجودها من ظروف حياتها الجديدة التى تعيشها هى بحريتها من خلال الإنتاج. وهنا تنشأ علاقة جديدة بين المثقفة وكينونتها، علاقة أساسها المعايشة الخلاقة الحرة لإمكاناتها الإنسانية الحقيقية.

(٤) إن قضايا التصنيع، وتطوير الزراعة، وتوزيع الثروات إلى غير ذلك لابد أن تنال اهتماما أكبر من المثقفات المصريات، لما فى هذه القضايا من تأثير جوهرى ومباشر على ما هو ذاتى: مشكلة المرأة بوجه عام وما هو موضوعى: مشكلة المجتمع بأكمله [١].

(٥) إن المثقفة المصرية التى تعلمت، ودخلت ميدان العمل الإنتاجى واستقلت اقتصاديا، لابد أن تخلق لها فرص عمل حقيقية، وفى شتى المجالات، الأمر الذى لا يمكن تحقيقه إلا من إعادة تشكيل البناء الاقتصادى أفقيا، ورأسيا، وإدخال تغيير جذرى على علاقات الإنتاج. وفى عملية إعادة التشكيل هذه لابد أن يشترك المرأة والرجل معا.

(٦) إن تركيز نشاط المثقفات المصريات على المدينة ـ فى الأغلب الأعم وانفصال حركة المثقفات فى المدينة عن قضايا المجتمع الأساسية تعنى فى التطبيق، بقاء المرأة الريفية على وضعها المتخلف والمتوارث منذ مئات السنين، مما لا يمكن معه تحقيق الهدف الاجتماعى الأسمى لتحرير المرأة، وهو إحياء نصف المجتمع المعطل، ودفعه إلى المساهمة المنتجة بالتعاون مع النصف الآخر لبناء مجتمع تقدمى قادر على مواجهة تحديات العصر بكامل طاقاته.

وينطبق قولنا السالف الذكر على المثقفات المصريات الريفيات النشأة. اللائى سرعان ما ينسين القرية بعد تخرجهن من الجامعات والمعاهد، أو إرسالهن إلى بعثات، ثم اشتغالهن فى التخصصات المختلفة.

(٧) إن تركيز نشاط بعض المثقفات المصريات سواء أكان ممارسة أو فكرا على رفع الوعى النسائى، والكفاءات النسائية، فى دائرة نسائية منفصلة عن المشاكل الأساسية للمجتمع لا يساعد كثيرا على تحسين الموقف، وربما يؤدى على المدى البعيد، وبعد تطور المجتمع إلى نوع من حركة الرفض النسائية ضد الرجل تحمل ملامح انعزالية على غرار ما نشاهده فى بعض حركات التحرر النسائية فى غرب أوربا وفى أمريكا.

---

(١) انظر : سلوى الخماش، المرأة العربية والمجتمع التقليدى المتخلف، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٠.

إن نضال المثقفة المصرية، لابد أن يسير جنبا إلى جنب مع نضالها مع الرجل من أجل تغيير الواقع المتخلف الذى يعانى منه كلاهما.

(٨) يفوت على بعض المثقفات المصريات، أن دورهن فى التغيير الاجتماعى والتنمية، لابد أن يكون نابعا من ظروف مجتمعهن ومشاكله. **فالتنمية لا تستعار، وإنما هى فى الأصل عملية إبداع.** فأوربا قد درست علوم العرب وفلسفتهم، وأحيت تراث الإغريق والرومان، مركزة الأضواء على جوانبه التى تساند تطلعات التطور، ثم تجاوزت هذا كله بإبداع مستمر فى كل مجالات الفكر والسياسة. وقبلها فعل أسلافنا العرب. فقد أخذوا عن اليونان، والرومان والهند، ومصر، والشام، والعراق، وفارس. ولكنهم تجاوزوا ما أخذوا من إبداع حضارة جديدة زاهية بقدر ما هى أصيلة.

لابد إذن للمثقفات المصريات من نظرة بديلة للتغير والتنمية والتقدم، تقوم على أساس نماذج جديدة، تنبثق من واقعهن، ومنهن أنفسهن كعناصر ثقافية دينامية متجددة. وبذلك يصبح التغير، وتصبح التنمية معتمدين على الذات الحضارية المصرية الأصيلة، ويصبح التعامل مع الحضارات الأخرى، سواء بالتبادل، أو الاقتباس، يتم دون انبهار أو عقد.

المراجع

أولا : مراجع باللغة العربية :

١ـ مراجع عامة :

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، جزء ١ .

(٢) المصباح المنير، القاهرة، ١٩٢٥، جزء ١، ٢ .

(٣) المرأة فى مصر، وزارة التعليم العالى، الإدارة العامة للنشاط الثقافى والعلمى، القاهرة، ٩٧ .

(٤) دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦، الموسوعة العربية للدساتير العالمية، مجلس الأمة، القاهرة، ١٩٦٦ .

(٥) معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة د. إبراهيم بيومى مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥ .

ب ـ كتب ومقالات :

(٦) إنجى أفلاطون، نحن النساء المصريات، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٠ .

(٧) درية شفيق وإبراهيم عبده، تطور النهضة النسائية فى مصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٥ .

(٨) رفاعة رافع الطهطاوى، تخليص الإبريز فى تلخيص باريز، طبعة وزارة الإرشاد، ١٩٥٨ .

(٩) سامية حسن الساعاتى، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٧٢ .



الفصل السابع

أحمد لطفى السيد والمرأة(*)

دراسة فى تحرير المرأة

مقدمة وتعريف :

« أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ ــ ١٩٦٣) مفكر وفيلسوف عربى، ورائد من رواد الحركة الوطنية، ولد ببرقين بالدقهلية. حصل على ليسانس الحقوق ١٨٩٤، التحق بخدمة القضاء، ورقى إلى وظيفة مساعد نيابة ١٨٩٦، فوكيل للنيابة، استقال من منصبه ١٩٠٥، واشتغل بالسياسة. شارك فى تأسيس حزب الأمة، وتولى رياسة تحرير الجريدة (١٩٠٦ ــ ١٩١٤) عاد إلى خدمة القضاء. عين مديرا لدار الكتب المصرية (١٩١٥ ــ ١٩١٨)، فمديرا للجامعة المصرية ١٩٢٥. فوزيرا للمعارف ١٩٢٨. عاد إلى إدارة الجامعة ١٩٣٠، ثم استقال ١٩٣٢. وفى يوليو ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة مديرا للجامعة. عين عضوا بمجمع اللغة العربية ١٩٤٠، فرئيسا له (١٩٤٥ ــ ١٩٦٣). عين وزيرا للخارجية ١٩٤٦، فنائبا لرئيس الوزراء، وعضوا بمجلس الشيوخ. أسهم فى عدة مجامع وجمعيات علمية. ترجم لأرسطو، وجمعت خطبه ومقالاته وأحاديثه، دون مذكراته. نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ١٩٥٨ »[(١)].

كان أحمد لطفى السيد رجلا يعيش فى المستقبل. ويرفض أن يعيش فى الحاضر أو الماضى، وفى أوائل هذا القرن أصدر جريدة «الجريدة» وكانت شيئا جديدا فى صحافة تلك الأيام وفوجئ القراء بدعوة غريبة هى أن « مصر للمصريين».

وكانت الوطنية يومئذ أن مصر ولاية عثمانية تابعة لسلطان تركيا ! ولكن لطفى السيد رفض هذا الرأى، وقال إنه يرفض حكم الإنجليز، لأن الزعيم

(*) بحث نشر فى الكتاب التذكارى عن استاذ الجيل،احمد لطفى السيد، المجلس الأعلى للثقافة، لجنة الفلسفة والاجتماع، ١٩٨٦، ص ص ٦٣-٨٩.

(١) الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص١٩٥٩، ص ٦٢.

مصطفى كامل كان يؤمن بأن علاقة مصر وتركيا إلى الأبد هى «علاقة التابع بالمتبوع » .

وبقى لطفى السيد مصرا على رأيه رغم اللعنات التى انصبت عليه والاتهامات التى وجهت إليه، وكان أغربها أن لطفى السيد « إنجليزى » لأنه يطالب بأن تكون مصر للمصريين لا للأتراك.

ولا يعرف الكثيرون أن أحمد لطفى السيد كان من رواد تحرير المرأة، والداعين إلى تعليمها منذ صغرها، وإعدادها منذ نعومة أظفارها لأن تكون قبل كل شيء إنسانة حرة مستقلة، ذات مبادىء ثابتة وأخلاق حسنة.

وعندما أصدر قاسم أمين كتابه عن تحرير المرأة، قاطعه الناس وحرم الكبراء عليه دخول بيوتهم، وأفتى بعض العلماء أنه خرج عن الإسلام، وكان أحمد لطفى السيد من القلائل الذين وقفوا إلى جانب قاسم أمين. **وقال لطفى السيد يومها أنه لن تمر على مصر أكثر من خمسين عاما إلا وتكون المرأة المصرية وزيرة !** وسمع الخديوى عباس بهذا الرأى، فقال إن لطفى السيد قد جن وأنه يحسن وضعه فى السراى الصفراء، والسراى الصفراء هو الاسم الذى كان يطلق على مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية !

وقبل أن تمضى خمسون عاما على هذا الحديث، كانت المرأة المصرية قد عينت بالفعل وزيرة للشئون الاجتماعية.

ودعا أحمد لطفى السيد إلى الديمقراطية ولعن حكم الفرد. ثم جاءت انتخابات الجمعية التشريعية ورشح نفسه فى بلدته حيث أسرته وعزوته. وتقدم للترشيح ضده رجل لا يقرأ ولا يكتب، وتوقع الناس أن يهزم الفيلسوف الكبير وأستاذ الجيل ومترجم أرسطو ذلك المنافس الجاهل !

وإذا بهذا المنافس الجاهل يثبت أنه أستاذ فى فن الانتخابات. فقد طاف على الناخبين يقول لهم إن لطفى السيد رجل يؤمن بالديمقراطية، ومعنى الديمقراطية أن تتساوى المرأة مع الرجل، فتتزوج المرأة أربعة رجال كما يتزوج الرجل أربعة نساء !

وصدق الناخبون السذج هذه الأكذوبة وأرسلوا وفدا لمقابلة أحمد لطفى السيد، وسألوه : هل صحيح أنك ديمقراطى ؟ وقال لطفى السيد : نعم ! ولى الشرف !

وخرج الوفد يضرب كفا على كف، وذهب وانتخب خصم لطفى السيد الذى لا يقرأ ولا يكتب. وهكذا سقط أكبر أديب وفيلسوف فى مصر فى الانتخابات.

وكان لطفى السيد يؤمن بالتطور والتقدم. وكان يرى أن العقبات التى توضع فى طريق انطلاق الشباب هى عقبات مؤقتة. وكان يفخر أن أعظم أعماله هو إدخال البنت إلى الجامعة (١).

المنتخبات:

يعد كتاب أحمد لطفى السيد «المنتخبات» الذى جمع مادته وأخرجه للناس إسماعيل مظهر مدير «المقتطف»، والذى يضم المقالات التى كتبها لطفى السيد فى جريدته «الجريدة»، خير ما يمكن أن نستعين به لفهم موقف هذا الرائد الكبير من المرأة، وتحليل موقفه منها بخاصة، ومن قضيتها بعامة.

يحتوى كتاب «المنتخبات» فى جزئه الأول، الذى أمكننا العثور عليه بعد عناء، على تسع وثمانين مقالة، بينها عشر مقالات أفردها للحديث عن المرأة فى شتى أدوارها، كابنة، وأخت وزوجة، وأم، ومربية، ومعلمة، وعاملة داخل البيت وخارجه، كما تعالج تلك المقالات أيضا موضوعات اجتماعية على جانب كبير من الأهمية مثل التنشئة الاجتماعية للمرأة منذ نعومة أظفارها، والفرق بين تنشئة الولد وتنشئة البنت، والأخطاء التى يقع فيها الآباء والمربون، وأهمية التعليم فى حياة البنت المستقبلة، وإعدادها لتكون زوجة واعية متفهمة، وأن تربية المرأة أساس صلاح العائلة، وفى صلاح العائلة صلاح الأمة بأسرها.

وهو يمهد لمقالاته عن المرأة، بمقالتين رائعتين له عن قاسم أمين رائد تحرير المرأة، ومؤلف أول كتاب بهذا الوصف، ويطلق عليه لطفى السيد وصف «القدوة الحسنة» إعجابا به وعرفانا بفضله.

---

(١) انظر مصطفى أمين، رجل عاش فى المستقبل، الشرقية، العدد ١١٤، يناير ١٩٨٤، ص ٣٠:٣٣.

وتأخذ مقالات المرأة والتقديم لها مساحة لا بأس بها من المقالات التى حواها كتاب المنتخبات فى جزئه الأول، بين دفتيه فهى تشغل حوالى $\frac{1}{7}$ حجم المقالات بأسرها.

ويتوج لطفى السيد مقالاته عن المرأة، بمقالة جامعة مانعة عن الحركة النسائية فى مصر، فيذكر هدفها، وأهم العقبات التى واجهتها، وظروف نجاحها حتى أصبحت حقيقة واقعة لا جدال فيها.

وقد اتخذ أحمد لطفى السيد لمقالاته العشر التى تتناول المرأة فى شتى أدوارها، وديناميات تنشئتها وتربيتها، العناوين الآتية :

« بناتنا وأبناؤنا »، و «حفت الجنة بالمكاره »، و « لا تضيقوا عليهن »، و«المرأة أيضا »، و « بناتنا »، و « بناتنا وأمهاتنا »، و « صلاح العائلة وصلاح الأمة »، و « سعادة النساء »، و « تربية البنات »، و «المرأة فى البلاد العربية »، و« الحركة النسائية فى مصر ». وسوف نستعرضها بحسب ترتيبها الزمنى فى الصدور.

١ـ قاسم بك أمين : القدوة الحسنة[1] :

كتب أحمد لطفى السيد عن قاسم أمين فى صدر هذه المقالة « من الطبقة المتازة فى كل أمة، يخص الله أفرادا قلائل بصفات استثنائية، يكون ظهورها فيهم واضحا جدا، حتى تكون قريبة من الكمال الوجودى. أولئك هم القدوة الحسنة لقومهم، فيجب أن تفصل صفاتهم وتدرس ملكاتهم وتمجد قدرة الله فى إطرائهم، حتى تصح القدوة بهم، والسير على سننهم. ومن أفضل هؤلاء الأفراد المتازين، فقيد الوطن والعلم : قاسم بك أمين ».

وذكر أحمد لطفى السيد فى معرض حديثه عن قاسم أمين كاجتماعى ورؤيته له من هذه الزاوية : « كان قاسم بك اجتماعيا لا كبقية الاجتماعيين الذين يجعلون أدمغتهم محافظ لآراء الغير، فإذا حضرتهم المناقشة، أو دعتهم الكتابة إلى

(١) أحمد لطفى السيد، المنتخبات، جمع وإعداد إسماعيل مظهر، الجزء الأول، ص ١ وأيضا الجريدة العدد ٣٤٣ ــ ٢٥ من أبريل سنة ١٩٠٨.

موضوع اجتماعى، أخذوا يسردون عليك محفوظاتهم من المؤلفين السابقين من غير أن يكون لعقلـهم فى الموضوع نصيب من الرأى. لا لـم يكن كذلك أبدا **بل كان مفكرا بالأصالة، ناقدا لا يستغنى عن أفكار الغير، ولكنه لا يعتنقها إلا إذا اعتقدها، وصارت له، بما قام فى نفسه عليها من الأدلة اليقينية.**

أما عن قاسم أمين محرر المرأة الأول فى مصر، فقد كتب أحمد لطفى السيد فى المقالة ذاتها محللا لاتجاهه « **بحث قاسم بك فى المسألة الاجتـماعية لمصر على الخصوص، فـوجد أن حلها متوقف على نظام العـائلة المصرية، ووجد أن المرأة هى الأساس الأول لبناء العائلة.** فأخذ يفكر كيف يرقى المرأة المصرية، وأطال فى ذلك التفكير. وأخذ يجمع قوته وعدته لـيفك هذا الإنسان الضعيف من سلاسل الأسر التى قيدته بها العادة. وليهدم هذا السجن العـميق الذى حبس الاستبداد فى غيابته عقول نصف المصريين، وحجب ذلك الضوء الساطع، ضوء روح السيدة المصرية، عن أن ينتشر بين سمائها الصافية، وأرضها المخصبة، انتشارا يضىء للرجال طريق السعادة المنزلية، ويوصلهم من غير عناء إلى ذروة المجد والاستقلال. أجل. ليفك أسر المـرأة التى أوقعـوها فيـه باسم الدين، وما هو من الدين فى شيء، فـالدين أسمح مما يظنون.

فكتب كتاب تحرير المرأة، ثم قفَّاه بكتاب المرأة الجديدة كتبهما فهدَّ بهما ركن سجنها وأضاء لهـا ظلمات الحياة المنزلية والزوجية، وجـعلها تحس بأنها أم الرجل لها احـترامه، وأختـه لها عطفه وحنانه، وزوجتـه لها منه محبـته لذاتها واعـتباره لمركزها، كما هدى لذلك الدين القيم. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

كتب فـأجاد ولم يخش منتـقدا، ولا لائمـا. ولم ينزله خوف الانتـقاد عن فكره من أفكاره، ولا لفظ من ألفاظه؛ ذلك لأنه يـعتقد اعتـقادا كاملا بصـحة ما كتب، ويغريه الاتقاد فى حب البلاد، بألا يعبأ بالانتقاص الذى وجه لشخصه. بل صيره متينا فى رأيه، مكينا فى اعتـقاده، مجاهرا به فى كل يوم، حتى يوم وفاته، بل ساعـة وفاته، إذ يدعـو الله بقلب مليء بالإخلاص، ونفـس مستـضيـئة بنور الحقيقـة، وقلب يذوب أسفا على حال الشابات المصريات، بأن يـكن كغيرهن من شابات الأمم الأخرى، يقدرون العلم ويسعين لاكتسابه.

أخذ قاسم على عهدته حمل هذا العبء الثقيل، عبء السعى بالمرأة المصرية إلى نظام العائلة وبنظام العائلة إلى الرقى الاجتماعى المنشود. وبهذا الأخير إلى استقلال البلاد. فما علمت امرءاً يخاطر بنفسه ويقف حياته لإحياء أمته، بهذه الشجاعة الفائقة كما فعل قاسم. بذلك **تكون شاباتنا مدينات لقاسم بك هنّ أولاً وبالذات،** لأنهن يجب أن يعلمن أن ما هن فيه الآن من المساواة بينهن وبين إخوتهن فى المعاملة المنزلية، الفضل فيه راجع إلى قاسم أمين. وإن قاسما لا يطلب إليهن أن يبكينه كما فعلن، ولكنه يطلب إليهن أن يعملن بهديه، ليقمن بالواجب عليهن نحو أمتهن »[1].

وفى الجزء الثانى من هذه المقالة المعنونة بالعنوان نفسه، لكنها تتخذ الرقم ـ ٢ ـ يواصل أحمد لطفى السيد تحليله لفكرة تحرير المرأة عند قاسم أمين فيقول «**... قلنا إن أول شيء وجه قاسم عنايته إليه، هو ترقية المرأة المصرية، إتيانا للاستقلال من بابه، ودخولا إلى التقدم من نهجه الواضح الخالى من عقبات الصدفة،** ومهاوى سوء البخت، على الرغم من طائفة المتأخرين الذين يكرهون الانتقال من حال إلى حال، ويسكنون إلى عاداتهم الاستبدادية الأصلية فى نفوسهم، لا حرصا على الذين (الذى لا يفهمونه) كما يقولون، ولا مدفوعين بدافع الوطنية كما يدعون، ولكن لأنهم يجدون من جهلهم عجزا عن مجاراة التقدم، واعتقادا بأن الترقى سيرفع عليهم الشبان المتعلمين، ومن أغرب ما يقول أمثال هؤلاء ما روى لنا أمس عن كبير من الظالمى أنفسهم قال : إن فكرة تحرير المرأة التى قام بنشرها قاسم بك أمين، إنما هى فكرة إنجليزية، أريد بها تسهيل السبيل لإنكلترا لتضع يدها على مصر. كبرت كلمة تخرج من فم هذا الذى عد من الذوات، ما أراد بها وجه الله، ولكنه أراد بها إبعاد يوم يجب أن يكون فيه هذا القائل المتأخر مسودا لا سيدا كما هو الآن. ولكن أفكار قاسم أرفع مقاما وأمتن ركنا من أن تصل إليها مثل هذه الكلمات التى تعودنا أن نسمعها عن كل مصلح مخلص. عنى قاسم بترقية المرأة، وعانى فى هذا السبيل ما علم الناس.

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٦.

ثم رأى قاسم بك أن الناس قد فطنوا إلى قوله، وأخذوا بتعاليمه، وجدوا فى فتح المدارس للبنات، وأن نظارة المعارف سمعت نداءه. ترك موضوعه مؤقتا ليعود إليه بعد، وأخذ يبنى للعلم العالى صرحا لا يبيد فأخذ بيد الجامعة المصرية، والناس يعلمون ما لاقى فى سبيلها من الصعوبات. . . » (١).

٢ ـ بناتنا وأبناؤنا :

فى هذه المقالة يبرز أحمد لطفى السيد **أهمية تعليم البنات فى حياتهن المستقبلة كزوجات واعيات متفهمات** لأزواجهن المتعلمين وأثر ذلك على السعادة العائلية التى هى أساس السعادات الأخرى، وعلى التنشئة السليمة للأبناء، فيقول: «. . . لأن التعليم يوجد بين المتعلمين شبها عظيما، خصوصا إذا كانت طريقة التعليم واحدة. فتعالوا بنا إلى المدارس؛ لا نجد فيها البنات على نسبة البنين. ويكون من الطبيعى أن كل متعلم لا يستطيع إذا كبر، أن يتزوج بمتعلمة. وعلى ذلك لا يمكننا أن نحصل السعادة العائلية التى هى قاعدة جميع السعادات الأخرى. فإما أن نرضى بتردد الشبان فى الزواج وكرههم له، وهذا خطر على الأمة المصرية، خطر من حيث النحو العددى، ومن حيث كمية الرقى الأدبى الذى ينقله الوالد المتعلم لولده بحكم الوراثة.

إنه لا سبيل لملاقاة هذا الخطر إلا بإكثار عدد المتعلمات من البنات. وتقريب معلوماتهن العامة من معلومات البنين بقدر المستطاع. فإن التى لا تعرف إلا القراءة والكتابة لا تعلم شيئا، بل لابد لتكوين ملكة الفهم أو إنمائها، وتقوية الاستعداد لقبول الآداب العالية ومبادىء الأخلاق، من العلوم المختلفة. كالعلوم التى تدرس فى المدارس الثانوية.

ويبرز أحمد لطفى السيد بعد ذلك رأيا هاما له جدير بأن نتوقف عنده وهو أهمية ألا تنسى الفتاة التى تتعلم تعليما أجنبيا وبخاصة فى مدارس الراهبات، عادات أهل بلدها وقيمهم وخصوصا تلك العادات المتعلقة باجتماعيات العائلة المصرية، وذلك حتى تستطيع المواءمة فى نظره بين الأصالة والمعاصرة. وفى هذا

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٩، ١٠.
وأيضا الجريدة، العدد ٣٤٤، ٢٦ أبريل سنة ١٩٠٨.

يقول: « إن مدارس الراهبات يعلمن من ذلك شيئا قليلا، ولكنى إذا نصحت بأن يكون المعلم راهبا أو راهبة لا غرض له فى الحياة إلا التعليم، فإنى لا استطيع أن أنصح للفتيات المصريات بأن يمضين سنى تعلمهن كلها عند الراهبات، ذلك ؛ لأنهن بعد ذلك يتممن الدراسة، ثم لا يكون بينهن وبين أمهاتهن وخالاتهن وبقية أخواتهن المصريات من الشبه الشيء الكثير. **ولابد للفتاة المصرية المتعلمة من أن تكون فى تربيتها ذات طرفين : طرف متمدن مصفى بمصفاة التمدن الحديث تتفق به مع زوجها الشاب المتعلم، وطرف آخر يدخل فى تركيبه مقدار كثير من عادات السيدات المصريات تتفق به مع أمها وحماتها وعائلة زوجها.** فخير للفتاة المصرية أن تتعلم، أو تتم تعليمها فى المدرسة « السنية » عند الإمكان.

نقول تتم تعليمها ولا نعرف إذا كان آباء الفتيات يرضون بتركهن فى المدرسة إذا تجاوزن الرابعة عشر من عمرهن، حتى يدخلن القسم الثانوى من المدرسة «السنية » فتتربى عقولهن تربية تضمن لهن إرضاء مطامع أزواجهن، أو يغارون عليهن غيرة ليس لها سبب جدى، فيقطعون عليهن طريق سعادتهن، ويكتفون منهن بالمعلومات الابتدائية التى ليس لها فى ملكات الفتاة إلا أثرا محدودا، إذا نفعها اليوم فى أن تتزوج من شاب مهذب، فإنه لن ينفعها غدا حين يوجد لها مثيلات تعلمن العلوم الثانوية، فصرن بذلك أحق منها بسعادة العشرة مع رجل كفء ذى عقل كبير وفضائل ومركز سام بين الناس.

خلوا بين البنات وبين سعادتهن، ولا تضيقوا عليهن متسع الحياة، ولا تكسروا بأيديكم مستقبلهن، ولا تعبثوا بسعادتهن اتباعا لهوى الغيرة وخوفا مما لا خوف منه عليهن. فإن المرأة الفاضلة أنفع للأمة من الرجل الفاضل أضعافا، بمقدار عدد ما ترزق من الأولاد »[1].

٣ـ حفت الجنة بالمكاره :

فى هذا المقال الذى كتبه أحمد لطفى السيد بعد المقال السابق بحوالى ثلاثة أشهر يواصل حملته فى الحث على تعليم البنات وأهميته البالغة فيقول : « كذلك فى تربيتنا الاجتماعية. فإنا كنا ننفر جدا من فكرة تعليم البنات، وكان بعضنا يرى

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١٨، ١٩.

من العار والمسبة، أن يعلم عن ابنته أنها تكتب، لما كـان بين كتابة السيدة وقراءتها روايات الغرام، وبين التـهتك، من التـلازم الخيالى فى نفـوس العوام. وإنى واثق الآن أن **كثيرا من الآباء الذين كانت تجرحـهم فكرة تعليم بناتهم، أصبحوا يغبطون الآباء الذين لـم يقفـوا فى تعليم بناتهم عند حد القـراءة والكتابة، بل أرسلوهم إلى أوروبا ليدرسن العلوم المختلفة** .... »[1].

٤ ـ لا تضيقوا عليهن :

هذه المقالة ــ فى نظرى ــ من أقوى وأحـسن ما كتب الأستاذ الكبـير أحمد لطفى السيد عن المرأة المصرية، ففيها يتعرض لنقاط محورية وجوهرية بشأنها، فهو يتحدث عن تنشـئتها الاجتمـاعية، وإعدادها لأدوارها المختلفة وكـيف أنها أساس العائلة، التى يكون فى صلاحها صلاح المجتمع بأسـره. وعن حريتها الشخصية، وأهمية إعطائها هذه الحرية. . إنها بحق مقالة تقدمية سابقة لعصرها تدل على سعة فى الأفق وعمق فى النظرة إلى المرأة بموضوعية حقة، كمـا يتبدى فيها تأثره الكبير بقاسم أمين.

يقول أحمد لطفى السيد مستهلا مقاله هذا « **بالعائلة يجب علينا أن نبتدئ فى إصلاح نظامنا الاجـتماعى. وبتربية المـرأة نبدأ فى إصلاح العائلة. فـتربية المرأة، هى كل ما يجب أن نصرف إليه جميع قوانا الموجهة لإصلاح جمعيتنا المصرية**، كما قال بذلك الرجل الكبير قاسم أمين.

غيـر أن هذا المذهب لايزال قولا تلوكـه الألسنة، ولا يصل منه إلى القلوب شيء، لأن الناس إنما يقلدون فـيـه غيـرهم، فيـقولونـه فى المجلس بمدة قليلة أو كثيرة، إظهاراً لبيان **اهتمامهم بإصلاح شؤونهم، ودليلا على أنهم غير متأخرين فى الفكر عن الطبقة الراقية. لا أنهـم حقيـقة مقتنعون تمام الاقتناع بهذه النظرية، دائنون بهذا المذهب**...

ترى كثيرا من الـذين يقولون بتربية المرأة يقولون أيضا بمنعـها من التوغل فى تعلم العلوم التى يتعلمها الشبان. أليس هذا يعد ضمنا دعوة إلى عدم تربية المرأة، التى يقرونها فى أصلها ؟

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٤، ٢٥.
وأيضا الجريدة، العدد ٤٠٧، ٩ يوليو سنة ١٩٠٨.

ترى كثيرا من الذين يقولون بتحرير المرأة يسوؤهم مع ذلك أن يروها تخرج إلى النزهة، أو تعدل من زيها القديم، فتضيف إليه أو تنقص منه، ما جاءت به الموضة الجديدة النافذة القانون على الرجال والنساء جميعا، بحكم حب الجميل، وعدم الصبر على لبس واحد. يكرهون منها أن تتزين كما تشاء. والرجال جميعا من شيوخ وشبان أول ما يفكرون فيه صباح اليوم، هو تنظيف الوجه وحلق اللحية وفرق الشعر أو تسريحه. إذا جرحت أنظارهم مشاهد المرأة على غير ما يحبون، **ضاقت صدورهم عن احتمال تقدم المرأة فى الحرية الشخصية، ورجعوا إلى الكتاب الأقدمين، فجاءوا من أقوالهم بما يهدم حرية المرأة، تاركين فى العقل ما يثبت لها احترام حريتها الشخصية، كما تحترم حرية الرجل، آخذين من الشرع ما يثبت تفضيل الرجل عليها فى بعض المواطن، تاركين احترامه لحريتها فى جميع تصرفاتها، ووصية الرجال أن لا يضاروهن ولا يضيقوا عليهن.** ثم يضيفون إلى ذلك إلقاء مسئولية خروج النساء عن حدود ما يشتهون من جمودهن، تحت اسم الوقار والحشمة، مرة على الحكومة، وأخرى على النظام الاجتماعى، وتفريط الكتاب فى نقد ما سموه بالتبذل وتهاون الآباء والأزواج، فى دفع أزواجهم وبناتهم عما حسبوه التبرج المعيب. يريدون بذلك إقامة الحسبة للرجال على النساء، فلا تلبس الواحدة إلا ما يريد غيرها ؛ ولا تفهم إلا ما يريد غيرها ؛ ولا تنظر للأمور إلا بعين غيرها ؛ ولا تسمع إلا بأذنه ؛ ولا تأكل إلا ما يشتهى. أليس ذلك هو الاستعباد بعينه، المناقض لتحرير المرأة الذى يريدونه ؟

... وهل يتفق حبنا للاستقلال الذاتى، وإنماء ملكة الإبداع والاحترام، مع كراهتنا للاستقلال الذاتى للمرأة ؟ أم هل يتفق إبقاء المرأة على تجردها عن الاستقلال الذاتى، ومطالبتنا إياها بأن تربى لنا رجالا أحرارا وناشئة مستقلة. **إن العبد لا يربى حرا، وإنما يربى عبدا مثله، وعلى صورته ؛ وإن الأم لا تعطى ولدها من الأخلاق إلا ما لديها.** فإذا كان عليها أن تتبع نفسها نفس الرجل فى كل شيء. فلا شك أنها تكون بذلك رقيقة ليس لها أخلاق ثابتة، بل أخلاقها دائرة وراء رضا الرجل وعدم رضاه.

أفتطلبون أن يكون بنوكم متلونى الأخلاق، يلبسون لكل حالة خلقا ؛ لا همَّ لهم فى الحياة إلا إرضاء أصحاب السلطة عليهم ؟

إن أقوم المذاهب لتربية البنت، هو إعدادها من يوم نعومة أظفارها لأن تكون قبل كل شيء إنسانة حرة مستقلة، ذات مبادىء ثابتة وأخلاق حسنة ؛ ثم فتاة متجملة، ثم زوجا حصنا، مطيعة تعرف الجمال، وتفهم الزينة ؛ وترضى زوجها الحر، لا زوجها المستبد. ثم أما مثالا فى التقوى والطيبة والقناعة، محبة لأولادها، مربية إياهم على مبادئها، معلمة إياهم كيف يحبون بلادهم ويخدمونها، ويضحون بأموالهم وأوقاتهم وحياتهم فى إسعادها. ذلك هو المقصود من تربية المرأة. ولا شك فى أن القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن، على ذلك المعلم الذى كل فضله أنه مصحف حى ؛ كل أولئك لا يمكن بحال أن يخرج من الطفلة الخالية الذهن، فتاة كاملة شأنها كما وصفنا. بل لابد لتخريج تلك الفتاة المحبوبة، والزوجة الأمينة، والأم القدوة، من علوم شتى وتعاليم كثيرة وأوقات طويلة ودروس جدية على يد أساتذة مقتنعين بأهمية ما يحاولون، فاهمين ماذا يعملون.

أول درس يجب أن يلقى على الطفلة المصرية مع الألف باء، هو كونها مخلوقا حرا، وهبه الله حريته، وما وهب الله لا يسترده إلا الله. ثم يندرج تعليمها من ذلك كله إلى كل ما يحيط بها من الأعمال. فالأغراض الإنسانية والمعاملات العائلية والاجتماعية. ويلفت نظرها دائما إلى مضار العبودية والتسليم فى الذات ومنافع الحرية والاستقلال، بما يقع من الأمثلة اليومية حوالى الوسط الذى يحيط بها.

.. دعوا النساء يشممن هواء الحرية التى فقدنها بتقاليد الاستبداد الأولى، وعلموهن، إن بالدرس، وإن بالعمل، أن لا سبيل للرجال عليهن، إلا ما فرضه الشرع وما كان عليه نساء العرب فى صدر الإسلام، فلا تضاروهن، ولا تضيقوا عليهن » [1].

٥ ـ المرأة أيضا :

يعرض أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة وجهة نظر « لتولوستوى » تقول بأن المرأة هى فى حقيقة الأمر مالكة الرجل، وسيدته الحقيقية، وحتى إن بدا غير

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٣٣ : ٣٦.
وأيضا الجريدة، العدد ٤١٠، ١٣ يوليو ١٩٠٨.

ذلك، ويؤيد أحمد لطفى السيد تولوستوى فى وجهة النظر هذه، ويرى أن ذلك اعتبارا جديدا يجعلنا نهتم بترقية المرأة إلى درجة أعلى من مرتبتها الحالية.

يقول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة : « إذا غصب الرجل حق المرأة فى المساواة وحقها فى الانتخاب والتوظف، فلقد غصبته حريته، وأقامت نفسها عليه ملكا لا يرحم عند المقدرة ولا يجامل عند الحاجة، ولا يعذر عند الزلة. « كأن المرأة قد اتخذت من حب الرجل لجمالها سلاحا تنتقم به منه على ما فرط فى تقدير المساواة بينها وبينه، وتقتص منه على فكرته السيئة فى اعتبارها موضعا للاستمتاع فقط. فهو يتحكم عليها فى المملكة وهى تتحكم عليه فى البيْت، هو يظلمها فى وضع القوانين، ولكنها تظلمه بشيء أشق من ذلك بكثير وهو مصادرتها له فى إحساسه ووجوده الخاص. قلتم لليهود انزلوا عن حق الحكم ولا تكونوا إلا تجارا. قالوا نعم ولكنا بالتجارة نملككم ونعرف الأمور بينكم، **فكأنكم رضيتم من السيادة بالاسم دون الفعل، ورضينا منها نحن بالسيادة الفعلية دون الإسمية. كذلك قلتم للنساء لستن إلا غرضا من أغراض حبا للزينة والتمتع. قلن لكم رضينا بهذا القسم، بل بهذا الصغار، ولكننا سنكون سيداتكم بما ملكناه من قلوبكم وسنذيقكم عذاب الهجر أحيانا ومرارة التجنى أحيانا. ثم نسخركم كالأنعام فى هذه الزينة التى اخترتموها لنا شعارا، لتعلموا أينا السيد وأينا المسود.**
صدق اليهود وصدقت السيدات أيضا. فإنك إذا مررت بمخازن البضائع وجدتها محشوة بأصناف غالية الأثمان كلها لزينة المرأة، وليس للرجل أمام ذلك نصيب كبير. اطلع على دفتر حساب العائلة لترى فيه كيف أن المرأة تصرف فى زينتها أضعاف ما يصرف الرجال فى طعامهم وشرابهم وكسوتهم. اطلع على حال زوج مطمئن، ترى المرأة تتدلل وتتجنى وتعذب وتغضب وترضى، وتشترط لرضاها عن زوجها أن يشترى لها كذا وكذا. ومن هو موضوع ذلك التعذيب ؟ هو الرجل الذى يظن حمقا أنه سيدها كما تقول له هى أحيانا : يا « سيدى ». وما السيد إلا القاهر، وما القاهر إلا هى. ألا تعطون المرأة حقها فى الانتخاب، وفى كل ما يساويها بالرجل فى هذه الأحوال الاعتبارية، حتى ترضى هى بأن يساويها الرجل فى الحياة الداخلية، ولكى يخف عنه ظلمها ويقل منه انتقامها ؟

تلك هى نظرة من نظرات « تولوستوى » الصادقات، نشرناها هنا لقرائنا من الرجال والنساء ونلفت إليها فكرتهم على السواء، لعل فى ذلك عزاء لسيداتنا اللواتى هضم الاستبداد حقوقهن. وتقليلا من خيلاء الرجال الذين يظنون خطأ أنهم أسياد النساء خارج البيت وفى داخله : الذين يظنون أن بأيديهم قيادهن فلا يسرحن ولا يرحن إلا بإرادتهم. كلام لا مصداق له من العمل اليومى.

.... المرأة لا تجرى فى زينتها من غير عنان إلا إذا كانت لا تعرف فى الحياة فضيلة القصد. أى إذا كانت تؤثر الماديات على المعنويات. وذلك أقرب إلى المرأة الجاهلة منه إلى المرأة الفاضلة، التى قد تتخذ من فضلها خير زينة لها، وتغتبط بنتائج عملها فى ذلك الوجود.

فإذا كان الأمر على رأى « تولوستوى »، وما أظن رأيه إلا صحيحا جدا من أغلب وجوهه، أى أن المرأة هى فى الحقيقة مالكة الرجل وسيدته الحقيقية، وجب علينا أن نجتهد فى أن تكون ملكاتنا أقل ظلما لنا وأكثر عطفا علينا. **وذلك لا يتم لنا إلا إذا كانت ملكات قلوبنا متعلمات طاهرات القلوب فاضلات بكل معنى الكلمة.**

أليس ذلك اعتبارا جديدا يضاف إلى غيره من الاعتبارات الأخرى؛ فيجعلنا نهتم أفرادا وجماعات بترقية المرأة إلى درجة أعلى من مرتبتها الحالية » [1].

٦ـ بناتنا :

فى هذه المقالة يمضى أحمد لطفى السيد فى تأكيد ما سبق أن ذكره فى المقالات السابقة من أهمية تعليم البنات لأنه حجر الزاوية للسعادة العائلية التى تؤدى إلى رخاء الأمة وتقدمها. كما أنه يدعو إلى تغيير أسلوب تنشئة البنت لأنها تعد لزمن جديد يختلف عن زمن الآباء.

يقول لطفى السيد فى مقاله : « يجزع الوالدان وقد رأيا ابنتهما قد رمدت عينها رمدا يهددها بفقد العين، يخشيان أن ينتشر فى وجهها النمش فيشوه

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٨٠ : ٨٢.

وأيضا الجريدة، العدد ٥٢٤، ٢٦ نوفمبر ١٩٠٨.

جمالها، يجزعان لكل عرض يلحق بجسـمها ويكون من شأنه تشوه أعضائها، أو تقليل مقدار جمالها، فتبور فى سوق الزواج. يجزع الأبوان وحقهما أن يجزعا من فقد ابنتهما لما يُرغب فى خطبتها الرجل الكفء لها. ليس فى ذلك عجب، **ولكن العجب هو أن الوالدين يشفقان على ابنتهما من العيوب البدنية، ولا يشفقان عليها من العيوب المعنوية، عيوب النفس والعقل، يتركانها من غير تربية** تصفى نفسها من كدورة الوسط وما ورثته من سوء الطباع. يتركانها من غير تعليم يجدد عقلها وينيره ويجعلها إنسانا خليقا بصحبة زوج كفء طول الحياة. يفكر الوالدان فى المبالغة فى تجهيز ابنتهما فيبتدئان من سن طفولتها يثقبان لها أذنيها اللتين قد نسيت الطبيعة أن تعطيهما خلقهما الكامل، وأن تجعلهما موطن زينة تعلق فيها الحلقات. ثم يأخذ الوالدان بعد ذلك فى أن يشتريا لها كل عام شيئا من الحلى ثم من الأثاث الجميل مما ينضد فى البيت للاستعمال أو لمحض الزينة. يشتغل الأبوان على هذه الطريقة المضحكة لتجهيز ابنتهما للزواج كأن الزواج قرط فى الأذن، وخزام فى الأنف، وأساور من الذهب المرصع فى الساعدين، وخواتم تأخذ بالأبصار فى الأصابع، وقلائد فى اللبة وجلابيب وفساتين ومكاتب وطاولات و. . . . إلخ. وليس الزواج بشيء من ذلك. بل الزواج امتزاج روحين امتزاجا لا مفرق له إلا الموت فكم من شابة يضع لها أبوها من أنفس العروض، وزفها به إلى زوجها، فما أغنت تلك العروض ولا التحف فى أمر الوفاق شيئا، بل كان مآل هذه المسكينة التى لا ذنب لها إلا عدم عناية والديها، أنها لم تعرف أن تكسب جاذبية زوجها، فاختلف الزوجان، وهنالك يفسد ذوقهما لطعم العيشة الراضية، وهل تقدر العروض والفرش أن تفيض على الزوج محبة زوجته !

. . . تلك هى سخرية صرفة، فإن الحس يقدم لنا أمثلة يومية تدلنا على أن الرجل لا تصفو مودته. ولا تطول صحبته، إلا بذلك الصاحب الذى يتفق معه فى النظر إلى أمهات المستقبل. **فلا تجد صاحبين أحدهما متعلم والآخر جاهل، تدوم صحبتهما إلا ريثما ينقضى المطلوب منها كشركة مالية أو منفعة مشتركة أو جوار فى البيوت. أما الصحبة المؤسسة على التمتع بالصحبة لذاتها فقل أن تجدها بين مختلفين فى التربية والتعليم.**

وإذا كان هذا شأن الصاحبين فمـاذا يكون شأن الزوجين، لا سعادة لهما إلا أن تختلط روحاهما تمام الاختلاط، ويتفق ذوقـاهما تمام الاتفاق، ليحصل كلاهما على السعادة المنشودة فى الزواج.

... **تعمل الوالدة لابنتها ما تتذكر أن أمـها قد اهتمت بعمله لها، وتنسى أنها كانت تعـد لزمن انقضت أيـامه. وأما ابنتـها فـإنها تعـد لزمن جديد لا يؤسس فـيه الزواج إلا على المحبـة الصحيحـة والمودة الطويلة والألفة التى من أهم أسبـابها أن تفهم زوجها المتعلم ويفهمها، وذلك لا يكون إلا بتقاربهما فى التربية والتعليم.**

السعـادة العائلية هى حـجر الزاوية لسعـادة الأمة، فالوالد الذى يعـمل لهذه السعادة بتربية ابنته، إنما يخدم أمـته أجل خدمة يمكن للفرد أن يسديها، فاصرفوا ما تصـرفوه فى الحلـى والعروض، فى تعليـم البنات، فإنه الحلـى الدائم فى جمـال الشبوبية وسنى المشـيب. وإن الآباء إذا فعلوا ذلك، فإنا لا نشك فى أن بنات البلد جمـيعا يصبـحن متعلمـات. لأن ما يصرف على إحـداهن فى الزينة المادية يكفى لتعليمها وزيادة. **أعطوهن حظهن من التـعليم، وخلوهن يحـصلن على سعـادتهن التى هى سعادة الأمة»** [1].

٧ـ بناتنا وأمهاتنا :ـ

يقصد أحمد لطفى السيد من هذه المقالة مقـاصد مختلفة لكنها تلتف جميعا حول معنى سام عميق وهو **أن تحرير الأمهات قبل تحرير الأوطان،** كما أنها تهدف إلى تحقـيق المساواة بين الرجل والمرأة، وجعل المرأة تشـعر بحريتـها، مثلما يشـعر الرجل، وبأن عليها حـقوقا للجمعيـة الإنسانية يجب أن تقوم بها. وأهمـها تربية الأولاد على الحرية.

ويقارن أحـمد لطفى السـيد فى هذه المقالة بين الزوجين الـريفيين والزوجين الحضـريين فى عهـده ويرى أن العلاقـة بين الزوجين الريفيين مـبنية علـى المساواة

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١١٤ : ١١٦.
وأيضا الجريدة، العدد ٦١٠، ١٤ مارس ١٩٠٩.

والتسامح والحرية، وأنها بذلك نموذج يجب أن يحتذيه أهل المدن الذين تغلب على حياتهم الزوجية سوء الظن والاستعباد من جانب الرجل للمرأة.

يقول أحمد لطفى السيد فى مقالته:« هذا الرجل يغتدى بكرة النهار قبل الشمس هادىء البال ساكن الأعصاب، يذهب إلى المسجد يمشى دون المسرع وفوق البطيء، مشية منتظمة جدا، تدل على راحة الضمير وصفاء النفس وحسن الرجاء فى وجه الله. فإذا عاد إلى بيته كلم زوجته فى أمر عمله وإلى أى غيط هو ذاهب، وما الذى سيحمله إلى الغيط من أدوات الحرث، وماذا تحمل زوجته منها أو ماذا تقود من الماشية إلى الغيط. **يخاطبها مخاطبة الرجل للمرأة، مخاطبة المساوى للمساوى، مخاطبة الشريك للشريك. وهى كذلك تحبه وتحترمه،** ولا تعتبر أنه ملك مستبد عليها له كل شيء وليس لها شيء بل على العكس من ذلك تحس بأن علاقتها به ـ بصرف النظر عن الحب ـ **علاقة شريكين عدلين، أحدهما قوى والآخر ضعيف، يتحابان ويتباغضان، يصطلحان ويتحاسبان. يتشاتمان ويتصافيان،** يشكو كلاهما الآخر عند الحاجة لشيخ البلد أو المأذون ليحكم بينهما بالعدل، وليعتذر الذى عليه الحق للذى ظهر الحق فى جانبه. وكأنى لا أعرف الألفاظ التى أبين بها للقارىء هذا المعنى الراقى جدا، **معنى أن هذا الرجل الفلاح يعامل امرأته معاملة المساوى للمساوى، ويعتبر أنها إنسان موجود مثله لها من الإرادة ما يجب احترامه إلى الحد المحترم من الإرادة. تخرج وتدخل فى دارها عشرات المرات فى اليوم الواحد، ولا يبدو فى دماغها أنه سيجيء أحد يحاسبها على حرية الدخول والخروج، وأين كانت، ومع من من الرجال تحدثت، وماذا كان موضوع الحديث.** فإذا حاسبها الزوج على جيئاتها وروحاتها يوم السوق جرح هذا الحساب شعورها وعزت نفسها، حتى لقد تغلظ إليه فى القول لأن كلماته تدل على أنه يظن بها سوءا وما بها من سوء. كما أنها إذا بان عليها من نظراتها ومن عباراتها أنها ترتاب فى أمر زوجها، غضب لذلك غضبا شديدا وربما انتهى غضبه بأن يضربها كفا أو كفين كما كان يفعل ذلك، لو أن شاتمه أحد من إخواته.

. . . انظر الفرق بين الزوجين الصالحين اللذين قد تأسست علاقتهما على الحرية والمساواة. وبين هذين الزوجين المدنيين وقد تأسست علاقتهما على سوء ظن

كليهما بالآخر. **واجتهاد الزوجة أن تخفى عن زوجها ما يجرى فى وهمها من** الخيالات، وما يختلج بقلبها من صنوف الميل إلى الأشياء. تخفى عنه زياراتها، تخفى عنه حياتها، تخفى عنه كل شيء إلا شيئا واحدا هو الظهور له بمظهر كاذب مزور. **وهو يخفى عنها أيضا كل شيء** حتى صور أصحابه من الرجال. يخفى عنها أعماله ومقاصده، فهى لا تعرف من أمره إلا شيئا واحدا، هو أنه كاذب فى حبه لها، كاذب فى رضاه بها خليلة إلى الممات.

فإلى متى يصبر أهل المدن والمقلدون من أهل القرى على هذه المعيشة الخسيسة، ولا يفكرون فى تحسين الروابط العملية بين الزوجين وإرجاعهما إلى ذلك المثال الطبيعى من الزوجية الفلاحة الصرف المبنية على المساواة والتسامح، لا على الاستعباد وسوء الظن؛ المؤسسة على الحب المتبادل بين الزوجين قبل عقدة الزواج، لا على مال الزوجة أو مال أبيها الذى سترثه بعد عمر طويل.

نكتب لضرورة المساواة ونقول بها فى المجالس ينقلها عن الشريعة الإسلامية نصوصا وأعمالا. ننقلها عن التمدن الغربى وقائع وأمثلة. ونحن مع ذلك أقل عزيمة من أن تجرى مبادئها فى بيوتنا وعلى أخص الناس لنا وألصقهم بنا أى نسائنا. نطلب نظاما ديمقراطيا « المساواة بين جميع الطبقات فى الحقوق ونحن فى بيوتنا على أشد ما يكون المستبد. وأقسى ما يكون الظالم. نطلب **لأولادنا الحرية وندع أمهاتهم رفيقات راضيات بالرق مجردات عن الميل إلى الحرية المشروعة.** أليس يكون هذا هو أقطع الردود حجة علينا فى أن نقول ما لا نعتقد، أو أننا أعجز من أن ننفذ ما نعتقده الحق ؟

وإنا لنرجو آخر الأمر من جماعة المنتقدين ألا يجعلوا كل سنمرهم الانتقاد على زينة النساء، بل حسبهم أن **ينتقدوا بطالة الرجال،** وسوء معاملتهم لأخواتهم، بل **أرجو أن تحرر أمهاتنا، مثل أن تحرر أوطاننا»**[1].

---

(١) انظر المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١٢٤ : ١٢٧.
وأيضا الجريدة، العدد ٦١٧ ٢٢ مارس ١٩٠٩.

٨ ـ صلاح العائلة صلاح الأمة :

يتحدث أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة عن أسس الاختيار فى الزواج فى العائلة المصرية فى زمانه، وهى القاعدة التى تبنى عليها العائلة، ومن ثم المجتمع بأسره. لأن الأسرة هى أساس المجتمع ولبنته الأولى.

ونراه هنا يقارن للمرة الثانية بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى مفضلا أسس الاختيار للزواج فى المجتمع الريفى، وكذلك نمط العلاقات الزواجية، والعائلية فيه، مبررا لرأيه بمبررات واقعية ومنطقية.

كما أنه يتناول فى هذا المقال أهمية التعليم والمساواة بالنسبة للبنت، وضرورة المساواة بينها وبين أخيها فى التنشئة والتربية. ورأيه فى حجاب المرأة وسفورها.

يقول أحمد لطفى السيد فى مقالته هذه إذا رأيت العائلة المصرية ولحظت علاقات الزوجية خصوصا فى الطبقة التى عقد بها الرجاء لترقى البلاد. وإذا رأيت فوق ذلك هذه الأزمة الفاشية فى سوق الزواج بين الشبان والشابات. إذا رأيت كل ذلك، حكمت أن علينا واجبات لا آخر لها، وجهادا شديدا وطويلا فى إصلاح حالنا الاجتماعية. **وإننا يجب علينا أن نستخدم جميع القوى التى ندفع بها حريتنا الشخصية وحريتنا السياسية فى إصلاح حالنا العائلية. لأن نجاحنا فى الأولى، يتوقف دائما على نسبة تقدمنا فى الثانية.** لا تتألف الأمة من الأفراد المجردة، بل هى تتألف من العائلات.

كنا نصبح أشد رجاء وأسعد حظا لو كانت العائلات المعول عليها فى رقى الأمة هى تلك العائلات الفلاحية التى ليس فيها بين الزوج والزوجة من الفروق، إلا تلك الفروق الطبيعية أو الشرعية، التى لا مناص منها. ولكن مع الأسف إن السنة المطردة فى نظام العالم تجعل هذه العائلات الفقيرة لا تحدث فى جمعية الأمة أثرا إلا وراء العائلات الأخرى، عائلات الطبقة العليا والطبقة الوسطى من الأمة. على أن هذه العائلات الفقيرة **أو عائلات العمال فى بلادنا، هى فى الحقيقة قريبة فى نظامها من المعقول لأنها مؤسسة على جانب عظيم من المحبة والتسامح والشعور بالمساواة بين الزوج وزوجته.**

يرى الشـاب الفلاح ابنة جـار أبيه فى البـيت أو الغـيط، أو يلمح ابنة نزيل عندهم فى القرية أو ابنـة أحد أقارب أو أصحـاب أبيه أو غيـرهم فى بلد أخرى. يلمح هذه أو تلك فيـبتدرها بالسـلام. يسلم عليها باسـمها من غيـر كلفة، وهى كذلك ترد السلام عليه باسمه، ثم يتحادثان كما يتحادث الأخ مع أخته. ثم يكون من بعـد ذلك أن يجد الشـاب فى هذه البنت الصورة المرسـومة فى ذهنه من المرأة التى يبتغيها له شريكة فى الحياة، فـيخطبها له أبوه. وهكذا هى العامة. إلا ما شذ منها فى العـائلة التى يكون رئيسهـا غليظ القلب، جافى الطبع، يزوج ابنتـه كرها لمنفعـة يرتجيها. أو فـخر يحلم به. أو يزوج ابنه بمن لا يحبهـا، لأنه يجب إرضاء مطمع له أيضـا. ولقد علم الناس أن مـثل هذا التصـرف يأتى دائما عـلى نتيـجة تناقض ما فى حسبان الآباء، فكفوا عنه الآن كثيرا. وليست هذه الأمثلة فى الواقع إلا شواذ من القـاعدة العـامة التى هى **أن الشاب الفلاح والشابـة الفلاحة، يتزوج كلاهما بعد ميل خاص، وجاذبية حقيقية.** إذا أخطأ الشاب فى اخـتياره أو أخطأت الشابة فى اختيارها، فـخطؤهما شخصى خاص بهما لابد لنظام الجمـعية فيه، ولا مسئولية على هذا النظام إلا فى أنه لم يعط هذه الشبيبة الفلاحة من العلم قسطها، حتى يحسن اختيارها.

أما الطبقـة الوسطى من الأمة، وهم طبقة الذين يحجـبون نساءهم فى المدن، والموسرين فى القـرى، الذين يقلدون أهل المدن فى حجب النسـاء، فتألـيف العائلة عندهم مضحك. وشر البلية ما يضحك.

تخطب السـيدة المـصونة، والجـوهرة المكنونة، على الطريقـة التى نعـرفهـا جميعا. لعبة فى علبة. لا يشترط فيهـا إلا أن تروى عنها السيدات المكنونات أيضا ما شئن من الجـمال الذى لا يعرفن له معنى، إلا السُـمن والبياض. والأدب الذى لا يعرفن له صورة، إلا غض الطرف ووضع اليدين بانتظام على الركـبتين كتماثيل سقارة. **ثم تنقل هذه الشابة التى عـقد عقدها إلى بيت زوجـها كما تنقل البـضاعة الذى حصل اتفاق المتعاقدين عليها عقدا عاما، ليس فيه شرط. ولا خيار عيب، ولا**

خيار رؤية. كأن الأزواج فى هذه الحال عمى يحبون بالسماع، ويختارون بالسماع، ويعولون فى سعادتهم الزوجية على السماع. قد تكون الصدفة سعيدة، فيحصل كل من الزوجين على ما كان يحب. ولكن الصدفة أبعد جدا من أن تصلح نظاما عمليا للروابط الاجتماعية، فإنها تسعد مرة، وتخبث مرارا.

إن هذه السيدة كانت مكنونة فى الحجب فى دار أبيها، مكنونة فى بيت زوجها، وجهها عورة يجب سترها، وصوتها عورة يجب كتمانه، وملكاتها عورة يجب خنقها تحت الحجاب. واسمها عورة، وكلها كذلك، ثم يطلب منها بعد ذلك أن تكون إنسانا حرا تام الشخصية، عليه للاجتماع أثقل الواجبات، وهو واجب تربية البنين والبنات.

يبين لبعض الذين يأخذون بظواهر الأشياء أن السيدة المحجوبة هى موضوع الاحترام والإجلال، أو فى نظر أبيها وزوجها أكثر احتراما ورعاية من تلك الفلاحة التى لا حجاب عليها. ولكن ذلك خطأ محض. فإن الفلاحة ملحوظ فيها أنها إنسان أمين على نفسه، أى إنسان تام الخلقة، له من الحرية ما وهب الله لكل مخلوق، وأما السيدة أو الهانم، فإنه ملحوظ فيها أنها ليست أمينة على نفسها. لا قوام لها بغير المراقبة الشديدة. أو لا وجود لها إلا بصفتها متعلقة بإنسان آخر، هو وليها أو زوجها.

يظهر لنا أن هذه الاعتبارات هى التى تجعل شبابنا يحجبون بعض الشيء عن الزواج، وهذا الإحجام بلية يجب علينا أن نتداركها بقدر الاستطاعة. ولا يمكننا أن نتداركها إلا بإرضاء أطماع الشبان التى خلقتها فيهم التربية الحديثة. ولا يكون ذلك إلا بتعليم البنات وتقريب مستواهن العقلى والعلمى من مستوى الشبان حتى يكون الزواج مرجحا فيه جانب السعادة على جانب الشقاء.

بناتكم أصبحن بحكم البيئة والتعليم يدركن أن لهن إرادة يجب أن تحترم، كما تحترم إرادة الشباب. يعلمن أن لهن حظا من السعادة فى هذه الحياة الدنيا، يجب أن يستوفينه كما يستوفيه الشبان. لا تضاروهن ولا تضيقوا عليهن ؛ ولا تفرقوا فى المعاملة بينهن وبين إخوانهن.

إذا أحست المرأة بحريتها ومسئوليتها. وأحس الرجل بمسئوليته عن المساواة بينه وبينها، تألفت العائلة المتينة التى تصح أن تكون هى الوحدة فى تأليف أمة. أهل لأعلى درجات السعادة والرقى.

العائلة أساس الرقى، أصلحوها وكل إصلاح بعد ذلك سهل مستطاع»[1].

٩ ـ سعادة النساء :

ينصح أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة النساء بترك بعض العادات السلبية الضارة التى لا تجلب لهن السعادة قدر جلبها للضرر والارتباك فى حياتهن، «كالإسراف فى حب الزينة، واقتناء الكماليات، والإسراف فى مناسبات الأعياد، والأفراح، بل والمآتم أيضا، أكثر مما تسمح به قدرة أوليائهن المالية، حتى أن كثيرا من الشبان ذوى الحال الرقيقة لا يستطيعون الإقدام على الزواج. ويخافون إن هم فتروا سقطت مراتبهم فى أعين زوجاتهم ! وإن هم طاوعوهن على مطالبهن التى لا تحصى، أفلسوا وضاقت عنهم حالهم ووظائفهم».

وفى هذا المقال نلاحظ موضوعية أحمد لطفى السيد فهو لا يناصر المرأة مناصرة عمياء، بل إنه ينقد تصرفاتها، ويحللها ويبين صواب تصرفاتها من خطئه، ويرى أن إسراف المرأة لا يتفق مع شخصيتها الجديدة.

يقول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة : «. . . إنهن متفقات معنا فى أن السعادة لا تكون بعقد ثمنه ألف ولا بسوار ثمنه خمسمائة، ولا بقرطين كبيرين من أكرم الحجارة يضيئان فى شحمتى الأذنين، كذلك ليست السعادة فى أثواب غالية، واسعة الجيوب مجرجرة الأذيال. وليست السعادة فى نفاسة البسط ولا فى إحراز كثير من الطرف التى توضع للزينة. . ولا فى استعمال الآنية من الذهب والفضة. هن متفقات على أن السعادة شيء آخر غير ذلك.

نحن لا ننكر على المرأة حب الزينة، ولا نكره أن تنشأ فى الحلية والعيش الناعم. ولكن ما ننكره هو الإسراف والخروج فى شراء أدوات الزينة عن حد قدرتها المالية. كل سيدة تعلم أن الإسراف رذيلة. ولكن الصعوبة هى فى إقناعها بأن ما هى فيه إسراف.

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١٢٨ : ١٣١ .
وأيضا الجريدة، عدد ٦٣٠، ٦ أبريل ١٩٠٩ .

يصعب علينا نحن أيضا أن نضع حدا للإسراف الذى تأتيه السيدات فى بلادنا لأن هذا الحد يختلف باختلاف سن السيدة ومقدار التسامح معها فيما عندها له ضعف من الزينة، وباختلاف البيئة التى تعيش فيها، والمدينة أو القرية التى تسكنها وقدرة زوجها على أن يكون لديه من المال فضل يسع الاحتياطى والصدقات . . . ويسع بعد ذلك كله شراء الزينة لزوجته. فمن الصعب وضع حد مرسوم للإسراف، ولكن من السهل إحصاء، بيوت التجارة الخاصة بالزينة ومقدار ما تبيعه فى كل عام بالنسبة لمواد الغذاء والملبس العادى المعروف. إذا فعلنا ذلك حكمنا من غير تردد أن سيداتنا مسرفات. وعليه يكون إسرافهن من أسباب الضائقة المالية لكثير من البيوت التى يزيد مصروفها على إيرادها سنة عن سنة.

كان النساء قبل هذا القرن، ومن زمان بعيد يبالغن فى الزينة إلى ما فوق الإسراف، ولكن معذورات فى ذلك لأنهن كن يتزين للرجال ولم يكن لهن من الهم ما يلوى بهن عن ذلك فما عذرهن الآن وقد قمن يطالبن بالمساواة بينهن وبين الرجال فيما يقدرن عليه من واجبات الحياة الثقيلة. تلك المطالبة وحدها تشف عن أن المرأة الحديثة قد أنفت موطنها الماضي، فلتأنف معه أيضا أن تستعمل ذلك السلاح القديم، سلاح تسخير الرجل لزينتها.

. . . الواقع أن السيدات يسرفن فى إحراج أزواجهن بمناسبة الأفراح والأعياد، بل بمناسبة المآتم أيضا. يسرفن فى اقتناء الزينة بأكثر مما تسمح به قدرة أوليائهن المالية، يسرفن فى مجاوزة حدود القصد. يسرفن فى كل ذلك حتى أن كثيرا من الشبان ذوى الحال الرقيقة لا يستطيعون الإقدام على الزواج.

. . ولا شك فى أن هذه الحال تستدعى النصيحة لا الجدال. نصيحة نرفعها لمن يتدبر من النساء ومن الرجال على السواء. فإن عاقبه الاقتصاد أدنى إلى تحقيق سعادة النساء » (1).

---

(1) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢١٣ : ٢١٦.
وأيضا الجريدة، العدد ١١٨٣، ٤ نوفمبر ١٩١١.

١٠ ـ تربية البنات :

تأتى هذه المقالة فى الترتيب الزمنى، بعد ثلاث سنوات من كتابة أحمد لطفى السيد مقالته بعنوان « بناتنا وأبناؤنا »، ومقالته التى تلتها بعنوان « لا تضيقوا عليهن » ونلاحظ أنه فى مقالاته الأولى عن المرأة كان يعنى بالدرجة الأولى بمسألة تعليمها منذ الصغر، وأهمية التعليم الكبرى فى تربيتها، وإعدادها لأولادها المستقبلة، كما أنه كان كثيرا ما يذكر حرية المرأةعند ذكره لأهمية التعليم بالنسبة لها، لكنه فى هذه المقالة يؤكد حرية المرأة فى المحل الأول، ويذهب إلى أن الحرية قرينة العلم. **وفى هذه المقالة أيضا نرى كيف يتدرج أحمد لطفى السيد المفكر العظيم فى دعوته فيبدؤها بالدعوة إلى تعليم المرأة ثم يتدرج داعيا بالتغير والتطور الاجتماعيين، إلى الدعوة إلى تحرير المرأة،** وذلك بعد أن نجحت الأولى نجاحا كبيرا، لأن الأمارة الوحيدة لحرية الأمة فى نظره هى حرية المرأة.

يقول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة : « تحولت الحال، وتحول معها حزب المعارضة فى تعليم البنات، فكان هذا الحزب فى زمن غير بعيد يضم أكثرية أولى الرأى فى البلاد، ثم تضاءل شيئا فشيئا حتى صار يستحى من التصريح بمعارضته علنا. . . ثم تضاءل وأصبحنا والحمد لله لا نرى لحياته، أمارة ولا نسمع عن وجوده خبرا. . . فمتى تجيء ساعة ذلك الحزب الآخر الذى يتراوح بين التقدم والتأخر، فلا هو صريح المعارضة كالحزب القديم، ولا هو سائر فى تيار العلم كالحزب الجديد، ونعنى بهذا الحزب أولئك الذين يقولون بأن الحرية أساس لكل مدنية صحيحة، ويقولون إن المرأة هى حجر الزاوية لتلك المدنية، ثم هم على ذلك ينكرون حقها فى الحرية، **ويأبون عليها التطور الاجتماعى، والسير على قانون النشوء والارتقاء، يبغون النتيجة ولا يبغون وسيلتها الوحيدة، يحبون السعادة الاجتماعية، ويكرهون أسبابها.**

من هؤلاء جماعة البسطاء الذين يتخذون الخوض فى المسائل الاجتماعية العويصة لهوا وتسلية يقتلون بها الوقت فإذا وقعت فى « الحارة» واقعة من الواقعات الشائنة، صاحوا فى مجالسهم، تلك هى النتيجة اللازمة لتحرير المرأة، وتطيروا بقاسم أمين وأصحابه. فإن قيل لأحدهم : وعلام ترسل ابنتك إلى المدرسة ؟ قال ما للتعليم والحرية، التعليم واجب على كل مسلم ومسلمة، ولكن

التعليم شيء، وتحرير المرأة شيء آخر. فإن المرأة متى أحست بحريتها وأن لها حقا فى تلك الحرية تطالب به أباها وزوجها والأمة بأسرها، أساءت استعمال هذا الحق واتخذته سلاحا تقتل به نفسها. يقول قائلهم ذلك وينسى أن العبودية ابنة الجهل، والحرية قرينة العلم، وأن طباع السوء إذا تولدت مرة عن الحرية، تولدت ألف مرة عن الاستبداد، وأن الحرية أكبر ضمانة يمكن اتخاذها لصون المرأة، كما أن الاستقلال الذاتى للرجل هو المقوم الوحيد لأخلاقه، والسلم الذى يرتقى عليه إلى الأدب الكامل.

ومهما يكن من تخبط المتخبطين فى أمر المرأة المصرية، فمن المحقق أن هذا الاختيار يقع عادة وبغير حساب فى فترة الانتقال من حال إلى حال، فهو بهذه المثابة لا يخيف طلاب الإصلاح الحقيقى، لأن التقدم فى المدنية سيل جارف لا يقف أمامه إلا موشك أن يقع فيه. ولا يبقى من المذاهب إلا ما يوافق مزاج مدنية العصر، فخير للذين يغلون فى الخوف من مستقبل المرأة المصرية، أن يعتصموا بالصبر على حال الانتقال، وأن يروضوا أنفسهم على الاعتقاد بأن الأمارة الوحيدة لحرية الأمة هى حرية المرأة. فإذا حصلنا على الحرية الاجتماعية للمرأة حصلنا بسهولة على الحرية العامة والاستقلال » (١).

١١ ـ المرأة فى البلاد العربية :

تناول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة المرأة العربية، ووجه الأنظار إلى أهمية دراستها ومعرفة صفاتها وأهم ما تعانى منه لأنها فى نظره نصف الجنس العربى، وعلى صلاحها أو فسادها يبنى الحكم على الأمة بأسرها. يقول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة : «... لكن المرأة العربية وهى نصف الجنس العربى، وعلى صلاحها أو فسادها يبنى الحكم على الأمة بأسرها، لا يجوز أن يكون نصيبها من ملاحظاتنا الإهمال. لذلك لاحظت طرفا من الهيئات والأزياء. واستمعت نتفا من الروايات الصادقات عن حال النساء العربيات، أنقله للقارئين والقارئات.

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٢٦ : ٢٢٨.
وأيضا الجريدة، العدد ١٢٨٦، ٦ يونيو ١٩١١.

... والمرأة العربية على وجه العموم متأخرة جدا فى أمر التعليم، متأخرة عن زميلاتها فى مصر وفى بلاد الترك. ولكن تأخرها فى التعليم لم يفقدها شيئا كثيرا من استقلالها، ولم يمت فيها ملكه الإرادة. وبالجملة لم يطبعها على طبائع الذل كما فى كثير من الاصقاع الأخرى. بل لاتزال هى هى المرأة العربية الحقيقة بأن تكون قرينة للعربى، حمى الأنف قوى الإرادة، عظيم المروءة ظاهر الشجاعة والكرم » (1).

١٢ - الحركة النسائية فى مصر:

تتوج المقالات التى كتبها أحمد لطفى السيد - والتى جُمعت فى كتاب المنتخبات، وكانت تخص المرأة بشكل واضح - بمقاله. عن الحركة النسائية فى مصر، وفيه يذكر الكاتب هدف الحركة النسائية فى مصر، ثم يتحدث بإسهاب عن معارضيها، ومؤيديها، والظروف التى جعلتها تتخطى العقبات التى واجهتها، ويرى الرائد العظيم أحمد لطفى السيد أن تحرير المرأة قد أصبح حقيقة واقعة، وأن مسألة الحصول على الثمار المنتظرة من هذا التحرير هى مسألة وقت فقط. وهو يعى تماما فكرة التغير والتحول الاجتماعيين فيرى أن الاضطراب الاجتماعى الذى قد يكون متسببا عن الحركة النسائية فى مصر، والذى يعد توقف الشبان عن الإقدام بسهولة على الزواج مظهرا من مظاهره، إنما هو اضطراب وقتى اقتضاه الانتقال من حال إلى حال. يقول أحمد لطفى السيد فى مقالته هذه: « **كانت ترمى هذه الحركة النسائية فى مصر إلى غرض أصلى كبير، هو تربية المرأة المصرية وتعليمها حتى تشعر لذاتها بوجود خاص وشخصية مستقلة، لتستكمل حظها هى أيضا من الكمال الذاتي، ولتنتفع وتنفع بخير الحرية المفيدة التى ما منعتها إياها شريعتنا، ولكن أنانيتنا وفرط غيرتنا.**

لاقت هذه الحركة فى أولها معارضة شديدة، بل حربا عوانا من المحافظين، كادوا يقتلونها جهلا بمزاياها، وفزعا عن الانتقال مما يألفون إلى ما لا يعرفون، شأنهم أمام كل جديد من الأفكار والآراء والمقاصد. كادوا يقتلونها لولا أن

(1) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٤١ : ٢٤٥.
وأيضا الجريدة، العدد ١٣٥٦، ٢٨ أغسطس ١٩١١.

اجتمعت لها ظروف كثيرة عرفت أن تستخدمها لنصرتها، **فكان من نصرائها الدين الحنيف** الذى لم يحظر على المرأة من مقتضيات الحرية إلا ما يضر بكمالها الذاتى ولا يتفق مع الحياء والأدب اللازمين فى كل زمن من الأزمان. ولا شك فى أن حركة تتسلح بالشريعة، أى تتسلح بسيف يقطع حجج المحافظين وألسن السوء وتغطرس الجاهلين.

وكان من **نصرائها أيضا هبوب الأمة من نومها العميق للمطالبة بحريتها،** وبعيد **أن يقبل من المطالب بالحرية أن يثبت طويلا واقفا فى وجه حرية غيره،** إنما يعتمد المطالب بالحرية على أن الحرية حق طبيعى لكل مخلوق، فما أسمحه حين يدعى هذه الدعوى ويمنع الحرية أمه وأخته وزوجته. إنما يعمد المطالب بالحرية صبغة طلبه بأن الحرية هى وحدها مرقاه بلوغ المرء إلى كماله الخاص والأمة إلى استقلالها التام، وبعيد على قائل هذا أن يمنع المرأة وهى أخت الرجل ونصف الأمة، من الوسيلة الوحيدة لاستحقاقها أن تكون بحق زوج الحر وجزءا من المجموع الناهض إلى الاستقلال.

وكان من نصراء هذه الحركة المباركة سيل التمدن الجارف الذى جاءنا من الغرب بمبادئه الفاضلة ورذائله، ونحن مكرهون على قبوله دفعة واحدة من غير أن نستطيع أن نقف فى وجه تياره السريع، ولا أن نجعل بيننا وبينه ردما. بل كل ما نستطيع هو أن نحاول تمصير فضائله وتضييق مجرى رذائله، حتى نملكه ونحكمه... ذلك التيار المدنى قد جاء أيضا لمصلحة حرية المرأة، ومكن له فى عزائم المحافظين فنقضها كما تنقض قوى الحبل الشديد انكاثا لا قبل لها بالمقاومة.

اجتمع لهذه الحركة المباركة من الظروف المختلفة ما جعلنا نعتقد أنها حركة جاءت فى أوانها واستوفت عددها الضرورية للنجاح، فسارت فى طريقها إلى **الأمام وتخطت عقبتين. أولاهما شر تجريب الكاتبين أقلامهم فى الوصف،** فإن أهون موضوعات الوصف وألذها طعما فى أذواق العامة وصف المرأة المتبرجة، والوقوع فيها بالانتقاد، وتلمس عيوب لبسها، ومشيتها، وحديثها، واستنزال اللعنات على الحالة الاجتماعية الحاضرة، ونسب الزمان والمكان، يخيفون بما يقولون الأزواج على سمعة نسائهم، والآباء على بناتهم. فيوقعونهم فى بؤس

العيش من الحيرة بين اختيار الظن ومضارة النساء، والتضييق عليهن بما يأباه الدين ودواعي التقدم، وبين احتمال الانتقاد المر الذى ما دعا إليه فى نفس الكاتب إلا حب الكتابة واستلانة الموضوع. فالحمد لله قد كف الكاتبون أو كادوا عن تجريب أقلامهم فى هذا الميدان، فتخطت الحركة النسائية بذلك هذه العقبة الأولى.

وأما العقبة الثانية، فهى تردد أولياء الأمر على النساء، وبغضهم السير مع بعض نسائهم فى الطريق مشاة أو راكبين الترام والعربات. فإنهم كانوا يجدون من ذلك على أنفسهم غضاضة. يبتل جبين أحدهم بالعرق حياء من مماشاة زوجه إذا قابله أحد معارفه، كأنما هو يخزى من أن تكون له زوجة أو أخت أو أم أو خالة... هذه العقبة زالت أو كادت تزول، فقد دخل فى عادتنا كثير أو قليل من مران الرجال واعتيادهم على الكف عن أن يستلوا ألسن السوء تنال من رجل لمجرد مشيه مع امرأة. وأصبحنا نرى هذا النوع من التنزه العائلى كثيرا بين ظهرانينا وإن دخول هذا النوع فى عادات المدن جعل الحركة النسائية تتخطى هذه العقبة الثانية أيضا. نقول فى المدن لأننا فى القرى لا نجد بأسا من مرافقة الزوج زوجه إلى المزارع وإلى الأسواق. بل تلك هى العادة عندنا نحن الفلاحين.

اجتمعت للحركة النسائية تلك الظروف المناسبة، وتخطت تلكما العقبتين، فنحن فى حل من أن نأمن **عليها طوارىء التأخر أو معوقات السير فى طريقها الصالح إلى الأمام وأصبحنا نشعر بمزايا نتائجها. فإن المرأة المصرية قد أصبحت تتشبث بإثبات وجودها الخاص بعد أن كان وجودها فانيا فى وجود من يكفلها من الرجال. وصارت تدخل بنصيب فى الأعمال الاجتماعية العامة،** وسواء كان مظهرها فى ذلك قد أفاد أو لم يفد فالقدر المتيقن من هذه المظاهر أنها أصبحت غيورا على إثبات وجودها، ضنينا بشخصيتها أن تحمى فى شخصية ابنها الرشيد، أو زوجها المسيطر، أو أخيها الكفيل، شاعرة بأن عليها مسئولية عامة بقدر طاقتها. فإننا نجد على الصحف أسماء كثيرات من النساء متبرعات للخيرات ولو من أموال ذويهن، كاتبات فى الصحف آراءهن، وخاطبات فى المجالس بأفكارهن. كل ذلك ليس على الرغم من ولاة أمورهن، فنلن بذلك نتيجة مزدوجة، وهى أن المرأة أخذت تشعر بوجودها الخاص ومسئوليتها العامة فى الأمة وأن الرجل أخذ يسهل لها سبل هذه الحياة الجديدة من غير إكراه ولا مضض. أعنى أن الرجل والمرأة قد

اتفقا بهذا العهد على (تحرير المرأة) فلم يبق إلا الزمن الكافى للحصول على الثمرات المنتظرة من هذا التحرير.

نحن لا ننكر تماما آثار الاضطراب الاجتماعى الذى قد يكون مُسببا على الحركة النسائية وكثرة توقف الشبان عن الإقدام بسهولة على الزواج. ولكننا نعرف أن هذا الاضطراب وقتى اقتضاه الانتقال من حال إلى حال أخرى، فلن يكون من الصبر عليه إلا زواله والاغتباط بنتيجة الانتقال، وهى الوصول إلى جيل تكون فيه المرأة المصرية مستحقة لزواج الشاب المتعلم كبير الأطماع. ذلك الجيل هو الذى نعتمد عليه فى جنى ثمرات أتعابنا الحاضرة. وهو الذى سيشرق صحيفة تاريخنا، ويرد إلى مصر مركزها العالى فى مصاف الأمم الكبيرة إن شاء الله » [(١)].

خاتمة وتعليق :

يتبين لنا من خلال استعراضنا لمقالات أحمد **لطفى السيد عن المرأة أننا بحق أمام رجل سبق عصره، رجل عاش فى المستقبل**، رجل نادى بتعليم المرأة المصرية، ومنحها الحرية كالرجل تماما، فى مطلع هذا القرن، فتحقق كل ما نادى به فى أواخر القرن ذاته.

إن أحمد لطفى السيد من أكبر رواد تحرير المرأة المصرية، وإن لم يأخذ حظه من الشهرة والمعرفة فى هذا المجال. فالكثيرون يجهلون جهوده العظيمة من أجل تحرير المرأة المصرية، والتى لمسناها فى كل سطر بل كل حرف من المقالات التى استعرضناها آنفا وحللنا محتوياتها. وأبرزنا أهم الأفكار التى احتوتها.

ومما يلفت النظر، وبخاصة بالنسبة للمتخصصين مثلى فى علم الاجتماع، **أن أحمد لطفى السيد كان اجتماعيا من الطراز الأول فهو يضع يده فى مقالته «بناتنا وأبناؤنا » على أهمية القيم والعادات المصرية الأصيلة فى حياتنا**، وضرورة أن تمزج الفتاة المصرية المتعلمة بين عاداتها وقيمها الأصيلة، وبين قيم التمدن الحديثة، أو **بعبارة أخرى بين الأصالة والمعاصرة.**

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٦٨ : ٢٧١.

وأيضا الجريدة، العدد ١٤٨١، ٢٧ يناير ١٩١٢.

كمـا يلمـس فى مقـالتـه « لا تضيقوا عليهن » أهميـة دور الأم كمـربية لجيـل بأسـره، وأن الأم لا تعـطى ولـدهـا مـن الأخـلاق إلا مـا لديها.

أما فى مقالته « بناتنا وأمهاتنا » فـيوضح لطفى السيد بجلاء ما اصطلح على تسميته فى علم الاجتماع بالفروق الريفـية الحضرية، فهو يقارن بين علاقة الزوجين فى الريف، وعلاقتهما فى المدينة، ويحلل، ويفسر الأسبـاب، حتى أنه فى النهاية يعطينا صورة كاملة لأسلوبين مختلفين فى الحياة. أسلوب الريف وأسلوب المدينة.

وقد أدرك أحمـد لطفى السيد بثاقب بصيـرته الاجتماعيـة أن العائلة أساس الأمة، وأساس الرقى، فقال أصلحوها وكل إصلاح بعد ذلك سهل مستطاع، وردد ذلك فى كل مقالاته، وإذا الدستـور المصرى يأتى بعد حوالى خمسون عـاما ليذكر أن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية.

ويبدو أحمد لطفـى السيد مفكرا اجتماعـيا أصيلا فى مقالتـه الرائعة «تربية البنات» التى كتبها وهـو فى التاسعة والثلاثين من عمـره، والتى تأتى فى الترتيب الزمنى، بعد ثلاث سنوات من كـتابته لمقالاته الأولى عن المرأة وهنا نـلاحظ تأكيد لطفى السيد لفكرة حرية المرأة، وهى فكرة تلت دعوته لتعليم المرأة المصرية، ويبرز هنا وعيه بالتطور الاجتماعى الذى يذكره أكثر من مرة فى ثنايا المقالة.

كما يظهـر حسه الاجتماعى الذكى فى مـقالته « الحركة النسائيـة فى مصر » الذى توج به كتـاباته عن المرأة المصرية، فشرح هدف الحركـة، وحلل أبعاد النجاح والفشل، حتى بين أنها أصـبحت حقيقة واضحة. ثم أظهـر فى مقالته أنه يعى أن هناك بعض مظـاهر الخلل أو الاضطراب الاجتماعى الذى حدث كنتـيجة للحركة النسائية فى مـصر، ولكنه بشر بأن هذا الاضطراب وقتى تقتضيـه ضرورات التغير والتطور الاجتماعيين، وهذا ما حدث بالفعل.

وهكذا استحق أحمد لطفى السيـد بأفكاره التقدمية عن تعليم المرأة المصرية، وتحقيق المساواة والحرية الشخصية لها، وممارسة تلك الأفكار عملا لا قولا فقط، أن يخلد اسمه بين الخالدين.

* * *

الفصل الثامن



دور الشابات المصريات فى التغير الاجتماعى بين السياق التاريخى والواقع الاجتماعى (١)

تمهيـد :

الشباب ظاهرة اجتماعية تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعى والنفسى والبيولوجى واضحة. وتميل معظم المجتمعات إلى تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها وفقا لعدد من المعايير، وقد تلجأ ـ كما الأمر فى المجتمعات التقليدية ـ إلى طقوس معينة لابد للمرء من المرور خلالها لاكتساب المكانة الاجتماعية المخصصة للشباب (٢).

وكلما ازدادت المجتمعات تعقيدا وتركيبا وتباينا، نتيجة للتطورات التى شهدتها النظم الاقتصادية، والثورة الصناعية، والإدارية تصبح عملية تحديد بداية مرحلة الشباب إحدى مظاهر التطور الاجتماعى، وعاملا رئيسيا من عوامل تنمية المجتمع وتغييره ككل.

وهناك اهتمام معاصر فى مختلف فروع الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية بدراسة واقع الشباب، واتجاهاتهم، وقيمهم، ودورهم فى المجتمع، ويكاد هذا الاهتمام أن يكون « عالميا » إذ أصبح مفهوم الشباب يحظى بالعناية، والدراسة، والتحليل فى المجتمعات المتقدمة والنامية على الرغم من اختلاف الإطار الذى تعالج منه قضايا الشباب، وتنوع السياق الاجتماعى والاقتصادى والسياسى

---

(١) بحث قدم فى المؤتمر الدولى الثامن بتونس، عن دور الشباب فى التغير الاجتماعي، تونس ديسمبر ١٩٨٢.

(٢) انظر S . N . Eisenstadt, " Archetypal Patterns of Youth " in P. K. Manning, and M. Truzzi , Youth and Sociology, PP 15 , 16.

الذى تدرس فيه الظواهر المتصلة بالشباب. ولعل السبب الأساسى لمثل هذا الاهتمام العالمى بقضايا الشباب راجع أساسا إلى ما يمثله الشباب من قوة للمجتمع ككل، إذ هى شريحة اجتماعية تشغل وضعا متميزا فى بنية المجتمع. فالشباب كفئة عمرية هم أكثر الفئات العمرية حيوية وقدرة على العمل والنشاط، كما أنها هى الفئة العمرية التى يكاد بناؤها النفسى والثقافى أن يكون مكتملا على نحو يمكنها من التكيف والتوافق والتفاعل، والاندماج والمشاركة، فى تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته. بأقصى الطاقات التى يمكن أن تسهم فى تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته وانجازها.

والحقيقة أن المكانة المعاصرة التى يشغلها الشباب فى كافة المجتمعات يمكن النظر إليها بوصفها نتاج للتغيرات الاجتماعية والسياسية والديمجرافية، والتعليمية، والتربوية التى شهدها القرن الحالى، كما أن هذه المكانة قد انبثقت وتحددت من خلال الفلسفات المعاصرة والتيارات السياسية والثقافية والنفسية التى ترجمت عنها هذه الفلسفات وأصبحت تشكل سمة العصر، ولقد ترتب على هذه المكانة التى يمثلها الشباب فى بناء المجتمع المعاصر، نتائج بالغة العمق انعكست على مختلف مكونات بناء المجتمع، وعلى طبيعة العلاقات بين الأجيال ونوعية هذه العلاقات ومداها. ويتأثر معدل التغير فى المجتمع وإيقاعه تأثرا مباشرا بأوضاع الشباب فى المجتمع والوظائف المتعددة التى يؤديها الشباب فى مختلف قطاعاته.

ولذا تكمن أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع فيما يمثله الشباب من مصدر للتجديد، والتغيير، فهم عادة ما يرفعون لواء الحديث من السلوك والعمل، من خلال القيم الجديدة، التى يتبناها الشباب، والتى عادة ما تدخل فى مواجهة مع ما هو سائد من قيم تقليدية، ولهذا يعد الشباب مصدر التغيير الثقافى والاجتماعى فى المجتمع ككل.

وهناك اهتمام متعاظم من جانب الأكاديميين. ، ورجال السياسة على السواء، بالظواهر المرتبطة باتجاهات الشباب وقيمهم السلوكية كالانحرافات، والثقافات الانعزالية والحركات السياسية، والثورات الطلابية، ومختلف نماذج الامتثال والتكامل مع النسق القيمى السائد فى المجتمع.

ومن الظواهر اللافتــه للنظر فى هذا العدد ظاهرة الرفض (rejection) عند الشباب والذى يتــبدى فى رفض الشباب للمــعايير والقيم والسلطة والتــوجيه الذى يمارسه الكبــار بل أن هذا الرفض أصبح يمثل مــوقفا عامــا موحدا، يظهــر بصورة واضحــة فى مواقف عديدة ومجــتمعات مــختلفة. ولكن مما لا شك فــيه أن ذلك الرفض الذى يظهر بين الشبــاب يرتبط بالظروف التاريخية والسياسيــة والاقتصادية التى يمر بها المجتمع. والنسق القيمى السائد فيه.

أولا : دور الشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث (*) :

- **السياق التاريخى والاجتماعى.**

فى إطار السـياق المـصرى، لا يجب أن نصف التـواجـد الشبـابى للشـابات المصريات بالمعـاصرة فقط، فقد كـان لهن فى التاريخ المصرى دورهن، كـما كانت لهن مواقف من قضايا مرحلية كانت فى عهدها. ذات أهمية اجتماعية بل وسياسية أيضا.

فقد بدأت الفــتاة المصرية تظهر فى الاجتمــاعات السياسية التى كــان يعقدها (الحــزب الوطنى). وفى ٧ ديسمــبر ١٩٠٧ حــضرت بعض الفــتيــات والسيــدات باليــشامــك والحبــر إلى (دار اللواء)، وجلسن مع الحــاضــرين، ولكن فى ركن قــصى، وكذلك كنَّ مــوضع اعتــزاز « مصطــفى كامل » وفــخره. وعندمــا توفى «مصطفى كامل»، أتى رجال السياسة بالفتاة (تفيدة طلعت صبور) وحمّلوها العلم فـسارت فــى مقــدمــة موكب الجــنازة حتى وصلــت إلى المقبــرة فى حى الإمــام الشافعى(١).

وكان للفتيات المصريات جــنبا إلى جنب مع النساء المصريات نصيب بارز فى ثورة ١٩١٩، فــفى يوم ١٤ مارس من ذلك العــالم ســقطت أول شهــيدة ضــمن القائمة الأولى لشهداء الثورة، وكانت جنازتها ناقــوسا أيقظ فتيات مصر ونساءها. وفى ٢٠ مارس ١٩١٩ ألفن مظاهرة بدأت من حديقة قــصر النيل حتى بيت الأمة حيث حاصرت المظاهرة قوة من الجنود الإنجليز فى سيــاراتهم المصفحة، كما كانت

(*) أقصد بالمجتمع المصرى الحديث الفترة من أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن.

(١) أمينة السعيد. بطولات نسوية فى ثورة ١٩١٩، **الهلال**، ٨ أغسطس ١٩٧٣.

الفتيات والنساء المصريات فى طليعة الطوائف الوطنية التى همت للاحتجاج على لجنة ملنر [1].

وفى شهر يناير ١٩٢٢ قامت لجنة الوفد المركزية للسيدات عقب القبض على « سعد زغلول » وزملائه ونفيهم إلى مالطة بتنظيم حملة المقاومة السلبية، تلبية للنداء الذى أعلنه حزب الوفد فى ٢٣ يناير بعدم التعاون مع الإنجليز ومقاطعة جميع البنوك وشركات التأمين ووسائل النقل والبضائع البريطانية والدعوة إلى تشجيع المصنوعات الوطنية. ونجحت المقاطعة إلى حد كبير، بحيث أثارت حنق الإنجليز، وذلك بفضل الحملة التى نظمتها هدى شعراوى، والسيدات المصريات والتى ساعد على انجاحها بقية الشباب والشابات من الطلبة والطالبات للدعوة لقرار المقاطعة بين المواطنين [2].

وفى عام ١٩٢٣ أسست « هدى شعراوى » الاتحاد النسائى فى مصر، وضم نخبة من سيدات الطليعة، وعديدا من فتيات مصر البارزات للمطالبة بالحقوق السياسية للمرأة وفى مقدمتها حق الانتخابات وحق الترشيح.

وبرز دور الفتيات المصريات فى أحداث ١٩٣٥ / ١٩٣٦، وكذلك فى النضال المصرى أثناء الحرب منذ ١٩٤٨، ففى خلال حرب فلسطين، وعلى الرغم من أن النساء المصريات لم يكن قد اعترف بوجودهن الاجتماعى أو حصلن على حقوقهن فى ذلك الوقت إلا أنهن مع الفتيات المصريات جنبا إلى جنب قد شاركن فى المعركة بجهودهن، وتطوعن عن طريق الهلال الأحمر والمنظمات النسائية الأخرى فى خدمة الجيوش المتحاربة، ووقفن كممرضات وطبيبات وعاملات وراء صفوف الجيش فى فلسطين، وتعرضن لما تعرض له الرجال فى هذه الحرب.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، اجتاحت مصر أنواع خطيرة من الأوبئة على أثر رجوع الجيوش المتحاربة إلى بلادها عبر الأراضى المصرية، ومن هذه الأمراض التيفوس والكوليرا، وقد قامت نساء مصر وشاباتها فى هذه الآونة بدور رئيسى فى مكافحة هذه الأمراض حيث قضين الأسابيع والشهور فى مخيمات

(١) عبد الرحمن الرافعى، **ثورة ١٩١٩**، كتاب الشعب، جـ ١، ص ١٢٧.

(٢) وديع أمين، « الجذور التاريخية لنضال المرأة فى مصر »، **الطليعة**، ١٩٦٩/١/١.

أقيمت لهـذا الغرض لمعالجة المرضى وحـماية الأصحاء ووقايتـهم سواء فى الوجه البحرى أم فى الوجه القبلى (١).

أما من حيث **تعليم الفتيات وتطوره فى المجتمع المصرى الحديث، وانعكاس ذلك على دور الشابات المصريات**، فيهمنا أن نذكـر أنه قد ظلت الجهود فى تعليم البنات أهلية، ولم يظهـر من المدارس الرسمية فى البداية إلا مـا يتولى تعليم بنات الطبقة الفقيرة اليتيمات بقصد توفيـر بعض احتياجات سيدات الأسر الراقية كعملية الولادة، وبعض احتياجـات الجيش مثل ملابس الجنود وحياكتهـا، أو بقصد توفير الرزق عن طريق العمل.

وكانت أول مدرسـة حكومية أنشئت لتحـقيق هذه الأهداف عام ١٨٣٢ هى مدرسة الولادة.

أما بداية التعليم الابتدائى الرسـمى فى مصر، فكان عام ١٨٧٣، عند إنشاء مدرسة ابتدائية للبنات عرفت باسم السيـوفية، ثم أنشئت فى عام ١٨٨٩، مدرسة جديدة عـرفت باسم السنية تبركـا باسم إحدى أميـرات الأسرة الحاكـمة فى ذلك الوقت.

أما التـعليم بهدف التـثقيف فلم ينشـأ للفتـاة إلا بعد جهـود الزعيم الأول للنهضـة النسائية فى مـصر، رفاعـة رافع الطهطاوى الذى نادى فى كتـابه «المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين» بوجـوب تعليم الفتاة وأوضح عـدم تعارض هذا التعليم مع الشريعة الإسلامية.

وبفضل تعاليم رفاعة الطهطاوى أتيح للفتـيات لأول مرة أن يتقدمن لامتحان شهادة الدراسة الابتـدائية الذى فتح بابه لأول مرة للفتاة عـام ١٩٠٠، وكان بشيرا بالتقدم العلمى لتعليم الفتيات (٢).

وفى عام ١٩٠٠ أيضا ظهر التعليم الثانوى الرسمى للبنات، عند إنشاء قسم معلمات السنية (بالإضافة إلى التعليم الابتدائى).

---

(١) أحمد طه محمد، **المرأة المصرية بين الماضى والحاضر**، ص ٦٠.

(٢) محمد فـرغلى فراج، وآخرون، **تغير الـوضع الاجتماعى للمـرأة فى مصر المعاصرة، الـتقرير الأول**، المركز القومى للبحوث ص ٢٩.

وقد تميز الربع الثانى من القرن العشرين بتطور كبير وإن كان بطيئا فى بدايته، وفى الاتجاه التعليمى لصالح المرأة. وتقبل فكرة إعدادها إعدادا مناسبا يهيئها للخروج للعمل، والاشتراك جنبا إلى جنب مع الرجل فى بناء مستقبل الوطن. وأخذت معالم هذا التطور تظهر بالتدريج فى التوسع فى نشر مدارس البنات الأولية والابتدائية والثانوية، وكذلك فى إنشاء المعاهد الفنية ومعاهد المعلمات المتوسطة والعالية،ولقد كانت نقطة التحول البارزة فى حركة تحرير المرأة المصرية شابة وامرأة، وتغيير نظرة المجتمع إليها تغييرا جذريا قبول الفتيات لطلب العلم فى أول حكومة رسمية (جامعة القاهرة حاليا)، ابتداء من سنة ١٩٢٨، حيث قبلت كلية العلوم ٨ طالبات، وفى سنة ١٩٢٩ قبلت كلية الآداب ٤ طالبات، وقبلت كلية الطب ٥ طالبات، وتلتها كلية الحقوق فقبلت طالبة واحدة سنة ١٩٣٠، ثم كلية التجارة التى قبلت طالبة واحدة كذلك سنة ١٩٣١. وقد حظيت الشابات المصريات بنصيب أكبر من التعليم الجامعى عندما أنشئت جامعة الإسكندرية ١٩٤٢ وجامعة عين شمس ١٩٥٠ (١).

وفى الفترة من ١٩٤٦ ـ ١٩٥٥، زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى لصالح المرأة، وأرسلت دفعات قليلة من الشابات فى بعثات دراسية إلى الخارج، وعدن يحملن أرقى الشهادات فى تخصصات شتى فى نفس الوقت الذى أتيح فيه للدفعات القليلة الأولى من الفتيات الالتحاق بالجامعة.

وأصبحت هؤلاء وهؤلاء، طلائع طيبة للشابات المصريات المتطورات، وقد كان لنجاح الرعيل الأول من الشابات الجامعيات اللائى تخرجن فى مصر، والمبعوثات اللائى أتممن دراستهن فى الخارج أكبر الأثر فى تشجيع الفتيات على الإقبال على التعليم العالى، اقتداء بهن كما حفز هذا النجاح فى الوقت نفسه اهتمام المسئولين، وشجعهم على السير بخطى أكثر سرعة، فى مزيد من التوسع فى تعليم الفتاة فى جميع المراحل، وإتاحة الفرصة لها لتخوض غمار الحياة الاجتماعية والعمل فى مختلف المجالات، لا فى ميادين الآداب والفنون فحسب بل فى ميادين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية على وجه الخصوص.

---

(١) انظر كريمة السعيد، **تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة، المؤتمر الأول للجامعيات العربيات، اتحاد الجامعيات اللبنانيات** من ٥ ــ ٨ مارس ١٩٦٤.

وعند قيام ثورة ١٩٥٢، كان إقامة عدالة اجتماعية بين الجنسين هو أحد المبادئ الستة فى دليل عمل الثورة المصرية، لذلك نص فى الدستور الجديد الذى أعلن فى مصر سنة ١٩٥٦، على منح المرأة حقوقا سياسية أسوة بالرجل، وبذلك استطاعت المرأة المصرية بعامة والشابة المصرية بخاصة أن تدلى بصوتها فى الاستفتاءات على رئاسة الجمهورية، وعلى الدستور، وفى الانتخابات العامة لمجلس الأمة، وكذلك انتخابات الاتحاد الاشتراكى، وصار لها الحق فى ترشيح نفسها لمجلس الأمة (مجلس الشعب الآن) وفى مجالس ولجان أخرى شعبية.

كما أولت الثورة أيضا، وتحقيقا للمبدأ نفسه وهو إقامة عدالة اجتماعية، تعليم الفتاة وإعدادها للعمل، عناية فاقت كل ما كان قد بذل فى السنوات العديدة السابقة على قيامها. وقد أتاحت مبادرة الثورة بتعميم مجانية التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية، فرصة التعليم لآلاف الفتيات اللائى كانت ظروف أسرهن الاقتصادية لا تسمح لهن بمواصلة التعليم.

ولما أعلنت الدولة مجانية التعليم فى الجامعات قبل بداية العام الجامعى فى خريف ١٩٦٢، كان لهذا أثر فعال فى اشتداد إقبال الشباب من الجنسين على التعليم الجامعى، كما نتج عنه تزايد نسبة أعداد المتخرجات من الشابات سواء من الجامعات أو المعاهد العليا تزايدا كبيرا عن السنوات السابقة على هذا الإجراء.

أما التوسع فى توظيف المرأة المصرية بعامة، والشابة المصرية على وجه الخصوص، والذى ترتب عليه خروجها للعمل بشكل لافت عما كان عليه من قبل، فقد بدأ مع حركة التمصير فى الميدان الاقتصادى بخاصة، والميادين الأخرى بعامة، وذلك فى سنة ١٩٥٧. كما عمل على توسيع مجال توظيف الشابات المصريات أيضا البدء فى تنفيذ خطة السنوات الخمس الأولى التى وضعتها وزارة الصناعة سنة ١٩٥٧. أما التوسع الكبير اللافت فى توظيفها، فقد جاء على أثر إعلان قرارات يولية الاشتراكية سنة ١٩٦١. وقد شجع الرواج الاقتصادى والتنمية السريعة اللذان حدثا بعد ذلك، أولى الأمر على الالتزام سنويا ابتداء من صيف ١٩٦٤، بتعيين كل المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا من الشباب والشابات فى الوظائف المختلفة.

ومن الأسباب الأساسية أيضا التى يسرت التحاق الشابة المصرية بمؤسسات التعليم العالى إنشاء عدد من الكليات الخاصة بالفتيات، وإقامة الجامعات الإقليمية التى التحقت بها فتيات الأسر الريفية فى المحافظات المختلفة.

وقد تعدى نشاط الشابة المصرية فى الدراسة مرحلة البكالوريوس والليسانس إلى الدراسات العليا فأقبلت عليها بأنواعها المختلفة (الدبلوم ــ الماجستير ــ الدكتوراة)، كما واكب إعداد الشابة المصرية علميا فى الداخل، إعدادها فى الخارج، فأرسلت للدراسة بالجامعات والمعاهد فى الخارج فى جميع التخصصات، كما سافرت الشابات المصريات أيضا فى اجازات دراسية للدراسات العليا أو مهمات علمية بهدف الاستزادة من العلم[1].

وفى الستينيات من هذا القرن بدأ نجم الشابات المصريات فى التألق، وظهرت قيادات شبابية من الإناث فى كثير من الميادين المتخصصة كالأدب، والصحافة والتعليم، والعلوم، والموسيقى، والمسرح، والسينما، والعمل الدبلوماسى والدولى. وفى النقابات المهنية.

وقد اختيرت سيدة من الشابات لمنصب وزيرة لأول مرة فى مصر فى سبتمبر ١٩٦٢ وهى الدكتورة حكمت أبو زيد، وكان هذا حدثا بارزا فى تاريخ النهضة النسائية فى مصر، ودليلا أكيدا على اعتراف الثورة بكفاءة المرأة المصرية بعامة والشابة المصرية بخاصة.

وقد كان لاختيارها من صفوف سلك هيئة التدريس بالجامعة ــ الهيئة العلمية العليا فى مصر ــ مغزى كبير. وقد اهتمت هذه السيدة التى كانت أول سيدة فى تاريخ مصر، تتقلد أمور وزارة الشئون الاجتماعية، بشئون المرأة العاملة ومشكلاتها، وبخاصة حاجتها إلى دور حضانة ترعى أطفالها، إسهاما فى التنمية الاجتماعية السريعة، كما نظمت مؤتمرين هامين أولهما خاص بشئون المرأة العاملة، وعقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٣، وثانيهما مؤتمر الأسرة الذى عقد فى ديسمبر ١٩٦٤.

(١) المرأة فى مصر، وزارة التعليم العالى، ١٩٧٥، ص ٨٤ / ٨٥.

وظهرت بعد ذلك فى ١٩٧٢ قيادة شبابية رسمية للمرة الثانية ممثلة فى اختيار الدكتورة عائشة راتب وزيرة للشئون الاجتماعية وهى أيضا قد اختيرت من سلك هيئة التدريس بالجامعة. وقد اهتمت الدكتورة عائشة راتب، بتعديل قانون الأحوال الشخصية، كما نفذت مشروعا آخر للاستفادة من جهود الشباب من الجنسين فى الخدمة العامة، كان محوره الأصلى تكليف الشابات من خريجات الجامعات والمعاهد العليا بهذه الخدمة (١).

وفى سنة ١٩٧٥ اختيرت الدكتورة آمال عثمان وزيرة للشئون الاجتماعية، وهى تمثل قيادة جامعية شابة مثقفة، وكانت قبل اختيارها للوزارة تشغل إلى جانب عملها فى الجامعة منصب الأمينة المساعدة للمرأة، وفى عهدها ظهر إلى النور قانون الأحوال الشخصية وذلك فى سنة ١٩٧٩ الذى اكتسبت به المرأة المصرية مزيدا من الحقوق.

ومن عرضنا للسياق التاريخى لدور الشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث يتبدى لنا أن **إسهام الشابات المصريات الحقيقى فى عملية التغير الاجتماعى وبالذات فى عملية التنمية، لا يمكن تتبع مساره إلا من خلال خروج المصريات إلى العمل خارج بيوتهن وتكسبهن، وذلك بعد تعلمهن فى مختلف مراحل التعليم، وتحررهن فكريا بالتدريج.**

ولما كان دور الشابات المصريات هو الوجه الآخر للعملة لقضية تحرير المرأة المصرية، فإنه من الواضح أن تعليم الشابة المصرية فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعة قوية؛ ذلك لأنه أوجد عند الشابة المصرية وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها، ودورها فى المجتمع بعامة، وفى الأسرة بخاصة.

وقد ترتب على تحرير المرأة المصرية بعامة، والشابة المصرية بخاصة، تخلصها تدريجيا من سيطرة الرجل، وسلطان التقاليد، والحرمان السياسى الذى كان مفروضا عليها، كما ترتب عليه أيضا تشغيلها فى مختلف المهن المتخصصة، سواء

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث : تحليل اجتماعى ثقافي، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية، ص ٩٩ : ١٠٦.

ما كان منها صناعيا أو زراعيا، أو تربويا، أو طبيا، أو تشريعيا، أو تنفيذيا أو غير ذلك من المهن التى كان يعتقد أنها وقف على الرجل وحده.

وقد كان ذلك فى الوقت نفسه مصاحبا لظاهرة الحد من الفروق الطبقية، لأن التعليم وبخاصة التعليم العالى أتيح أول ما أتيح لبنات الطبقات المتوسطة ثم الراقية. وما أن انتشر تعليم الفتيات بين هاتين الطبقتين حتى انتشرت من بعد ذلك ظاهرة اشتغالهن بشتى المهن خارج بيوتهن.

وقد نجم عن ذلك أن الهوة التى كانت تفصلهن عن فتيات الطبقة الدنيا العاملات أخذت تضيق شيئا فشيئا على مر السنين. وذلك للتفاعل الاجتماعى الحادث فى المجتمع الجديد، الذى دفع بكل من الطبقة الدنيا من جهة والطبقتين العليا والوسطى من جهة أخرى، إلى التقارب إلى درجة كبيرة فى مستوى وسيط هو مستوى الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا المتطلعة الواعية، ذلك لأنه لا يمكن إنكار أن التقدم الاجتماعى الاقتصادى الحادث فى كل المجتمعات المتقدمة، قد أدخل على الطبقة الوسطى، والطبقة العليا مظاهر معينة كانت لحقب كثيرة تعد من خصائص الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا وحدها (١). ومن بين هذه الخصائص اشتغال نساء الطبقة الوسطى بالوظائف الكاسبة، أى التى تدر دخلا منتظما ذا قيمة

---

(١) كان هناك تردد كبير فى نشر تعليم الفتاة فى مصر، وفى إتاحة الفرصة لخروجها للعمل (وبخاصة فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى) ذلك لأن العلم فى أول الأمر، كان ينظر إليه الكثيرون على أنه ليس بذى قيمة أو أى نفع للمرأة، بل إنه كان يخشى منه فى أن يصرفها عن قيامها بدورها فى بيتها، الذى لم يكن يتصور عندئذ أنه كان يستغنى عنها فى تدبر أى شأن من شئونه. هذا فضلا عن أن خروج المرأة للعمل كان إهانة لرب الأسرة، لأنه دليل على عجزه عن إعالة أسرته. ولهذا لم تكن تخرج للعمل إلا المرأة الفقيرة أو التى فقدت عائلها. وكانت فى هذه الحالة تعمل وهى مجبرة، ومتأثرة فى قرارة نفسها بالقيم المسيطرة على المجتمع حينئذ، وهى أن الفقر مذلة والعمل مهانة. فتعمل وهى غير راغبة فى عملها، وتنعى طول الوقت حظها وظروفها، ولذلك تختار من العمل ما تستطيع أداءه وهى محجوبة بقدر الإمكان عن الناس مثل الخدمات الشخصية التى تزاولها داخل المنازل، وفى نطاق ضيق محدود وبطريقة غير منتظمة، تحت إشراف ربات البيوت. كذلك كان لظهور بعض الصناعات، كصناعة الغزل والنسيج والأطعمة ودبغ الجلود، أثر ملحوظ فى إتاحة الفرصة لبعض النساء للخروج إلى العمل فى المصانع، لا من قبيل التحرر فى الفكر ولكن انتهازا لفقرهن وحاجتهن للعمل واستغلالا لطاقتهن الإنتاجية بأجور زهيدة، لتحقيق الكسب الكبير لأصحاب الأعمال من الرأسماليين.

(الباحثة)

يعتـمد عليه، وذلـك نتيجـة ضعف ثم تلاشى ظاهرة توريث المرأة دخـلا ثابتا من أرض زراعية أو عقار، أو استثمار مال معين. وهى ظاهرة كانت شائعة إن لم تكن عامة، بين أسر الطبقتين العليـا والوسطى. وهكذا حل محل ظاهرة تأمين مستقبل المرأة على هذا النحو، تعليمها فى مختلف مراحل الـتعليم وتوظيفها، وقد أصبح هذا النظام الجديد من الأنظمة الشـائعة فى النسق الاجتماعى الشـامل فى المجتمع المصرى الحديث.

وجدير بالذكر أن ما حـدث من تغير اجتماعى نتيـجة لخروج الشابة المتعلمة المتخصصة الواعيـة من بيتها للعمل فى مختلف ميادين الإنتـاج والخدمات يشبه ما حدث للمرأة فى المجتمع الغربى الحديث، ولكن مع تفاوت فى الدرجة والشدة.

خـلاصـة القـول أننا نود أن نوضح أن تعليم المرأة فى مـصـر فى العـصـر الحديث، وبخـاصة التعليم العالى المتـخصص، كان هو مفـتاح تحررها ونهضـتها ووعيـها. والدلـيل على ذلك أن رائدات التحـرر فى مصـر كن بلا استـثناء، من المثقفات المتعلمات الواعيات [1]. غيـر أن تقرير ذلك لا يعفـينا من ذكر أن تطور مراحل التعليم فى عهد الثورة منذ عام ١٩٥٢ قد تأثر بمدى تفشى الأمية فى قطاع المرأة إذ نجد أن نسبـة الأمية فى الحضـر بين الذكور تصل إلى ٣٨٪، وعند الإناث ٦٪، بينما تزيد النسبة فى الريف فتصل إلى ٦٧٪ بين الذكور وترتفع إلى ٩٢٪ بين الإناث الأمر الذى أدى إلى إنشاء المجلس الأعلى لتعليم الكبار بقرار جمهورى عام ١٩٧١ [2].

ثانيا: الواقع الاجتماعى للشابات المصريات وعلاقته بالتغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى الحديث:-

عندما نتحدث عن الواقع الاجتماعى للشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث، فى علاقته بالـتغير الاجتماعى، فلابد أن نضع فى الاعتـبار ذلك التباين الظاهر، والاختلاف الواضح فى أسلوب الحياة الاجتـماعية بين المناطق الريفية من جهة وبين المناطق الحضرية من جهة أخرى.

---

(١) انظر ساميـة حسن الساعاتى، دور المثقـفات المصريات فى التغـير الاجتماعى: بحث اجـتماعى تاريخى، بحث قـدم فى الندوة الدوليـة عن **المثقـفون والتغيـر الاجتماعى فى العـالم العربي**، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ٣ - ٦ ديسمبر ١٩٧٩.

(٢) هدى بدران، المرأة والتنمية، **المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية**، ص ٣.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل ان المجتمعات الحضرية فى مصر أى المدن الكبيرة وعلى رأسها القاهرة والإسكندرية، تحتوى فى داخلها ثلاثة أنواع من الثقافة وفق المناطق المختلفة فى المدينة. فهناك مناطق مغلقة تسود فيها ثقافة ريفية تكاد تكون خالصة، وعلى النقيض منها، هناك مناطق مفتوحة تسود فيها ثقافة عصرية. وهناك مناطق ثالثة بين بين تسود فيها ثقافة ريفية حضرية، أى تجمع فى كثير من القيم والمعتقدات والعادات، والتقاليد التى تسود فى الريف، وبين كثير أيضا من العناصر المادية التى تكون جزءا بارزا من الثقافة الحضرية.

ومن أهم مقومات فهم الواقع الاجتماعى للشابات المصريات، وعلاقته بالتغير الاجتماعى، إجراء بحوث ودراسات تقسم بالشمول لوصف وتشخيص اتجاهات هؤلاء الشابات ومواقفهن من قضايا التنمية فى المجتمع خلال مرحلة تاريخية معينة.

وجدير بالذكر أن هناك دراسة **لسيد عويس**، قام بإجرائها فى خلال العام الدراسى ١٩٧٤ / ١٩٧٥ بعنوان « **نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل** » طبقها فى محيط طالبات المعاهد العليا والجامعات إيمانا منه بأنهن وزملائهن الطلبة سيكونون قادة المستقبل فى مصر. وكانت الدراسة تتطلب الإجابة عن بعض الأسئلة التى تتعلق بمستقبل الطالبة ومستقبل أسرتها سواء كانت أسرة توجيه، أو أسرة تناسل، ثم بمستقبل المجتمع المصرى المعاصر. كوحدة من قادته الثقافيين الاجتماعيين فى المستقبل ستؤدى من أجله دورا أو أدوارا اجتماعية معينة.

والإجابات المطلوبة هى فى حقيقة الأمر الآراء التى يجب أن تعكس الخبرات الموضوعية لكل طالبة كما تعكس آمالها. وفى ضوء هذه الإجابات أو الآراء أو الخبرات الموضوعية، يمكن أن نصل إلى بعض الاتجاهات العامة فى محيط الشابات من الطالبات موضوع الدراسة نحو المستقبل، مستقبلهن كأشخاص، ومستقبل أسرهن ثم مستقبل مصر.

وكان قوام الدراسة ٥٠ شابة، متوسط أعمارهن ٢٣,١ عاما بانحراف معيارى ٢٢ سنة، وكان نحو ٨٦٪ منهن من المسلمات، و١٤٪ من المسيحيات. وقد نشأت نحو ٨٢٪ منهن فى المدينة، و ١٢٪ من القرية و ٦٪ فى المركز

وجميعهن يقمن وقت الدراسة فى المدينة . . والأغلبية الساحقة لا يعملن بنسبة نحو ٨٦٪ والأغلبية الساحقة أيضا بنسبة نحو ٨٧,٥٪ لم يتزوجن. وتعيش نحو ٩٠٪ من هؤلاء مع أسراتهن. أما المتزوجات فنسبتهن ضئيلة (نحو ١٢,٥٪)، وكلهن متزوجات من مصريين، وأغلبهن لا يوجد لديهن أبناء، ومن حيث مهن الآباء سواء كانوا على قيد الحياة أو متوفين، نجد أن نحو ٤١,٩٪ منهم من موظفى الحكومة، ومن هؤلاء ٩,٣٪ على المعاش، ونحو ٢٧,٨٪ منهم يعملون فى مهن حرة، ونحو ١١,٦٪ منهم من العمال والفلاحين ونحو ٢,٣٪ منهم من ذوى الأملاك. والباقى بنسبة نحو ١٦,٣٪ لم تذكر مهنهم، أما الأمهات سواء كن على قيد الحياة، أو كن متوفيات فكلهن لا يعملن ما عدا ثلاث أمهات فقط الأولى منهن ناظرة مدرسة والثانية مدرسة والثالثة أمينة مكتبة.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة ما يلى :

(١) هناك أغلبية ساحقة حوالى أربعة أخماس الشابات موضوع الدراسة يرغبن فى ممارسة المهنة التى تخصصن فيها ويعنى ذلك أن المجتمع يتوقع قوة عاملة جديدة فى شخص هؤلاء الشابات من الطالبات وغيرهن ممن على شاكلتهن، ومع ذلك فإننا نجد ما يقرب من نصف هؤلاء يرغبن فى العمل فترة من الوقت فى بلد عربى بنسبة ٧١,٤ أو أجنبى بنسبة ٢٨,٦٪.

(٢) حوالى ثلثى الشابات من الطالبات موضوع الدراسة لا يقتنين مكتبة خاصة، والقراءة عندهن محصورة فى الكتب المدرسية.

(٣) أكدت الغالبية الساحقة من الشابات المصريات من الطالبات موضوع الدراسة قيمة المظهرية السائدة فى المجتمع المصرى المعاصر،فالسفر إلى بلد عربى فى المحل الأول أو أجنبى يكون بالضرورة من أجل الحصول على النقود التى تشترى بها السيارة وغيرها من السلع الاستهلاكية.

ومن الجدير بالذكر أن **جميع الشابات من الطالبات موضوع الدراسة قد رفضن بلا استثناء السكن فى الريف، حتى اللائى نشئن فى الريف !**

(٤) تبين أن أغلبية ساحقة من الشابات المصريات موضوع الدراسة من الطالبات المتزوجات منهن، وغير المتزوجات يرغبن فى إنسال أطفال لا يزيد عددهم

على ثلاثة، مع ملاحظة أن نسبة عالية لا يرغبن فى إنسال أكثر من طفلين، وهن يرغبن فى تعليم أطفالهن وخصوصا الذكور منهم حتى المستوى الأعلى، وهن يرين أن مشاركة الأزواج فى تربية الأبناء ضرورة، ويرين ضرورة وجود نمط من تقسيم العمل بينهن وبين أزواجهن الحاليين أو أزواج المستقبل، وهن يوافقن على ممارسة الاختلاط بين الجنسين فى محيط الأسرة بنسبة أعلى من هذه الممارسة بين الأصدقاء من الجنسين.

وكل هذه الحقائق تؤكدها ظروف المجتمع المصرى المعاصر، فهى حقائق متناقضة، وتدل على البلبلة الفكرية، فالشابات المصريات موضوع الدراسة أو معظمهن يوافقن على تنظيم النسل، ولكنهن تفضلن الذكور على الإناث وهن يرين ضرورة وجود نمط من تقسيم العمل بينهن وبين أزواجهن الحاليين أو أزواج المستقبل، ولكنهن يوافقن على ممارسة الاختلاط بين الجنسين فى محيط الأسرة بنسبة أعلى من هذه الممارسة بين الأصدقاء من الجنسين.

(٥) تجلت الوطنية المصرية عند الشابات المصريات موضوع الدراسة من الطالبات، فقد ذكرن أن أول التحديات المعاصرة التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر عندهن هو « الحرب مع إسرائيل» وأن هذا التحدى هو أخطر التحديات فى الوقت الراهن عند الطالبات، يلى هذا التحدى « وباء » الأمية بأنماطها، أى أمية القراءة والكتابة، والأمية العلمية، والأمية الفنية. . . . إلخ. ويلى تحدى وباء الأمية بأنماطها، مشكلة السكان، تلك المشكلة التى تشكل أمام المخطط المصرى مهمة صعبة حيث عليه أن ينسق أهداف التنمية القومية عامة مع أهداف السياسة السكانية بغير تضحية لا مبرر لها من أحد الجانبين، فالمشكلة السكانية تعنى ليس فقط الترحيب بانخفاض معدل وفيات الأطفال وارتفاع مستوى العمر، بل تعنى أيضا انخفاض معدلات المواليد وارتفاع نسبة السكان فى المدن والمناطق الحضرية إلى مجموع السكان. . وتؤكد الحقيقة الأخيرة رفض الشابات المصريات من الطالبات موضوع الدراسة جميعا حتى اللائى نشئن فى الريف، أن يسكن فى الريف، وتلى مشكلة السكان، مشكلة الأمراض المتوطنة، وهى تتضمن أمراض البلهارسيا والإنكلستوما والملاريا. . . إلخ، وتلى هذه المشكلة مشكلة المواصلات، ثم تعاطى الحشيش، وأخيرا مشكلة البيروقراطية (السلبية) على التوالى.

(٦) رتبت الشابات المصريات من الطالبات موضوع الدراسة تحديات العصر التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر حسب خطورتها وأهميتها فكان أول هذه التحديات فى **رأيهن تفوق التكنولوجيا الصناعية**، ويلى ذلك **تفوق التكنولوجيا العسكرية**، ثم **تفوق العلوم الإنسانية**، ثم تفوق مستوى الخدمات الصحية والاجتماعية، ثم تفوق مستوى البحث **العلمى فى محيط الظواهر المادية والإنسانية**، وأخيرا المستوى **الرفيع للفنون بأنماطها**. ولعل فى هذا الترتيب ما يدعو إلى التفاؤل ببعض أمهات المستقبل، وببعض القائدات الرسميات للمجتمع المصرى فى وقت غير بعيد.

(٧) **مازال الزواج هدفا تسعى إليه الشابة المصرية**، فقد نال دور، الزوجة والأم اهتمام الشابات من الطالبات موضوع الدراسة بأغلبية ساحقة، بينما لم يحظ الدور السياسى بحظ كثير من اهتمام الشابات من الطالبات[1].

وفيما عدا دراسة سيد عويس عن نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل، **لا نجد بحثا كرس للشابات المصريات، وإنما معظم الأبحاث تناولت الشابات المصريات أما فى الحديث عن المرأة المصرية، أو فى الحديث عن الشباب المصرى بعامة.**

ومن تلك **الدراسات التى ألقت الضوء على الواقع الاجتماعى للشابات المصريات من خلال تناولها للشباب** بعامة الدراسة الخاصة باتجاهات **الشباب المصرى ومواقفه من قضايا التنمية فى المجتمع**، التى أجراها **محمد على محمد**، وراجعها محمد عاطف غيث.

وقد صممت هذه الدراسة على أساس عينة قوامها عشرة آلاف شاب مصرى (١٠,٠٠٠) ينتمون إلى عدة محافظات تمثل جمهورية مصر العربية بوجهيها البحرى والقبلى ريفا كان أم حضرا، وقد بلغ متوسط عمر أفراد العينة الذين شملتهم الدراسة الميدانية (٢٤,٤٩) وواضح أن هذا المتوسط يعبر عن الفئة العمرية للشباب التى تمتد من ١٨ - ٣٠ عاما. كما أن العينة قد شملت شبابا يعملون ويمثلون قطاعات إنتاجية مختلفة كالفلاحين والعمال والموظفين والحرفيين. وأصحاب المهن الفنية العامة هذا فضلا عن الطلاب.

---

(١) انظر سيد عويس، « نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل »، **فى حديث عن المرأة المصرية المعاصرة** : دراسة ثقافية اجتماعية، ص ٢٦٧ : ٢٧٤.

وجدير بالذكر أن عبارة الشباب المصرى فى هذه الدراسة تضم الرجل، والمرأة على حد سواء، ولذا شملت العينة نسبة من الإناث فى مختلف المجالات، بالإضافة إلى النساء اللائى يمثلن ربات البيوت،وقد بلغ إجمالى عدد الذكور ٧٣٧٢ ذكرا فى مقابل ٢٥٩٥ أنثى أى بنسبة ٣-١ وبمعدل نوعى ٣٠٠٪.

وقد حاولت الدراسة أن تجعل من القضايا الكبرى فى تنمية المجتمع المصرى محورا لاستطلاع آراء الشباب ومواقفهم واتجاهاتهم فحددت عدة مجالات كمؤشرات لدراسة مواقف الشباب من قضايا التنمية، مثل المجال الاقتصادى، والمجال التعليمى، ومجال السكان وتنظيم النسل، وقيم الاختيار للزواج، ومجال القيم السلوكية والتربوية، والاتجاه نحو حقوق المرأة ومكانتها فى المجتمع، ومجال هجرة الشباب.

وفيما يلى أهم نتائج هذه الدراسة :

(١) كانت أهم المشكلات الاقتصادية التى يعانى منها المجتمع من وجهة نظر الشباب المصرى (ومنهم نسبة لا بأس بها من الشابات المصريات) **مشكلة قلة الدخل** ذلك أن ضعف مستوى الدخول يؤثر تأثيرا بالغا فى مختلف مجالات الحياة الأخرى. وترتبط مشكلة قلة الدخل بمشكلة أخرى جاءت فى المرتبة الثانية ألا وهى **ارتفاع الأسعار** إذ إن جوهر المشكلة الاقتصادية فى المجتمع المصرى المعاصر يمكن أن يتحدد فى ضوء ذلك بوصفه يعبر عن معادلة غير متوازنة بين الدخل والأسعار، فعلى حين أن الأسعار أخذت ترتفع ارتفاعا ملحوظا خلال السنوات الماضية، فقد ظلت معدلات الدخل ثابتة نسبيا مما ترتب عليه عدم مقدرة معظم الطبقات المحدودة الدخل بالذات من إشباع حاجاتهم الأساسية.

(٢) تغير اتجاه الشباب الذين أصبحوا **يتبنون قيما جديدة نحو العمل الحكومى** ففى مصر كان هناك اعتقاد راسخ بأن العمل الحكومى مصدر دخل ثابت، وأمان للمستقبل، وهيبة اجتماعية فى المجتمع، ولقد تغير هذا الاتجاه تغييرا حاسما بين مختلف فئات المجتمع، وبخاصة الشباب إذ بلغت نسبة الذين يفضلون العمل الخاص أو الحر عن العمل الحكومى (٤٣,٠٦٪) فى مقابل

(٧٥ ,٢٣٪) يفضلون العمل الحكومى، و (١٢ ,١٣٪) يفضلون العمل الذى يدر دخلا أكبر. وقد لوحظ فى الوقت نفسه أن النسب المعبرة عن تفضيل العمل الحكومى مرتفع نسبيا فى محافظات الوجه القبلى، والمحافظات ذات الطابع الريفى، عنها فى المحافظات الحضرية الأخرى كالإسكندرية مثلا :

(٣) فيما يتعلق بالنظام التعليمى كشفت الدراسة عن أن نسبة كبيرة من الشباب المصرى (٢٥ ,٥٠٪) يرى أن التعليم فى مصر لا يؤدى الوظيفة التثقيفية بمعنى أنه لا ينمى لدى الشباب أحساسهم بالمسئولية تجاه أنفسهم ونحو مجتمعهم على نحو يجعلهم فى موقع يسهمون من خلاله فى عملية إعادة بناء مجتمعهم، كما أن هناك نسبة كبيرة أخرى من الشباب المصرى ترى أن التعليم الحالى فى مصر لا ينمى الوعى السياسى للشباب وهى تصل إلى (٠٨ ,٦٣٪).

(٤) يدرك الشباب المصرى مبلغ **خطورة مشكلة الأمية فى مصر** والتى وصلت وفقا لتعداد ١٩٧٦ إلى (٥ ,٥٦٪) وهى بين الذكور (٢ ,٤٣٪) وبين الإناث (٧١٪)، وقد بلغ هذا الادراك للمشكلة نسبة عالية وصلت إلى (٩٨ ,٨٤٪) من مجموع الشباب الذين تضمهم الدراسة.

وكان هذا الإدراك شاملا بين الشباب من مختلف الفئات المهنية والمستويات التعليمية.

(٥) هناك إدراك واضح من الشباب المصرى **للمشكلة السكانية، فقد أوضحت** نتائج الدراسة أن (٨٣ ٪) من الشباب يعون هذه المشكلة ويدركون أبعادها وبخاصة فى المحافظات التى ترتفع فيها معدلات النمو السكانى بشكل واضح.

وقد تبين من الدراسة أن الشباب المصرى يفضل انسال طفلين (١٢ ,٤٨٪) يلى ذلك نسبة بلغت (٠١ ,٣٣٪) تفضل انسال ثلاثة أطفال، وبحساب المتوسط الحسابى لعدد الأبناء المفضل اتضح أنه قد بلغ (٥٣ ,٣) طفلا. والواقع أن الشباب المصرى يعتقد أن **تنظيم النسل** هو أهم إستراتيجيات مواجهة الزيادة السكانية كما سنلاحظ أن متوسط السن **المفضل لزواج الفتى فى العينة هو (٨٢ ,٣١ سنة)** وهى

سن لا تعد مرتفعة الآن بالنظر إلى الأعباء الاقتصادية الملقاة على الشاب المصرى الذى يرغب فى الزواج. أما متوسط السن الملائم لزواج الفتاة فهو فى العينة (٢٠,٤٩) مع ملاحظة أن هذا المتوسط لا يعبر عن ارتفاع واضح فى سن زواج الفتاة، إلا أن الملاحظ أن الفتيات المتعلمات وبخاصة فى المحافظات الحضرية يتزوجن فى سن أعلى، من السن الذى تتزوج فيه الريفيات، أو اللائى لم ينلن حظا من التعليم.

(٦) كشفت النتائج عن أن التعليم يعد قيمة أساسية من قيم الاختيار فى الزواج بين الشباب إذ ترتفع نسبة الشباب الذين يفضلون الزواج من فتاة متعلمة لتصل إلى (٤٤,٣٤٪).

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج بحث سامية الساعاتى عن الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى الذى أجرى سنة ١٩٦٨، وإن كان بحث سامية الساعاتى يعطى ثقلا واضحا للفروق الريفية الحضرية فى هذا الشأن إلى جانب فروق التعليم [1].

وتشير بيانات الدراسة التى قام بها **محمد على** أيضا، إلى أن هناك اتجاها بين الشباب المصرى لتفضيل الزواج من المرأة المتفرغة (٥٠,٨٥٪) أكثر من تفضيل الزواج من المرأة العاملة (٢٤,٥٣٪) وذلك رغم ضغط الظروف الاقتصادية على الشباب.

(٧) تفصح النتائج عن اتجاه الشباب المصرى نحو ضرورة تعليم الشابة المصرية تعليما جامعيا أو عاليا (٦٣,٣٣٪) وكانت أهم الأسباب لذلك **هى أن تحسن تربية الأبناء، ثم لكى تشارك الزوج فى الإنفاق**. وكذلك يجمع الشباب المصرى فى الدراسة، على ضرورة منح المرأة **حقوقها السياسية كاملة** فى المجتمع، كما أن الشباب المصرى موضع الدراسة يوافق بنسبة قدرها (٥٠,٦٪) على منع الزواج من أكثر من واحدة، لكنه فى الوقت نفسه يرفض تقييد حرية الرجل فى الطلاق.

(٨) بينت الدراسة أن هناك اتجاها عاما بين الشباب يعبر عن **موافقتهم على الهجرة للخارج** (٦٥,٣٥٪)، فى مقابل نسبة بلغت (٣٤,٦٪) هم الذين لا يوافقون على هجرة الشباب.

---

(١) انظر سامية الساعاتى، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى، ص ٣١٠.

وقد ظهر أن العامل الاقتصادى والرغبة فى **تحقيق تطلعات الشباب فيما يتعلق برفع مستوى المعيشة وإشباع حاجاتهم** هو أكثر العوامل التى تعد دافعا مشجعا على هجرة الشباب للخارج.

أما الذين لا يوافقون على الهجرة فقد ذكروا ثلاثة أسباب لعدم الموافقة هى حسب أهميتها : **أن مصر أولى بشبابها**، ولأن الشاب **يمكنه أن يحقق ما يريد فى وطنه**، ولأنهم **لا يضمنون وجود فرص العمل الكريم بالخارج**.

وقد ظهر من الدراسة كذلك أن اتجاه الشباب نحو الموافقة على الهجرة يزيد ويتضح، بارتفاع المستوى التعليمى. كما وضح أيضا أن ما يصدق على العلاقة بين الهجرة والتعليم يصدق أيضا على العلاقة بين المهنة والهجرة، فالعمال والحرفيون، وأصحاب المهن الفنية العالية أكثر الفئات موافقة على الهجرة للخارج.

أما فيما يتعلق بالهجرة الداخلية، فمن المعروف أن الظاهرة الجديرة بالاهتمام فى هذا الصدد هى **هجرة الريفيين إلى المدن** بحثا عن فرص جديدة للعمل، خاصة بعد انتشار التصنيع وحاجة الصناعة إلى أيدى عاملة، وتركز كثير من المصانع الكبرى من المدن. كذلك يهاجر كثير من الشباب الريفى إلى المدينة طلبا للتعليم فى جامعاتها، ومعاهدها. حتى بعد إنشاء الجامعات الإقليمية القريبة من سكنهم(١).

ثالثا : التحليل الاجتماعى لدور الشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث والتغير الاجتماعى :

يمكن تحليل ما سبق من معلومات عن واقع الشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث كما اتضح من الدراسات والبحوث، سواء تلك التى كرست لبحث هذا الواقع فى ذاته، أو تلك الدراسات التى تناولت واقع الشابات المصريات فى معرض بحثها للمرأة المصرية، أو للشباب المصرى بعامة.

قامت ثورة ١٩٥٢ ، وكأى ثورة كانت فى حاجة إلى إيمان،فالثورة الفرنسية على سبيل المثال كانت لها إيمانها ومثلها، وكذلك الثورة البلشفية. وتكمن أهمية

---

(١) انظر محمد على محمد، الشباب والمجتمع، دراسة نظرية وميدانية، مراجعة وتقديم محمد عاطف غيث، ص ١١١ : ١٧٠.

الإيمان فى كونه يساعد على تأسيس فكر اجتماعى وسياسى متماسك حتى لا يتمزق الفكر الشبابى فى أى اتجاه لكن ما حدث فى أعقاب ثورة ١٩٥٢، أنه لم يتوفر وضوح كاف لمثل هذا الإيمان. ومن ثم **تعددت انتماءات المجتمع بين الانتماء الإفريقى، والغربى، والإسلامى، والاشتراكى، والانفتاحى**. وقد انعكس ذلك على المجال الواقعى، ومن ثم افتقد المجتمع إمكانية توفر النماذج الواجب احتذاؤها، هل فردية رأسمالية؟ أم جماعية اشتراكية، أم أنها تنتمى إلى تراث الأصالة والدين.

وفى ظل ذلك تميعت القيم والمثل لغياب الإيمان الذى تتخلق عنه هذه القيم والمثل، هذا إلى جانب عدم تأسيس القنوات الحرة والملائمة، التى تيسر انسياب الفكر الشبابى من خلال الحوار المخلص والصريح الذى يسهم فى امكانية خلق إيمان يقود المسيرة.

وابتداء من سنة ١٩٥٢، بدأ التخطيط للشباب والعمل الشبابى يأخذ شكل الوصاية، بل امتدت هذه الوصاية أحيانا لتشمل المجتمع المصرى ككل. وفى جو هذه الوصاية، رفضت المشاركة كفكرة أساسية، وهو رفض مازلنا نعانى منه حتى الآن. ولقد أدى فرض هذه الوصاية ورفض إمكانية المشاركة، وهدم قيم المجتمع القديم دون تأسيس فعال لسياق قيمى فعال يقود مسيرة التنمية فى مجتمع الثورة، التى تخلق نوعا من الفراغ، انصرف الشباب فى إطاره إلى عديد من التنظيمات اليسارية واليمينية، وحتى الجماعات ذات المنطلق المنعزل عن المسيرة، كالهروب فى إطار جماعات دينية.

وفى إطار ذلك الفراغ السالف الذكر، برزت فجوتان : **الأولى تتعلق بافتقاد القدوة والمثال**، والثانية **تكمن فى الفارق بين ما يقال وما يمارس**. ومن ثم، فقد كان نتيجة ذلك انتقال الشباب المصرى ذكورا، **وإناثا، من مرحلة المشاركة الفعالة إلى مرحلة السلبية والهجرة**، سواء كانت معنوية أو مادية، حيث يعيش الشباب المصرى ذكورا وإناثا غريبا عن الواقع المصرى مفتقدا الانتماء إليه.

ثم تجلت بعد مرحلة السلبية، فيما بعد، مرحلة جديدة هى الرفض بأشكاله العديدة، ثم مرحلة الهروب، حيث أصبحت البيئة المصرية فى إطارها بيئة طاردة.

وأصبحنا نجد الشابة المصرية المحبة لوطنها المتمسكة به مهاجرة، وكذلك وجدنا الشاب المصرى.

إن أول العوامل التى أسهمت فى ذلك، أن المجتمع المصرى بعد ١٩٥٢ قد تعرض لمجموعة من الهزات الأساسية. أولها حدث فى سنة ١٩٥٢، حيث صدرت مجموعة قرارات الإصلاح الزراعى والتبشير بمنطق أيديولوجى جديد، وفى سنة ١٩٦١ صدرت مجموعة قرارات التأميم التى أكدت المنطلقات السابقة وعمقتها، وشهدت هذه المرحلة انتقالا واضحا ومحددا نحو المنطلقات الأيديولوجية الاشتراكية.

وفى ١٩٦٧ واجه المجتمع المصرى هزيمة عسكرية ساحقة، أثرت فى مختلف أرجائه. ثم جاءت الفترة من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٣، لتفرض آثار الهزيمة والاستعداد للمعركة كعامل جديد من الموقف، حيث كانت القضية الأساسية فى هذه المرحلة هى تحرير الأرض، ومن ثم ثارت مطالب ونداءات تتساءل لماذا لا نحارب الحكومة ؟ ومن هنا شهدت هذه المرحلة مظاهر عنف وتظاهرات عديدة لعبت فيها الشابات من طالبات الجامعة دورا هاما واضحا.

وبحلول عام ١٩٧٣، بدأت تحولات جديدة، إذ قامت المعركة العسكرية التى حققت العبور وتحرير جزء من الأرض المصرية، وأعقب ذلك بعض التحولات الجديدة فى النظام الاجتماعى والاقتصادى، وبرزت تساؤلات شبابية عديدة تحاول تحديد ملامح النظام فى هذه المرحلة وهويته، وإذا ما كانت هذه التحولات تكتيكية أم إستراتيجية ؟

ولا شك أن هذا القدر من التحولات التى وقعت فى إطار المجتمع المصرى تحتاج إلى إنسان حديدى قادر على استيعاب كل هذه النقلات الاجتماعية الكبيرة دون أن يحدث له توتر أو قلق.

إن تلك النقلات قد أدت إلى تأسيس نوع من التسيب الأخلاقى أدى فى النهاية إلى اهتزاز ملامح الشخصية الشابة، وإلى اهتزاز فكرة الوطن أيضا. وفى ضوء ذلك تساءل الشباب ذكورا وإناثا، من نحن ؟ وإلى أين نسير ؟ هل نحن عرب ؟ أم مسلمين ؟ أم أفارقة ؟ هل نحن نتبع منطقا اشتراكيا أم رأسماليا ؟ قد

تكون هناك توفيقية لذلك، إننا عرب ومسلمون وأفارقة. إننا اشتراكيون لكن لابد أن يكون للقطاع الخاص دوره البارز، لكن ذلك لا يحل المشكلة فلابد كى يحدد الإنسان هوية لذاته، أن يؤسس نوعا من الأولويات التى تستند إليها الشخصية. فإن لم يتمكن من تحقيق ذلك فإنه عادة ما يشعر بالتمزق فى داخله، ويكون لذلك مظاهره العديدة بالنظر إلى الشخصية أو سياقها الاجتماعى [١].

إن الشباب **إناثا وذكورا، يحتاج إلى وجود فكر، ومحتاج إلى إيمان واضح ومحدد المعالم، بالقيم التى يرتضيها المجتمع ويستوعبها** الشباب بعد أن يشارك **بالحوار، والتعبير الصريح فى تخليقها،** لأن ذلك **يحميه ذكورا وإناثا، من الحياة فى مناخ من البلبلة قد تسلمه إلى خيارات متطرفة غير ملائمة لتحقيق ذلك،** ولكونها لا تتفق مع مصالح المجتمع ومسيرته. والمجتمع هنا ليس هو السلطة. فليس هناك دفاع عن قيم السلطة، ولا يجب أن يكون هناك وجود لقيم السلطة منفصلة عن قيم المجتمع. إن قيم المجتمع يجب أن تتأسس فى مرحلة التنمية من خلال تطوير تراثه الذى يتفاعل مع ما تفرضه المعاصرة من متغيرات، وإذا لم يتحقق ذلك، فسوف نواجه بخيارات وتمزقات قاتلة أبسطها ما يمكن أن نصفه بالجماعات ذات الأيديولوجية الهروبية، أو تكاثر تنظيمات الانحراف فى إطار ذلك، فهى تمثل اتجاهات هروبية تنتقد فى إطاراتها الواقع الاجتماعى بمشاكله وظروفه الراهنة، وفى النهاية لا يمثل هذا الهروب سوى الاندفاع فى إطارات مثالية لا تساعد كثيرا على مواجهة المشاكل الواقعية.

* * *

(١) انظر التقرير النهائى لبحث الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٠، ص ٣١ / ٣٥.

المراجـع

أولا : مراجع عربية :

(١) أحمد طه محمد، **المرأة المصرية بين الماضى والحاضر**، القاهرة، ١٩٧٩ .

(٢) التقرير النهائى لبحث الشباب وقضايا من وجهة نظر المثقفين المصريين، **المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية**، ١٩٨٠ .

(٣) المرأة فى مصر، **وزارة التعليم العالى**، ١٩٧٥ .

(٤) أمينة السعيد، **بطولات نسوية فى ثورة ١٩١٩**، **الهلال**، ٨ أغسطس، ١٩٧٣ .

(٥) سامية حسن الساعاتى، « دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث »، تحليل اجتماعى ثقافى، **المجلة الاجتماعية القومية**، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، سبتمبر ١٩٧٥ .

(٦) ـــــــــــــــ، دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى بحث اجتماعى تاريخى، الندوة الدولية عن المثقفون والتغير الاجتماعى فى العالم العربي، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة ٣-٦ ديسمبر ١٩٧٩ .

(٧) ـــــــــــــــ، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١ .

(٨) سيد عويس، « نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل »، **فى حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : دراسة ثقافية اجتماعية**، القاهرة ١٩٧٧ .

(٩) عبد الرحمن الرافعى، **ثورة ١٩١٩**، كتاب الشعب، جـ١، ١٩٥٩ .

(١٠) كريمة السعيد، **تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة**، **المؤتمر الأول للجامعيات العربيات**، **اتحاد الجامعيات اللبنانيات** من ٥ ـ ٨ مارس ١٩٦٤ .

(١١) محـمد على محـمد، **الشباب والمجتمع، دراسة نظرية وميدانية**، مراجعة وتقديم محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٠.

(١٢) محمد فرغلى فراج وآخرون، **تغير الوضع الاجتماعى للمرأة فى مصر المعاصرة**، التقرير الأول، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٧٤.

(١٣) هدى بدران، « المرأة والتنمية »، **المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية**، ١٩٧٣.

(١٤) وديع أمين، « الجذور التاريخية لنضال المرأة فى مصر »، **الطليعة**، ١٩٦٩/١/١.

ثانيا : مراجع أجنبية :

1) Eisenstadt, S. N., " Archetypal Patterns of Youth " , in Manning P. and Truzzi M., **Youth and Sociology**, Englewood Cliffs, **New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1972.**

2) Erikson, Erick, Identity, **Youth and Crisis,** N. Y. Norton, 1968.

3) Parsons, T., " **Age and Sex in the Social Structure of the United States**. A. S. R. 7 , 1942.

* * *



الفصل التاسع

جرائم النساء(*)

تمهيد :

رغم ازدياد الاهتمام بالمرأة فى القرن العشرين، وتميز ذلك القرن بحصولها على عدة حقوق لم تكن لتتمتع بها من قبل، كالحق فى التعليم والحق فى العمل، والحق فى ممارسة الحقوق السياسية كالانتخاب والترشيح وتولى المناصب السياسية، إلى غير ذلك من الحقوق. ورغم إجراء البحوث والدراسات الكثيرة التى دارت حول المشكلات التى تصادف تعليم المرأة، والصعوبات التى تواجهها فيما يسند إليها من أعمال، ووضعها الجديد فى الأسرة وعلاقتها بالرجل وغير ذلك. فإن مشكلة المرأة والجريمة لم تنل مثل هذا الاهتمام، ففيما عدا بعض البحوث التى لا

(*) انظر سامية الساعاتى فصلة من كتاب جرائم النساء، المركز العربى للدراسات الأمنية، والتدريب بالرياض، الرياض - ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م. ص ص ١٣-٣٦.

ويحتوى الكتاب على موضوعات تشمل :

القسم الأول :

١- طرق ارتكاب جرائم النساء.

٢- العوامل البيولوچية فى جرائم النساء.

٣- العوامل الاجتماعية فى جرائم النساء.

٤- العوامل النفسية فى جرائم النساء.

٥- الاتجاه التكاملى فى تفسير جرائم النساء.

٦- تحرير المرأة وجرائم النساء.

٧- درجة الحضرية وجرائم النساء.

القسم الثانى :

عرض لأهم البحوث المصرية فى مجال جرائم النساء.

يزيد عددها على أصابع اليـد الواحدة أجرى معظمهـا فى أوربا والولايات المتحدة الامريكية، فإن جـرائم النساء ظلت من الأمور التى يحيطها مـا يحيط المرأة أحيانا من غموض او ما تلقاه من اللامبالاة والإهمال.

ويرى بعض المتـخصـصين فى علم الاجتـماع الجنائى، وعلـم الاجرام، أن السبب فى أن إجرام النساء يعد مجالا مهملا من مجالات البحث، هو أن صورتنا الثقافية المجتمعية عن المجرم أنه : **ذكر خارج عن القانون**، وأن البحوث فى علم الاجتماع الجنائى وعلم الإجرام قد وقعت تحت تأثير تلك القوالب الثقافية.

ويرى البعض الآخـر، أن قلة الاهتمام العلمى بجرائم النســاء إنما يعزى إلى **أن عدد النساء الذى يقع تحت طائلة القانون أقل بكثير إذا ما قورن بعدد الرجال.**

وقد وجه كثير من الباحثين إبان الخمسينيات من هذا القرن أنظار العاملين فى ميـادين علم الاجتمـاع، وعلم النفس وعلم الإجرام إلى ضـرورة البحث فى هذه الظاهرة وعدم إهمالها، ومن هؤلاء نذكر علـى سـبيل المثال « ثورستين سيلين » (Thorsten sellin) و « وولتـر ريكلس » (Walter Reckless) و « هارى المـر بارنز ». (Harry Elmer barnes).

أولا : الطبيعة المتخفية لجرائم النساء

نالت النســاء كثيـرا من الثناء والإطراء بسـبب نسبـة إجـرامهن التى تبـدو منخفضة إذا ما قورنت بأية مجموعة سـكانية أخرى، وفى الحقيقة فإن العلاقة بين الواقع، وبين الظاهر فيما يتعلق بجرائم النساء لابد أن تدرس، وأن يكشف عنها.

وفى هذا المجال تفرض ثلاثة تسـاؤلات نفسها على المهـتم بجرائم النساء : أولها ما إذا كانت هناك جـرائم معينة خاصة بالنساء وحـدهن. أو جرائم يشتركن فيـها اشتراكـا واضحا ولكن لا يبـلغ عنها إلا فى حالات أقل بكثـير من الواقع. وثانيهـا ما إذا كـانت النساء الخارجـات على القانون أقل تعـرضا للقبـض عليهن وللمسـاءلة القانونية المترتبـة على ذلك. أما ثالثهـا فهو إذا ما كـانت النساء اللاتى يقبض عليهن يلقين معاملة لينة فى الإجراءات التى تتخذ حيالهن.

وللإجـابة عن هذه التـسـاؤلات يرى (بولاك) أنه من الواضح أن إجـرام النساء أقـل ذكرا فى التقـارير، وبالذات بالنسبـة لبعض الجـرائم مثل السـرقة من

والسرقة التى ترتكبها البغايا والسرقات التى ترتكبها الخادمات، والإجهاض، والجرائم التى ترتكب بالنسبة للأطفال، والقتل. فضلا عن بعض الجرائم الأخرى مثل الشذوذ الجنسى، والفعل الفاضح العلنى التى لا تقدم للمحاكمة إذا ارتكبتها امرأة.

ويرى « بولاك » (Pollack) أن النساء المجرمات يتلقين الحماية من الرجال، حتى ولو كانوا ضحاياهن، فهم يكونون أقل ميلا إلى الشكوى للسلطات.

وهناك سبب ثقافى اخر، يتصل ايضا بحماية الرجال للنساء والذى يلعب دورا مماثلا فى إخفاء جرائم النساء، لأن هناك من يذهبون إلى أن النساء يقمن بأدوار فى المجتمع أقل فاعلية من أدوار الرجال، والحقيقة أن النساء هن فى الغالب المحرضات على الجرائم التى يرتكبها الرجال، وبهذه الصفة فإنه يصعب اكتشافهن.

كذلك لاحظ « بولاك » (pollack) وجود جرائم عديدة يرتفع عادة عدد ما يكشف عنه منها بالنسبة للرجال، فى حين ينخفض عددها بالنسبة للنساء، لأن ادوارهن كربات بيوت، ومربيات للاطفال، وممرضات، وزوجات، وعشيقات، وغير ذلك تسمح لهن أن يرتكبن الجرائم وأن يخفينها عن السلطات العامة، مثال التسميم البطئ للزوج والمعاملة السيئه للطفل.

هذا فضلا عن حقيقة متكررة لاحظها الكثير من المتخصصين فى علم الاجرام، وهى أن أغلب ضباط الشرطة وكذلك القضاة والمحلفين يكونون اكثر مرونة ورقة نحو النساء مما هم نحو الرجال. وقد قادت هذه الاعتبارات « بولاك » وغيره من المتخصصين إلى ملاحظة أن إجرام النساء إنما هو إجرام خفى ومقنع إلى درجة كبيرة وترتيبا على ذلك فإن الإحصاءات الرسمية والسجلات الخاصة بجرائم الإناث تكون أقل تعبيرا عن الحقيقة بسبب العوامل سالفة الذكر.

لذلك فلا بد أن يتم التقدير الحقيقى لإجرام النساء بالاستعانة بالمصادر غير الرسمية، كما أنه من المهم عقد مقارنات دولية تفيدنا فى تحليل الخصائص النوعية المميزة لجرائم النساء. (١)

(١) انظر Pollak . O., The Criminality of Women University of Pennsylvania , Press, Philadlphia . 1950 PP . 1:7 .

ثانيا : الأبعاد الحقيقية لجرائم النساء

صحب الاهتمام بجرائم النساء بتحديد الحجم الحقيقى أو الأبعاد الحقيقة لإجرامهن، لذلك تتابعت المحاولات التى قام بها العلماء لبلوغ هذه الغاية. خاصة بعد أن نما علم الإحصاء وأصبح من الممكن استخدامه فى مختلف المجالات ومن بينها مجال الدراسات التى تدور حول الظاهرة الإجرامية. ويعتبر العالم البلجيكى « كيتليه » (Quetelet) صاحب أول محاولة فى العصر الحديث لتحديد معدل للإجرام وبيان نسبة ما ترتكبه الإناث من جرائم الى اجمالى ما يقع منها فى السنة، فقد لاحظ سنة ١٨٣٥م أن نسبة ما ترتكبه الإناث إلى ما يرتكبه من جرائم تبلغ ٢١ جريمة مقابل كل عشرة آلاف جريمة ترتكب كل عام.

كذلك حاول « جيرى » أن يحدد بالإضافة إلى أنماط الجرائم التى ترتكبها الإناث، نسبتهن إلى الذكور الذين يرتكبون نفس هذه الانماط من الجرائم، فتبين له انه فى جريمة قتل المواليد توجد امرأة واحدة مقابل سبعة رجال، وفى جرائم السرقة توجد امرأتان مقابل رجل واحد، أما فى جريمة الإجهاض فتوجد ثلاث نساء مقابل ثمانية رجال، بينما توجد أربع نساء مقابل خمسة رجال فى جرائم القتل مع سبق الإصرار والترصد، وتزيد النساء فى جرائم التزييف فيصل عددهن إلى خمسة مقابل أربعة رجال، فى حين يتساوى عدد النساء مع عدد الرجال فى جرائم الحريق العمد وهو ستة لكل منهما.

أما فى جرائم القتل العمد فتزيد النساء على الرجال زيادة ملحوظة إذ يصل عددهن إلى سبعة مقابل ثلاثة رجال، كذلك يزيد عددهن فى جرائم الآداب فيبلغ ثمانية نساء مقابل رجلين.

وقد استخدم « جيرى » للوصول إلى هذه النسبة طريقة مبتكرة رتب فيها تصنيفا حصر فيه الجرائم تبعا لتكرارها بالنسبة للرجال والنساء، ثم وضع نسبة تقريبية وقارن غدد النساء بعدد الرجال الفاعلين لجريمة معينة ووضع نسبة مطلقة تم المقارنة بينها وبين الأنواع المختلفة لجرائم النساء.

أما المحاولة الثالثة فكانت فى بداية القرن العشرين وبالتحديد سنة ١٩٠٢م وقام بها العالم الفرنسى « جرانييه » الذى لاحظ أنه بينما بلغ عدد الأشخاص

الذين ارتكبوا جرائم قدموا من أجلها إلى محاكم الجنايات ومحاكم الجنح ٢٠٩٠٧٥ شخصيا، فإن عدد الإناث بينهم لم يزد على ٣٧٣٠٥ انثى، أى نسبة الإناث المجرمات إلى إجمالى المجرمين لم تزد على ١٣٪ فقط وكانت النسبة فى الفترة الواقعة بين عامى ١٨٢٦م و ١٨٣٠م ٢٣٪ انخفضت الى ١٨٪ سنة ١٨٣٩م وهو ما جعل « جرانييه » لا يقتنع بالنتيجة التى استخلصها من البيانات الإحصائية المعلنة، ويلجأ الى طريقة أخرى لتحديد ما يعتقد أنه الحجم الحقيقى لجرائم الإناث مستعينا بتفاصيل أفقية وأخرى رأسية خاصة بكل نوع من الجرائم التى ترتكبها إناث ونوعها وكذلك الجرائم التى تتفوق نسبة مرتكباتها من الإناث على نسبة مرتكبيها من الذكور، فتبين أن **الاجهاض وقتل المواليد والسرقة** تزيد فيها نسبة الإناث على الذكور بدرجة أعلى من المتوسط بفارق كبير، فى حين أنهن يرتكبن جرائم **شهادة الزور والابتزاز والنصب وجرائم** الآداب بنسبة تفوق المتوسط بدرجة طفيفة، أما ارتكابهن لجرائم تزييف النقود والحريق والسرقة بواسطة ثقب الجدران أو التسور وخيانة الأمانة، والتشرد والتسول والاعتداء على الأشخاص، فإن نسبتهن فيها تقل عن المتوسط.

ومن الذين اهتموا بتحديد الحجم الحقيقى لجرائم النساء الدكتور مارشيه (Marchais) الذى تبين له أن المرأة، فضلا عما ترتكبه من جرائم معلومة، تلعب دورا فيما يسمى **بالجرائم الخفية يبلغ ١٠٪ من جرائم** السرقة، ومن خمسة إلى ٢٠٪ من جرائم القتل العمد، و١٠٪ من جرائم القتل مع سبق الإصرار والترصد و ٤٠٪ من جرائم الآداب.

وقد لاحظ « جاك ليوتيه » فى البحث الذى أجراه على ظاهرة قتل المواليد أن نسبة الجرائم الخفية تختلف من جريمة إلى أخرى من الجرائم التى ترتكبها الإناث، ففى جريمة قتل المواليد لا تزيد نسبة ما يصل منها إلى علم الشرطة على ٢٥٪ فقط،وقد يصل فى بعض الاحيان الى ٤٠٪ كما هو الحال فى فرنسا وهى نسبة مرتفعة إذا قورنت بمثيلاتها فى الجرائم الأخرى التى ترتكبها الإناث كالإجهاض والدعارة.

وهذا الارتفاع يرجع إلى طبيعة الجريمة ذاتها، فالمعروف أن قتل المواليد يحدث بعد فترة حمل طويلة معلومة لعدد كبير من الناس وينتج عنه وجود جثة

الوليد مما يـؤدى إلى سهولة اكـتشاف الجـريمة وافتـضاح أمر مـرتكبيـها، فى حين يختلف الأمـر عن ذلك فى جريمة الإجهـاض التى تتضاءل فـرص الكشف عنها، وتنعـدم هذه الفرص فى الجـرائم الخفيـة بنسبـة تفوق نسـبة الذكـور، نظرا لأنهن يفضلن أن يعهـدن واحتياجـات محكمة وبأساليب مخـتلفة وطرق متغـيرة بحسب الظروف تجنبا لتدخل الشرطة.

ويتفق « مارشيه » مع « جرانييـه » فى أن الإناث يشتركن فى الجرائم الخفية بنسبة تفوق نسـبة الذكور؛ نظرا لأنهن يفضلن أن يعهدن بالتـنفيذ إلى رجل ويبقين هن بعيدا حتى لا يقعن فى يد العدالة.

الاهتمام بالإحصاءات الجنائية

لم يلبث الاهتـمام بالإحصـاءات الخاصة بالجـرائم إن امتد إلـى العديد من الدول التى أخذت تجرى حصرا دوريا لمرتكبى الجرائم آخذة بعين الاعتبار المتغيرات المختلفة من جنس (ذكـر - أنثى) ومن حالة زواجية وحالة تعليمـية ونوع الجرائم وغيـر ذلك من البيـانات التى أصبحت عنصـرا ضروريا فى أى دراسـة تجرى على الظاهرة الإجرامـية، بل إن الإحصاءات تعددت فـشملت المراحل المختلفـة للواقعة الإجرامية ابتـداء من مرحلة الكشف عن الجريمة وضبط المجرم ثم محاكـمته وإدانته إلى آخر مـرحلة وهى تنفيذ العقـوبة، فأصبـحت هناك إحصاءات خاصـة بالجريمة تصدرها الشـرطة وأخرى خاصـة بالجريمة أيضـا يصدرها القضـاء (وزارة العدل) وثالثة تصدرها السجون، وتأتى فرنسا فى مقدمة الدول الأوربية التى أدخلت النظام الإحصـائى فى أجهزتهـا الجنائية وكـان ذلك فى سنة ١٨٢٥م، تليهـا إنجلترا التى أدخلته فى سنة ١٨٦٥م، أمـا مصر فـقد أدخلت النظام الإحـصائى إلى أجهـزتها الجنائية ابتـداء من الربع الأخيـر من القرن التاسع عـشر عندمـا بدأت وزارة العدل تصدر إحصـاء سنويا للجرائم التى عرضت على القضاء خـلال العام المنصرم، ثم تلتها وزارة الداخلية فأصدرت بدورها إحصاء سنويا لما وقع من جرائم خلال العام المنصرم وكانت هذه الإحصـاءات وتلك تبوب تبعا للبيانات المخـتلفة سواء تعلقت بالجريمة، من حيث وضعها، وظروف وأسباب ارتكابها، أو تعلقت بمن ارتكبها من حيث جنسه وسنه وسوابقه.

وتتضمن الإحصاءات القضائية بيانات أخرى مثل نتيجة التصرف فى القضايا ونوع الحكم الصادر علـى المتهم بارتكاب الجريمة، ثم صـدرت إحصاءات خـاصة بالسـجون تبين أنواع العـقـوبات المحكوم بها عـلى الواردين إلى السجـون وأنواع الجرائم التى ارتكبوها ومـآل الأحكام الصادرة عليهم وغيـر ذلك من البيانات. إلا أنه يلاحظ أن تلك الإحصاءات كـانت من أول عهدها تقتـصر على نوع واحد من الجرائم هو الجنايات.

أما إحـصاءات الجنح فلم يبدأ الاهتـمام بهـا إلا فى العقد الثـانى من القرن العشرين وكـانت قبل ذلك شبه منعدمة حـتى قامت إدارة الأمن العام بوضع نظام جديد جعل الإحـصاءات الجنائية تشتمل على الكثيـر من جرائم الجنح إلى جانب الجنايات، كما عنيت بوضع نماذج وجداول جـديدة مكنتها من الإشراف عن كثب على حالة الأمن وفرض رقابة دقيقة على أعمال الشرطة والإدارة فى مختلف أنحاء الدولة.

وقد تبين من الرجوع إلى إحصاءات السجون فى العقد الثالث من هذا القرن أن نسبة المسـجونات من النساء الى الرجال تبلغ حوالى ٤٪، وأن الجـزء الأكبر من جرائم النساء ترتكبه المتزوجات اللاتى بلغت نسبتهن إلى مجموع السجينات حوالى ٥٠٪ تليـهن الأرامل اللاتى بلغت نسـبتهن ٢٥٪ تقـريبـا ثم الأبكار فالعـاهرات، كذلك تبين أن نسبة ما ترتكبه النساء من الجرائم الخطيرة لا يتجاوز ١٪ من إجمالى هذا النوع من الجرائـم يأتى فى مقدمـتها القـتل العمد فـجنايات التزوير، فـالعود الجنائى فالضرب المفضى إلى الموت فالحريق فالسرقات المعدودة من الجنايات.

واليوم وقد انقضى على أخذ فرنسا بنظام الإحصاءات الجنائية مائة وخمسون عاما انتشرت خلالها الإحـصاءات الجنائية فى معظم دول العالم وتعددت وتنوعت بحيث أصبح هناك العديد من المصادر الإحصـائية للجرائم فإن هذه المصادر تجمع، وفى كافة الدول تقـريبا على أن الجرائم التى ترتكبها الإناث تقل بدرجـة كبيرة عن الجرائم التى يرتكبها الذكور، كما أنها تختلف عنها فى النوع.

نسبة جرائم النساء فى الدول المختلفة

فى الولايات المتحدة يبلغ عدد الذين يقبض عليهم سنويا من مرتكبى الجرائم من الذكور عشرة أمثال من يقبض عليهن من الإناث، أما الذين أودعوا سجون الولايات والسجون الفيدرالية والإصلاحيات فقد بلغ عددهم عشرين مثل، اللاتى أودعن فيها من الإناث.

أما بالنسبة للمجرمين عموما وهم الذين ضبطوا وقدموا للقضاء، سواء منهم الذين أودعوا السجون والذين لم يودعوا، فإن نسبة النساء تبدو أكثر ارتفاعا، فقد بلغت سنة ١٩٣٧م (٥ر١٩٪) إلى إجمالى الجرائم التى ارتكبها الأحداث.

وفى بلجيكا بلغ عدد جرائم الذكور ٢٤٢ مثل عدد جرائم الإناث، أما فى فرنسا فقد تبين من الإحصاءات التى نشرتها الإدارة العقابية عن السنوات من ١٩٤٦م الى ١٩٥٨م أن نسبة الإناث إلى العدد الإجمالى لمرتكبى الجرائم المحكوم عليهم بعقوبة سالبة للحرية تتجه باستمرار نحو الانخفاض فبينما بلغت نسبتهن إلى إجمالى الذين ارتكبوا الجرائم سواء كانت جنايات أم جنحا ٩ر١٥٪ سنة ١٩٥٢م، وواصلت انخفاضها فوصلت الى ٧٪ سنة ١٩٥٦م، وبلغت أشد انخفاض لها سنة ١٩٥٨م حيث سجلت ٣٪ من إجمالى المجرمين الذين عهد بهم إلى الإدارة العقابية.

والملاحظ أن انخفاض نسبة الإناث المجرمات فى فرنسا فى الفترة المشار إليها، اقترن بانخفاض مماثل فى عدد المجرمين الذين سجلتهم الإدارة العقابية، فبينما كان عددهم ٣٢٨٥٤ فردا سنة ١٩٤٦م انخفض الى ٢٣٣٣١ فردا سنة ١٩٥٨م يشملون ٥٧٤١ فردا من غير الفرنسيين الذين إذا استبعدناهم فان نسبة الإناث ترتفع من ٣٪ الى ٦ر٦٪.

أما السويد فإن الإحصاءات الخاصة بالجرائم التى ارتكب فيها فى الفترة بين سنة ١٩٦٥م، وسنة ١٩٦٧م تبين أن النساء لا يمثلن أكثر من ٥ر١٪ من جملة الأشخاص المحكوم بوقف التنفيذ، وأقل من ٣٪ من مرتكبى جرائم السكر.

وفى الدانمرك بلغت نسبة النساء المجرمات إلى إجمالى المجرمين ١٤٪ .

وفى سيريلانكا (سيلان) بلغت نسبة الإناث اللاتى طبق عليهن نظام الاختبار القضائى ٢٪ إلى إجمالى الذين طبق عليهم هذا النظام فى الفترة من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٦م.

أما بالنسبة للدول العربية التى توافرت لدينا إحصاءات بشأنها فقد تبين أن المرأة فى الجزائر ترتكب جريمة واحدة مقابل كل ٢٧٤٤ جريمة يرتكبها الرجل، وهى نفس النسبة تقريبا فى كل من المغرب وتونس.

وفى مصر بلغت نسبة الجرائم التى ترتكبها إناث ٥٪ إلى إجمالى الجرائم التى ترتكب سنويا، وتنخفض هذه النسبة فى الجنايات فلا تزيد فى اغلب الأحوال على ٤٪، وإن كانت ترتفع فى الجنح فتصل الى ٦٪ وهى نسبة مماثلة للنسبة التى كانت عليها جرائم المرأة فى بداية هذا القرن، وهى رغم انخفاضها الملحوظ إلا أنها مع ذلك تبدو مرتفعة إذا قورنت بمثيلاتها فى السويد أو فرنسا أو فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يختلف وضع المرأة فى هذه المجتمعات عنه فى المجتمع المصري(١).

لذلك يجب التزام الحذر عند محاولة تحديد حجم الجرائم التى تركبها الإناث وأنواعها حتى لا تضللنا الأرقام، وتوقعنا فى أخطاء خطيرة بما توحى به إلينا من نتائج أبعد ما تكون عن الصحة،فتقول فى بساطة إن نسبة جرائم النساء فى مصر مثلا مماثلة لنسبة جرائم المرأة فى فرنسا، دون أن نحاول تحديد أنماط الجرائم التى ترتكبها المرأة فى كلتا الدولتين وصور التجريم فى قوانين العقوبات فيها. فمن المعروف أن فرنسا مثلها فى ذلك مثل كل الدول الأوروبية لا تحرم البغاء بينما تحرمه مصر والدول الإسلامية، كذلك لا تحرم معظم الدول الأوربية الإجهاض بينما تحرمه مصر، فضلا عن الزنا الذى لا يعتبره عدد كبير من الدول الأوربية جريمة يعاقب عليها، ومن المعروف أن هذه الجرائم الثلاث تمثل نسبة كبيرة من الجرائم التى ترتكبها الإناث فى مصر (حوالى ٣٥٪ من إجمالى جرائمهن) مما يجعل إضافتها إلى رصيدهن من الإحصاءات الجنائية المصرية واستبعادها فى الوقت نفسه من الإحصاءات الجنائيه الفرنسية عاملا مخلا بسلامة المقارنة بين النسبتين، وهو ما

---

(١) انظر أحمد المجدوب، **المرأة والجريمة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٨ : ٢٤.

أشار إليه عدد من علماء الجريمة الفرنسيين مثل وليفاسير وليوتيه، الذين قالوا إنه لو أضفنا إلى جرائم النساء نشاطهن فى مجال البغاء وغيره من المخالفات الاخلاقية لارتفعت به جرائمهن بدرجة ملحوظة بحيث لا تقل عن ١٥٪ من إجمالى الجرائم التى ترتكب سنويا [١].

العوامل التى تؤثر فى تحديد حجم جرائم النساء

الواقع أن تحديد حجم الجرائم التى ترتكبها النساء يجب أن تراعى فيه أمور عديدة وعوامل مختلفة من شأنها التأثير فى هذا الحجم بدرجة ملحوظة، ومن هذه الأمور :

١- دراسة نصوص قانون العقوبات فى الدول التى يراد تحديد حجم إجرام النساء فيها :

فمن الأهمية بمكان عند محاولة إجراء حصر دقيق لجرائم المرأة التى تدرس قانون العقوبات لا فى اللحظة التى تجرى فيها الدراسة فحسب بل وفى السابق أيضا، فقد تبين أن التغييرات التى يتعرض لها هذا القانون يترتب عليها ارتفاع أو انخفاض عدد الجرائم التى ترتكب بصفة عامة والتى ترتكبها المرأة بصفةخاصة. فتجريم أفعال جديدة يؤدى بدون شك إلى زيادة الجرائم التى ترتكبها المرأة فى حين أن إخراج بعض الأفعال التى كان المشرع يحرمها يؤدى الى نتيجة عكسية أى إلى انخفاض عددالجرائم التى ترتكبها، وهو ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة التطور الذى طرأ على إجرام المرأة سواء من الناحية الكمية أو من ناحية النوع، من ذلك مثلا ما لجأ إليه المشرع فى بعض الدول من إخراج بعض الأفعال المباحة، مثال ذلك إجهاض المرأة لنفسها أو قبولها إجهاض الغير لها اللذين أخرجهما المشرع فى غالبية الدول الأوروبية من قانون العقوبات فى بعض الأحوال الصحية، كتلك التى يخشى فيها من الحمل على صحة وسلامة المرأة الحامل، والأحوال الاجتماعية، كتلك التى تعجز فيها الأسرة عن إعالة أكثر من عدد معين من الأبناء، أو الحالة التى يكون الحمل فيها قد تم بدون أن تكون هناك رابطة زوجية وغير ذلك من الأحوال.

---

(١) Leaute. Jacques. Recherches sur L'infanticide, Paris Librairie, Daloz,1968.

ففى الدانمراك يجيز القانون الصادر سنة ١٩٧٠م للمرأة أن تقرر عدم استمرار حملها بدون الحصول على إذن خاص، اذا كانت قد بلغت الثامنة والثلاثين من عمرها ولم تتجاوز مدة الحمل اثنى عشر أسبوعا.

كذلك يمكن للمرأة أن تجرى عملية الإجهاض إذا كانت قد أنجبت أربعة أطفال لا يزالون على قيد الحياة ودون الثامنة عشرة، وفى غير ذلك من الحالات يجب أن تحصل على ترخيص من المجلس الخاص المكون من طبيبين وممثل من جمعية رعاية الأمومة.

وتعتبر يوغسلافيا من أوائل الدول التى أخرجت الإجهاض من دائرة التجريم بعد الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى حدوث انخفاض ملحوظ فى عدد الجرائم التى ترتكبها المرأة خاصة، وأن تجريم الإجهاض أصبح قاصرا على الحالة التى يجهض فيها الغير المرأة الحامل بدون رضاها وغالبا ما يكون هذا الغير ذكرا.

وتتجه غالبية الولايات المتحدة الأمريكية إلى إباحة الإجهاض وآخر هذه الولايات كانت ولاية نيواورليانز التى قررت محكمتها العليا فى شهر سبتمبر سنة ١٩٧٥ أن يصبح من حق الإناث إجهاض أنفسهن دون موافقة الزوج أو الوالدين لغير المتزوجة، نظرا لأن الإجهاض كان لا يتم إلا بموافقة هؤلاء.

كذلك فإن استعمال موانع الحمل كوسيلة لتحديد النسل كان يعد جريمة فى بعض الدول فى الفترة بين الحربين العالميتين، بل إن الإعلان عن هذه الموانع كان ممنوعا أيضا، ومن هذه الدول، المجر التى أصدر المجلس الصحى الوطنى فيها رأيا يقضي بأن نسبة كبيرة من طرق تحديد النسل مضرة بالصحة ويحتمل أن تقوض أخلاقيات الشعب، ولهذا فقد أصبح محظورا أن يعرض للبيع أى جهاز أو مادة كيميائية تمنع الإخصاب عن طريق إدخالها فى الرحم، أو بتغطية فتحة العنق، مما كان يترتب عليه اعتبار المرأة التى تستعمل هذه الوسائل مخالفة للحظر الذى قررته الدولة.

وقد أصبح هذا الحظر أقل تشددا عقب الحرب العالمية الثانية حينما أصبح فى الإمكان صرف قلنسوة عنق الرحم والصوفة المهبلية بناء على أمر الطبيب، ثم ألغى ذلك الحظر فى نهاية سنة ١٩٥٣م.

كـذلك ما لجـأت إليـه بعض الدول من إخراج الخـيـانة الزوجيـة من دائرة التجريم واعـتبارها مجرد إخـلال بالتزام تعاقدى بين الزوجين، يتـرتب عليه فسخ العقد بناء على طلب الطرف الذى أخلت الخيانة بحقوقة، وإمكانية تعويضه إذا كان قد أصابه ضرر نتيجة ما حدث.

وفى مـصر لم يكـن المشرع حـتى سنة ١٩٣٣م يعـاقب النسـاء المتسـولات والمتشردات اللاتى كـن معفيات من أحكام القـانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٣٣م الخاص بالتسول والتشرد، وقد أدى هذا الإعفاء إلى انتشار هذا النوع من النشاط الاجرامى بين النساء، وخـاصة أن الرجال وجدوا فـيهن ضالتهم المنشـودة فاستتـروا خلفهن لممـارسة هذا النشـاط. كذلك فـإن الكثـيرات منهن لجـأن إلى التسـول والتشـرد للحصـول على المال، بعد أن وجـدن أن القانون لا يعـاقبـهن، فلما صـدر قانون التـسول فى ٢٤ يونيـة سنة ١٩٣٣م، الذى سوى بين الرجـال والنسـاء، زاد عدد النساء المجرمات وارتفعت نسبتهن إلى إجمالى المجرمين.

كذلك لم يكن **البغاء** يعاقب عـليه فى **قانون العقـوبات المصرى** حيث كان يصرح رسميـا لبعض النساء بممارسته، وكانت هناك بيـوت تدار لهذا الغرض يباح للرجال التـردد عليها لـقضاء الوقت مع البـغايا اللاتى كانت الشـرطة والسلطات الصحـية تفـرض عليهن إجـراء الكشف الدورى فى فتـرات محددة، حـتى يمكن اكتشـاف ما يكون قد أصابهن من أمـراض تناسلية والحيلولة دون انتقـالها إلى من يتعامل معهن من الرجال.

وقد حاولت الحكومة علاج هذه المشكلة فقامت سنة ١٩٣١م بإجراء استفتاء عام لمختلف طبقات الشعب فى ما إذا كـان الأنسب إلغاء البغاء الرسمى إلغاء تاما أو الاكتفـاء بحصره ضمن قيود ضـيقة، **وقد أسفـر الاستفتـاء عن ظهور اتجاهين أحدهما يؤيد الإلغـاء والآخر يعارضه**، ولكل اتجاه مبرراته وحـججه فالذين يرون الإلغاء كـانت حجـتهم أنه لا يليق بدولة تدين بالإسـلام الذى يحرم الزنا والبـغاء وكافة الفواحش، أن تصرح بممارسة البغاء وترضى به مخالفة بذلك الواجب الملقى على عاتقها والتـزامها الثابت بمحاربة الجرائم وملاحـقة المجرمين ودعوة الناس إلى

الفضائل والابتـعاد بهم عن الرذائل وزجر من تسول له نفســه الإتيان بها وردع من يرتكبها.

أما الذين رأوا الإبقاء على البغاء الرسمى فقد اعترفوا أنه شر ولكن لابد منه لأن إلغاءه من شأنه ان يؤدى إلى ازدياد الفساد وانتشار البغاء السرى وما يتبع ذلك حتما من تفشى الأمراض التناسلية بسـبب انعدام وسائل الرقابة الصحية التى تكفل وقف تيارها وكف أذاها وشرورها عن المجتمع والنسل.

وقد انتهى الأمـر بالحكومة إلى الأخذ بوجهة النظر الأولى فـأصدرت الأمر العـسكرى رقم ٧٦ سنه ١٩٤٩م بإلغاء بيـوت الدعارة وتحـريم البغـاء، ومن ذلك الوقت والإحصاءات الخاصة بجرائم النساء تتضمن عددا متزايدا من جرائم البغاء، ولكن مما تجدر ملاحـظته أن تلك الإحصاءات لم تكن تخلو أبدا من أرقـام خاصة بجرائم البغاء التى ترتكبها النساء فقد تبين من مراجعة إحصاءات السجون عن سنة ١٩٣٩م أن عدد المسجونات من البغـايا بلغ ١٣٨٨ امرأة، بالرغم من وجود البغاء الرسمى. وربما يكون إيداعهن السجن نتيجة مـخالفتهن لنظام البغاء الرسمي، بأن مارسنه خـارج المناطق المحددة لهن أو عـدم ترددهن بانتظام على مكاتب الصـحة لإجراء الكشف الطبى عليهن، أو احترافهن للبغاء بدون تصريح بذلك.

٢- دراسة أثر الدين فى سلوك الأفراد

وهى دراسـة لابد منها نظرا لأن إجـرام النساء لا ينفـصل من وجهـة النظر السوسيولوجـية عن المكانة التى تمنحها لها النظم المختلـفة وأهمها الدين، من ذلك على سـبيل المثـال : ما تفرضـه الظروف الداخليـة للمرأة فى بعض المجـتمـعات الإسلاميـة من زواج البنات فى سن صغيـرة، والحد من اختلاط النسـاء بالرجال، وفرض زى معين لا يسمح بـظهور مفاتن المرأة، وهى أمور يعتبـرها معظم مفكرو وعلمـاء الغرب من مظاهـر تخلف المرأة بينمـا يعتـبرها بعض المـهتـمين بالظاهرة الإجرامية من العوامل التى تحول دون ارتفاع معدل الجرائم بين النساء.

كذلك قد يكون للدين تأثير مباشر فى تحـديد الحجم الحقيقى للجرائم بصفة عامة ولجرائم النسـاء بصفة خاصة، مما يجعل الإحصـاءات مضللة، مثال ذلك أن الدول التى يعتبر الانتحار فيها أمـرا مخزيا كالدول الكاثوليكية تبذل الجهود لإدراج

مثل هذه الحالات فى باب الحوادث ومن ثم تأتى الإحصاءات الخاصة بالانتحار غير ممثلة للحقيقة.

٣- دراسة القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع

مما لاشك فيه أن للقيم الاجتماعية دورا أساسيا فى اعتبار السلوك سويا أو منحرفا، وهذا الدور يختلف من مجتمع إلى آخر، فما يعتبر سلوكا منحرفا فى مجتمع قد لا يعتبر كذلك فى مجتمع آخر.

وفى العصر الحاضر فإن الأخلاق الجنسية تختلف من شعب إلى آخر ففى بعض الدول الإسكندينافية كالسويد، لا يعتبر الحمل من سفاح جريمة أو حتى مجرد سلوك اجتماعى جدير باللوم والمؤاخذة، ومن ثم فإن الإناث اللاتى يحملن سفاحا لا يجدن مبررا لإجهاض أنفسهن أو لقتل الوليد الذى يلدنه، لأن الدولة تتكفل به وتربيه،وينعكس هذا الوضع على حجم ما ترتكبه الإناث هناك من جرائم ينخفض عددها بشكل ملحوظ وبالذات جرائم الإجهاض وقتل المواليد، ويبدو هذا واضحا إذا قورنت نسبة الجرائم من هذين النوعين التى ترتكب فى السويد والنرويج مع نسبة ما يرتكب منها فى دولةأوروبية كفرنسا التى بلغ عدد ما وقع فيها من جرائم قتل المواليد فى الفترة من ١٩٤٦م الى ١٩٥٣م، ٦٨٦ جريمة (طبقا للإحصاءات الرسمية) ففى حين لم يزد ما وقع من هذه الجرائم فى بلجيكا فى نفس الفترة على ٢٨ جريمة وفى الدانمارك على ٦٢ جريمة وفى هولندا على ٢٣ جريمة وفى سويسرا على ٥٧ جريمة وكلها دول تبيح الإجهاض.

ولذلك اشتدت الدعوة إلى إباحة الإجهاض بعد ان تبين أن هناك آلاف النساء اللاتى يجهضن أنفسهن كل عام سواء داخل فرنسا نفسها، أو خارجها، حيث تنظم رحلات يومية بين فرنسا والدول المجاورة التى تبيح الإجهاض تشترك فيها الراغبات فى إجراء عمليات إجهاض على الرغم من أن عدد حالات الإجهاض التى تجرى فى فرنسا كل عام مرتفع بشكل ملحوظ، فقد بلغ عدد ما أجرى منها سنة ١٩٣٣م نصف مليون حالة، ارتفعت سنة ١٩٣٨م إلى مليون حالة، ولكنها انخفضت سنة ١٩٤١م الى ٨٠٠ ألف حالة، وقد لوحظ أن عدد حالات الإجهاض يكاد يعادل المواليد.

وفى كندا اشتـدت نفس الدعوة بعد أن سجلت المستشفيات والعيادات فى عام ١٩٧٣م ٤٠ ألف حالة إجهاض ارتفعت عام ١٩٧٤م الى ٦٠ ألف حالة.

وتشتد أهمية دراسة القيم الاجتماعية فى الأحوال التى تتشابه فيها الظاهرة الإجرامية مع مثيلتها فى مجتمع آخر فيتعين التعرف على القيم السائدة فى كل مجتمع لمعرفة طبيعة العلاقة بينها وبين تلك الظاهرة، وهل هى علاقة ايجابية أم سلبية ؟ مثال ذلك ظاهرة الشذوذ الجنسى التى توجد فى مجتمع متقدم كالمجتمع الإنجليزى وكثير من المجتمعات الأوروبية، وتوجد كذلك فى المجتمعات البدائية المتخلفة بالرغم من الاختلاف الواضح بين النوعين من المجتمعات وبالذات فيما يتعلق بوضع المرأة، وعلاقتها بالرجل، لذلك يتعذر التعرف على العوامل الكامنة وراء الظاهرة بدون دراسة القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمعين.

ومما لاشك فيه أن تجريم هذه الظاهرة فى مجتمع وإباحتها فى مجتمع آخر كالمجتمع الإنجليزي، يترتب عليه تفاوت ملموس فى معدل الجريمة فى كل مجتمع منهما.

ومع ذلك فإن إجرام المرأة يظل، حتى بعد مراعاة هذه الأمور أقل كثيرا من إجرام الرجل فى كل المجتمعات لا لشيء إلا لأن ما يعول عليه فى تحديد نسبة جرائم الإناث إلى نسبة جرائم الذكور هو الإحصاءات الرسمية، مع كل ما تحتمله من مآخذ ويوجه إليها من نقد لا يعوزه الدليل ولا يفتقر إلى السند. فبالرغم من كل ما تردد عن قصور الإحصاءات الجنائية عن إعطاء دلالات محددة نظرا للأهمية القليلة للتحليلات التى تستند الى وجود اختلافات فى نسب الجريمة، حيث إن هذه الاختلافات ليست سوى مجرد فروق فى إجراءات تسجيل الجرائم، أكثر منها اختلافات حقيقة تتعلق بالجرائم ذاتها، إلا أن دراسة العلاقة بين معدلات الجريمة والاختلاف فى التنظيم الاجتماعى من ناحية والاختلافات فى الثقافة والحضارة من ناحية أخرى؛ وإجراء عملية مقارنة للمجتمعات والجماعات ذات المعدلات المختلفة فى الجريمة من حيث بعض السمات الاجتماعية العديدة لا يزال له قيمته، وخاصة من حيث التباين فى الحراك الاجتماعى والصراع الثقافى الحضارى والمنافسة

والطبقات الاجتماعية وتركيب السكان وكثافتهم وتوزيع ثرواتهم والدخل والعمالة والمذاهب الاقتصادية والسياسية والدينية [١].

ثالثاً : النوعية الخاصة لجرائم النساء

إن نوعية الجرائم التى يمكن أن نطلق عليها جرائم النساء هى تلك الجرائم المتميزة التى تختص بها المرأة، أو هى ذلك النوع من الجرائم الذى يزداد ارتكابه من قبل النساء أو هى بمعنى آخر «جرائمهن الرئيسية». كما يمكن أيضا أن نطلق عليها جرائمهن الشائعة أو «جرائمهن الغالبة» [٢].

وتتفق ملاحظات معظم المتخصصين على أن النساء المجرمات يستخدمن الخداع والمكر فى ارتكاب الجرائم أكثر مما يستخدمه الرجال[٣].

فيرى «بيرس سميث» أنه على الرغم من أن النساء يلعبن دورا ثانويا فى جرائم النصب والاحتيال، مقارنة بالدور الرئيسى الذى يلعبه الرجال إلا أنهن يستخدمن الدهاء والحيلة ويؤدين دورا فى هذه الجرائم يتم فى صورتين، إحداهما إغراء الرجل واجتذابه إليهن حتى يجد نفسه منغمسا معهن فى وضع مخل بالشرف، وتبلغ الخطة ذروتها حين يباغت المرأة شريكها ويراه متلبسا معها، وهو قد ينتحل صفة زوجها أو أخيها، ويهدده بالانتقام منه أو التشهير به، فيجد الضحية نفسه مضطرا إلى الرضوخ لكل طلباته وهى لا تخرج عادة عن تعويض مالى كبير يتناسب مع ثرائه وغناه.

أما الصورة الثانية فهى التى تقوم فيها المرأة بتمثيل دور الزوجة المهذبة، أو الأخت الرقيقة اللطيفة التى تقتصر مهمتها على إضفاء جو من الثقة على الموقف الذى يتم فيه الاحتيال على المجنى عليه، بحيث يبدو له كما له كان صحيحا واختفاء مسحة من الاحترام على الواقعة الملفقة التى اختلقها شريكهن[٤]

---

(١) انظر أحمد المجدوب، المصدر السابق، ص ٢٥ : ٣٣.

(٢) انظر Barnes, A.E. and Tecters, N.K., **New Horizons in Criminology** N.Y. Printice-Hall Inc., 1944 P.572.

(٣) انظر بولاك، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٤) Smith, Percy., Plutocrates of Crime, Fredrick Maller Limited London.

ويرى كثيـر من المتخصصين، والمتـخصصات فى علم الإجـرام، أن النساء المجرمات يظهرن خـداعا أكثر مما يظهر الرجال المجـرمون والسبب وراء هذا القدر العظيم من المخادعة يمكـن أن نجده فى الأخلاق، والخصائص الجنسـية، الذى يمليه خفاء سلوك النساء والاختلافات الجسمية الطبيعية والنفسية بين الرجل والمرأة.

وهناك بعض المهتمين بالظاهـرة الإجرامية وعلاقتـها بالمرأة، ممن يذهبون إلى أن القتل بالسم هو الأسـلوب الرئيسى للقتل الذى تسـتخدمـه النساء، وأن الشكل الظاهر للتسميم هو استخدام الزرنيخ يليـه السيانيد ثم بكلوريد الزئبق. وباعتبارها مشترية وربة بيت فإن المرأة يمكنها أن تشتـرى المبيدات الحشرية وسم الفئران، واثناء قيامها بإعداد الطعام أو بالتمريض يسهل عليها أن تقدم السم.

ان جرائم القتل التى ترتكبها النساء، يمكن أن تدرج فى عداد الجرائم الخفية، وهو ما يتفق مع الطبيعة المقنعة لجرائمهن كما ذكرنا من قبل.

وفى الماضى القـريب كان عـدد من الأطفال الصـغار الذين يوضـعون تحت رعاية النساء يتعـرضون للقتل نتيجة للإهمـال الإجرامي، والتجويع دون أن يكون اكتشاف ذلك ممكنا.

وهناك عدد اخـر من الاطفال الذين مـاتوا بطريقة غـامضة وهـم فى رعاية النسـاء اللاتى يطلق عليهـن وصف مربيـات الأطفال، أوالنسـاء اللاتى أنجبن دون زواج وكان هذا يـحدث قبل أن يتـخذ المجـتمع الحـديث إجراءات ضد مـثل هذه الأفعال.

ويعد قتل المواليـد نوعا آخر من إجرام النسـاء ولكن يبدو مع الزيادة المطردة فى أساليب تنظيم الأسرة، أن هذا النوع من جرائم النساء فى طريقه إلى الاختفاء من المجتمعات الحديثة.

وقد كان قـتل المواليد، من الناحية العـملية هو الطريقة الوحيـدة التى تلجأ إليها الفتيات غير المتزوجات والنساء لإخفاء تورطهن وتجنبا لنبذ المجتمع لهن.

ومن جرائم الاعتداء الخطيرة نوع خـاص ترتكبه المرأة، وهو إلقاؤها ماء النار على وجه الضحية وهو فى كل الأحوال المحب الخائن وقد لاحظ «بولاك» أن هذه الجريمة بالذات ترتفع نسبة غير المكتشف منها.

كذلك تلجأ المرأة الى اختلاق اعتداءات زائفة ذات طبيعة جنسية فتدعى أنها اختطفت أو تشكو من أنها كانت قد هوجمت فى حين أنها كانت متفاهمة وراضية بالاعتداء عليها.

وعلى العكس من الفكرة الشائعة عن الاغتصاب وما يقترن به من قسوة أو عنف تضطر الأنثى منعه إلى الاستسلام لمن يغتصبها، تبين أن نسبة ضئيلة للغاية من جرائم الاغتصاب هى التى تمت بهذه الصورة، أما أغلب جرائم الاغتصاب التى قدمت للقضاء فقد كان للمجنى عليهن فيها دور فيما حدث، كأن تكذب البنت بشأن عمرها الحقيقى بينما هى لا تزال قاصرا وذلك حتى تحول دون تردد الرجل فى ممارسة الجنس معها، وفى نسبة كبيرة من الحالات كانت نسب المجنى عليهن هن اللاتى أوقعن بالرجال فى العلاقة الجنسية، وفى غير حالات أخرى تبين أن الأنثى هى التى أغرت الرجل، فبعض القضايا اتضح أن الأنثى لجأت إلى اتهام الرجل باغتصابها بعد أن أعرض عنها أو هجرها.

وقد كشف «سذرلاند» (Sutherland) التناقضات العديدة بين الرقم الخاص بمن قبض عليهم بتهمة ارتكاب جرائم الاغتصاب بالإكراه وهو رقم كبير، والرقم الخاص بمن حكم عليهم بالفعل لارتكابهم هذه الجريمة فى ولاية نيويورك وهو رقم صغير. فقد تبين أن ١٨٪ من العدد الإجمالى لمن اتهموا بارتكاب جرائم الاغتصاب خلال الفترة من ١٩٣٠م الى ١٩٣٩م[(1)]. فى ولاية نيويورك هم الذين حكم عليهم بالفعل..

وهناك جرائم جنسية ترتكبها الإناث البالغات ويكون المجنى عليهم فيها من الفتية الصغار الذين لا يبلغون بطبيعة الحال عن هذه الأفعال وإنما يستمرئونها، فى حين أنه إذا ارتكب هذه الأفعال رجل مع صبى فإنه يبادر إلى الإبلاغ عنها مما يجعل نسبة كبيرة من هذه الجرائم معلومة.

وهناك أفعال جنسية أخرى يمكن أن تمارسها الإناث مستترات خلف صور من السلوك العادي، من ذلك أفعال العناق والمعابثة الجنسية المستترة التى يكون طرفها الآخر صبى صغير أو فتى فى مستهل مرحلة البلوغ.

---

(١) انظر Sutherland and Cressey, Principles of Crimonology, Sixth Edition, The Times of India Press, Bombay, 1968.

وفيهـا يتعلق بجرائم السطو والسـرقة، فإنه على الرغم من اعتـبارها جرائم ذكرية، لكن الواقع الذى كشـفت عنه بعض القضايا هو أن النساء يتـدخلن أحيانا فى ارتكابها سواء بالتحريض عليهـا أو بالمساندة فى ارتكابها، كأن تقدم المعلومات الضروريـة عن المجنى عليه أو عن المكان الذى سـترتكب فـيه الجريمـة أو أن تقوم بالمراقبة أثناء التنفـيذ او أن تضلل رجال الشرطة حتى لا يتـمكنوا من القبض على الجناة، ومهمـا يكن فإن الأدوار الاجتمـاعية العديدة للمـرأة تقدم لها فرصـا غير عادية للسـرقة وتمنحهـا حصانة كـبيرة ضـد القبض والمحاكـمة فالنسـاء النشالات يستفدن من قيمة ثابتة لا تزال باقية هى أنهن إناث.

والبغى كثيـرا ما تكون سارقة، ولكن لكونها داخلة فى عـلاقة مع ضحاياها باعتـبارها بغى فـإنهم يمتنعون عن التبـليغ عنها، وأحيـانا ما تكون البـغى شريكة للص، عندئذ فإنها تستخدم البغاء لمجرد الخداع والإيقاع بضحيتها.

ومن الملاحظ أن عدد جرائم السرقة من المتاجر الكبرى قد زاد مع زيادة عدد هذا النوع من المتاجر، والتوسع فى طريقة حصـول المشترين على السلع بأنفسهم، حتى انغـمس فى عملية السرقـة من المتاجر الكبرى النـساء المحترفات والـسارقات المحتـرفات والمصابات بجنون السـرقة، ولعل سرقـة النساء من المتاجـر تعد الدليل الواضح على مـدى افتـقار الإحصـاءات الجنائية إلـى الدقة، وعدم تـعبيـرها عن الواقع، فمن المعروف أن آلاف النساء يرتكبن جرائم سرقة من المحلات الكبرى كل عام، ولـكن القليل منها هو الذى يـكشف عنه وبعضـها يتم التـصالح بشـأنه إذا انكشف أمره، والبعض الثالث وهو قليل جدا يصل إلى علم الشرطة.

كذلك فـإنه من الأمور المعروفـة جيدا أن الخـادمات يرتكبن سرقـات بإعداد كبيرة سواء من مخدومهن أو من الغير، وقد فسر « لمبروزو » ذلك بأن الدور الذى تقوم به الخـادمة يعرضهـا لإغراء شديد فـترتكب السرقـة، ولكن نظرا لأن معظم السرقات التى يرتكبها الخدم تقع على أشياء قليلة القيمة كالمأكولات والملابس فإنها لا تبلغ إلى الشرطة بسبب تسامح المخدومين فيها.

أما جرائم النســاء فى مجال الابتزاز، فـمعظمها لا تظهـر فى الإحصاءات، ومن أقدم الخدع فى هذا المجال « لعـبة الزوج » التى يجد الضحية نفسـه فيها فى

موقف مـخل بالشرف يفاجأ فـيه بالزوج المزعوم للمـرأة التى معه، والذى يتهـمه بالاعتـداء على شرفه. وهناك أيضـا صور عديدة أخـرى للخداع والغش ترتكبـها النســاء غالبـا، مثل قـيـام الخادمـات بمضاعـفة الثـمن الذى اشـترين به طلبـات مخدومـهن، واحتراف النساء للدجل والشعوذة والـتنبؤ بالغيب ومعرفة المسـتقبل، وذلك من أجل الحصول على المال من السذج، وحسنى النية من الناس، كذلك قد تغرى المرأة رجـلا ليقـدم لها مالا وخـدمة ثم تهـرب منه، كما أنهـا بأفعـال مثل الغواية، غالبا ما تشترك المرأة فى عمليات النصب التى يرتكبها الرجال.

ويرى فريق من المتخصصين فى علم الإجـرام أن الإجهاض هو أكثر الجرائم التى ترتكبها الإناث مـن حيث عدم الظهور فى الإحصـاءات ومن حيث الوقوع. والتقديرات بالنسبة لهذا النوع من الجرائم تجاوزت المائتى ألف جريمة إجهاض سنويا فى الولايات المتحدة، والموقف أسـوأ من ذلك فى فرنسا مما يجعل مـعدل الجرائم التى ترتكبها الإناث، حين نضيف إليه ما يقع من جرائم الإجهاض وحدها، شديد الانخفاض بدرجـة ملحوظة كما تبين لـ « بولاك » من الإحصـاءات الخاصة بولاية نيويورك.

فإذا ما صححنا معدل جرائم النســاء أكثر من ذلك بإضافة جرائم السرقة من المتـاجر التى ترتكبـهـا النساء ولا تكتـشف، فـإن معـدل إجرام الذكـور يجب أن ينخفض حتى لو أخـذنا فى الحسبان المشكلة العامة بعـدم الكشف عن مثل جرائم ذوى الياقات البيضاء، التى ترتفع نسبة ما لا يبلغ منها إلى السلطات فإن « بولاك » يؤكد ان انخفاض جرائم النساء ليس سوى أسطورة.

وقد بحث « بولاك » مسألـة وجود نوعية معينة، أو أنماط شبـه ثابتة لجرائم النساء، فتبين له أن جـرائم النساء تقع غالبا فى مخالفة الاخـلاق الجنسية، اما فى نطاق الجرائم ضـد الأشخاص والجرائـم ضد الأموال، فإن أنماط الإجـرام الأنثوى ليس واضحا بصورة كافية.

ويوجه « بولاك » الاهتمام إلى حقيقة أن النساء يكن على علاقة بضحاياهن فى هذا النوع من الجرائم مثل الأبناء والأزواج والعشاق مما يحول دون الكشف عن جرائمهن من هذا النوع.

أمـا عند دراسـة البيـانات المتـاحـة عن الحالـة الزواجيـة للذكـور والإناث «للمجرمين المسجـونين» فقد ظهر أن نسبة الإناث المتزوجات أكـبر من نسبة الاناث غيـر المتزوجات وهو وضع مخـالف لما هو عليه وضع الذكور الذين تبين أن نسـبة كبيرة منهم ليسوا متزوجين.

وبالنظر إلى العـوامل البـيولوجـية ودورها فـى الجريمة تبين بولاك ان القـوة البدنية لم يعد لها أهمية فيما يتعلق بارتكاب النساء للجرائم التى يرتكبها الرجال، فقد ظهر بطلان تلك النظرية التى كـانت تزعم أن الضعف البدنى للنساء يؤدى إلى ارتكابهن جرائم معينة ويحولهن عن جرائم أخرى.

وقد ركـز بعض الدارسين على النضج الجسمـانى المبكر للبنات عند تفسـير جرائمهن الجنسية، ويعارض « بولاك » ما قيل أن حدة الدافع الجنسى لدى الذكور عما هو لدى البنات يؤدى إلى ارتفـاع نسبة الجرائم الجنسيـة التى يرتكبونها، ويرى أن العكس هو الصـحيح، لأن النضج المبـكر للبنات بما يصاحـبه من حـدة الدافع الجنسى لديهن هو الذى يسبب هذا الاختـلاف فى نسبة الجناح بين الذكور والإناث فقـد تبين أن التهـيج الحسى يبـدأ عند الأنثى قبل البلوغ ويمضى فى النـمو باطراد خلال فتـرة المراهقة ولبضع سنوات بعـدها، ولكن بلوغ ذروة اللذة لا يبلغ أقصى نموه إلا فى حوالى الخامسة والعشرين [(١)].

ويعد من الخطـأ الربط بين التهيج الحـسى وبلوغ ذروة اللذة للحكم بقـابلية الاثنى للدخول فى علاقة جنسية من نوع ما؛لأن مثل هذا الربط من شأنه أن يؤدى إلى القول بأن الأنثى لا تمارس أى عـلاقة جنسيـة قبل بلوغ تلك السن. وفى هذا خطأ كـبيـر لأنه قـد تبين ممـا كـشف عنـه بحث « كنزى » (Kinsey) أن نسبة كبيرة من الإناث مارسن علاقـة جنسية من نوع ما وهن دون سن البلوغ ثم بعد أن بلغنها [(٢)].

---

(١) انظر بولاك، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢) انظر Kinsey , Alfred and Pomeroy **The Sexual Behavior of the Human female** Philadelphia and London W.B. Saunders Co., 1953 .

كذلك لاحظ « بولاك » أنه يمكن أن تكون هناك عـلاقة بين ارتكاب الإناث للجـرائم وبلوغـهن مـرحلة المنضج أو البلوغ أو ظهـور اعـراض انقطاع الطمث، ولكنها علاقة ضعيفة لا يمكن الاستدلال منها على أهمية تلك الظروف التى تمر بها الأنثى فى دفعها إلى الانحراف.

ولقد تبين من دراسة أجرتها الدكتورة « شيرلى بيرت كلارك » على عينة من الاولاد والبنات الجانحين الذين لم يبلغ عنهم استخدمت فيها منهج الإقرار الذاتى، إن نسبة جناح البنات تقترب من نسـبة جناح الأولاد وهو وضع مخالف لما تكشف عنه الإحصاءات الرسمية.

* * *

المــراجــع

(١) سامـية حسن السـاعاتى، **جرائم النساء**، المركز الـعربى للدراسات الأمـنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

* * *



الفصل العاشر

المـرأة... الجسد والمعتقد
تطبيقات على المرأة المصرية(*)

تمهيـد :

الجسد موجـود ثقافى فهو جزء من الثقـافة وهو يلعب دورا فى تحديد أدوار النساء، وأدوار الرجال، كما أن الجسد الإنسانى يخضع لضوابط اجتماعية وثقافية.

والملاحظ أن وضع المرأة اليـوم، وضع معوق، ومـنتقص من قدره، فـعلى الرغم من كثـرة التغيـرات القانونيـة والتشريعـية فى صالحـها، ومن صغـر حجم الأسرة، ومن فرص التـعليم والعمل التى زادت وتحسنت أمام النسـاء خلال القرن الأخير. . إلا أنه مازال هناك تفـاوت ملحوظ بين الأدوار الاجتماعيـة والاقتصادية للرجال والنساء.

وقد شكلت نظرية المسـاواة بين الجنسين سياسـيا واقتصـاديا واجتماعـيا فى شكل حركة تحرير المرأة هجوماً عنيفاً على هذه الفروق والتفاوتات.

ويبدو أن الموقف الذى نشهـده الآن ليس نتاج الدعامات البـيولوچية لأدوار الجنسين وحدها. . ولا هو حصيله التفاوت الذى تفرضه، وتصر عليه نظم المجتمع ومؤسـساته المختـلفة فقط، إنما يرجع التـميـيز والتفـرقة بين الرجـال والنساء إلى المعتقدات الاجتماعية والثقافية والاتجاهات السائدة فى المجتمع.

إن حقيقة وضع المرأة مشتملاً على قـيمة جسدها يكمن فى أنه يتشكل يوميا من هذه المعتقدات. .

(*) بحث قدم فى المؤتمر الدولي« المرأة والجسد »، كوبنهاجن، سبتمبر١٩٩٧.

إن النساء يصبحن على الوجه الذى هن عليه، تبعاً للطريقة التى يتوقع منهن أن يكن عليها أو التى يفكر الناس فيهن على أساسها.

وسوف يتناول البحث محورين أساسين أحدهما يتعلق بتحديد المفهومات الاساسية فيه، والآخر يتعلق بالمرأة.. الجسد والمعتقد الشعبى، ثم خاتمة لأهم الأفكار التى يشتمل عليها البحث.

أولاً: الجسد:

لعل القرن الحادى والعشرين هو القرن الذى سيحتل فيه الجسد فى الدراسات الإنسانية اهتماماً كبيراً وذلك بعد إدراك المدارس الفكرية لمدى تغييبه فى العصور الماضية، ولعل ظهور جمعيات حقوق الإنسان واهتمام المنظمات الدولية بأمره، يبرهن على مدى ما حظى به الجسد الإنسانى من رد الاعتبار ويرى « تيرنر » (Turner) أن مشكلة التحكم فى الجسد، وضبطه، هى مشكلة تواجه كل مجتمع(١)، فكل مجتمع تواجهه مهام أربع : إعادة إنتاج سكانه عبر الوقت، والتحكم فى أجساد سكانه عبر المكان، وكبح الجسد الداخلى (الرغبات) من خلال (النظم)، وحضور الجسد الخارجى فى الحيز الاجتماعى. وفى ضوء هذه المهام فإن عملية تنظيم المجتمع ما هى إلا تنظيم للأجساد داخليا وخارجيا غير الزمان والمكان (٢).

والجسد جزء أساسى من هويه الإنسان، وبدون الجسد لا يكون الإنسان على ما هو عليه وقد لا يكون على الإطلاق.. وجود الإنسان وجود جسدى فى المقام الأول. الجسد موجود فى قلب العمل الفردى والجماعى، وهو الإدارة الأساسية لاكتساب المعرفة والتعبير عنها، وتطويرها. والجسد موجود فى قلب الرمزية الاجتماعية، وفى قلب الحضارة الإنسانية، وبقدر وضوح الجسد بقدر غموضه وقد اجتهدت المجتمعات الإنسانية بطرائق متنوعة فى حل هذا اللغز أحيانا.. وفى

---

(١) (نتحايل على تقاليدنا، ونمرر عديداً من الأوراق من تحت المائدة).

انظر الكاتبة « نورا أمين » « دراما، إبداع، يوليو ١٩٩٦، العدد السابع ص ١٠٥.

(٢) أنظر، B . Turner , The Body and Society , Basil Blackwell . Oxford , 1989 , P. 292 .

الهروب من حله أحياناً أخرى. وهناك مجتمعات توحد بين الجسد وصاحبه، ومجتمعات أخرى تفرق بينهما بطرائق عدة [1].

ثانياً: المعتقد: (Belief), Convinction)

أ- عقد الحبل، ربطه، والمعتقد أو الاعتقال فى المدلول اللغوى ضرب من الارتباط بأمر معين.

ب- وفى مدلوله الاصطلاحى التصديق الجازم بشيء ما، وفى الظن والرأى قدر من التصديق.. ولكنهما معاً دون المعتقد أو الاعتقاد.

واليقين والايمان اسمى درجات المعتقد، ويقومان على تصديق جازم لا يقبل الشك. وليس بلازم فى كل معتقد أن يكون وليد حجج منطقية، ويرجع كثير من معتقداتنا السائدة إلى شيء من الثقة والتسليم بما قال الآخرون من ماضين أو حاضرين.

جـ - درس المعتقد سيكولوچيا واجتماعيا، فمن الناحية السيكولوچية لوحظ أن للوجدان والعاطفة دخلاً فيه، وكم من المعتقدات يمليها القلب دون أن يكون للعقل فيها نصيب، والمعتقدات المباشرة التى لا تعتمد على بحث أو تحر هى فى الغالب وليده إيحائات أو انفعالات خاصة والمعتقدات غير المباشرة، وليدة تمحيص وتحقيق ولابد فى اليقين من سند عقلى، وفى المعتقد عنصر إرادى هو الذى يدفع المرء إلى التسليم بما يعتقده. ويربط « وليم جيمس » والبرجماتيون الاعتقاد بالتجربة ومتطلبات الحياة.

د- ومن الناحية الاجتماعية لوحظ أن المعتقدات البدائية اعتقادات مباشرة تعتمد على خرافات وأوهام، وتستمد من الثقة، واحترام الشيوخ، والرؤساء أو السحرة ورجال الدين. وهذه المعتقدات لا تزال لها مخلفات فى المجتمعات المتحضره. والمعتقد ظاهرة اجتماعية تنتقل من الفرد إلى من حوله، ومن بيئه إلى أخرى ولا حياة لها إن لم يأخذ

(١) ديفيد لوبرتون، **أنثروبولوچيا الجسد والحداثة**، عرض شاكر عبد اللطيف، **إبداع**، العدد التاسع سبتمبر ١٩٩٧ ص ٨٦.

بها المجتمع. وهناك معتقدات دينية، وأخرى سياسية. والدين هو التربة التى نبتت فيه المعتقدات القديمة على اختلافها، ولا سبيل لتفسير كثير من الظواهر الاجتماعية إلا بردها إلى أصولها الدينية. وقد عنى بذلك علماء الاجتماع والأنثروبولوچيا أمثال «فريزر» و « دور كايم » و «'ييبر » و « موس ».

وللمعتقد سلطان تصعب مقاومته، ومن المعتقدات ما غير وجه المجتمع تغييراً تاماً (١).

ويمتزج معنى المعتقد بكل من معنى الرأى، والاتجاه، والإيمان، والمعرفة (٢).

ثالثاً: المعتقد الشعبى: (Folk Belief)

تتميز المعتقدات الشعبية بأنها أصعب العناصر الشعبية (مثل اللغة والزى والحلى.. إلخ) فى التناول وأشقها فى الدراسة والبحث، لأنها خبيئة فى صدور الناس، وهى لا تلقن من الآخرين، ولكنها تختمر فى صدر أصحابها، وتتشكل بصورة يلعب فها الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعاً خاصاً.

وهى مع تمكنها فى أعماق النفس الإنسانية موجودة فى كل مكان سواء عند الريفيين، أو الحضريين، عند غير المثقفين، كما هى موجوده عند الذين بلغوا مراتب عالية من العلم والثقافة، وصاروا يخضعون فى حياتهم، وفكرهم للأسلوب العلمى.

وهذه الحقيقة الأخيرة جديدة نسبيا على البحث العلمى، حيث كان أبناء القرن التاسع عشر يعتبرون أن التفكير قبل المنطقى خاصية مميزة للطبقات الدنيا أو الشعبية، على حين أن الطبقات العليا أو حملة الثقافة الراقية يتميزون بتفكير منطقى خالص أى أنه لا يعرف المعتقدات الشعبية. ولكن هذا الرأى قد ثبت فساده

---

(١) **معجم العلوم الاجتماعية**، تصدير و مراجعة إبراهيم بيومي مدكور، إعداد نخبه من الأساتذة المصرين والعرب المتخصصين، **الهيئه العامة للكتاب**، ١٩٧٥ ص ٤٩ .

(٢) **المعجم العربي للعلوم الاجتماعية**، **منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة (يونسكو) والمركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعي** (راكسي)، القاهرة ١٩٩٤ ص ٤٨ .

منذ نهايه الربع الأول من القرن العشرين وأن المعتقدات الشعبية موجودة بدرجات متفاوتة فى كافة الطبقات، وعلى كافة المستويات (١).

ونجد لزاما علينا ونحن نبحث موضوع المرأة... الجسد و المعتقد، أن نقدم عدداً من الشواهد التى تساهم فى فهم أبعاده ومكوناته. وقد اجتهدت أن تكون هذه الشواهد من الثقافة المصرية بخاصة والعربية بعامة.

وتضم هذه الشواهد مشاهدات واقعية ودراسات ميدانية ومعطيات مستمده من كتب التراث الشعبية وغير الشعبية، وميدانى علم الاجتماع، وعلم النفس وبعض الاعمال الأدبية.

المرأة.. الجسد والمعتقد الشعبى:

ليست النظرة إلى الجسد مجرد نظرة فردية، بل هى نظرة عامة تتبناها الثقافة وتشيعها فى الناس بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد وسوف نتناول، المرأة فى علاقة جسدها بالمعتقد الشعبى كما تبدو فى مظاهر دورة الحياة.

١- الزواج

الزواج المبكر ذو قيمة عالية فى المعتقد الشعبى، وهو عصمة من الزلل وصيانة للشاب والشابة من الوقوع فى الفتنة والإغراء... والزواج المبكر على حد قولهم « نزهة وسترة » ومعنى ذلك أنه يحقق الإشباع الجنسى تحقيقاً مشروعاً.

وبذلك يساعد الشاب والشابة على صيانة شرفهما وشرف أهلهما وكثيراً ما يستندون فى رأيهم هذا إلى قول رسول الله ﷺ « من استطاع منكم الباءة فيلتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج » (٢).

وإذا تأخر زواج الفتاة حسب المعتقد الشعبى قلل هذا من قيمتها وشأنها ووصفت بأنها « بايرة » أى فاتها الزواج.. ولذلك يعرض عنها الخطاب مما يؤثر عليها نفسيا فتحزن وتتألم ويتملكها اليأس والابتئاس.. ومن الأمثال الشائعة هنا

(١) انظر محمد الجوهرى، **علم الفولكلور**، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعارف، ١٩٨٠، ص٢٢.
(٢) أبو حامد الغزالى، **إحياء علوم الدين**، جـ٤ ص٩٨.

«البـايرة أولى ببـيت أبوها» وكل ذلك يؤثـر بدوره على صـحتـهـا . . وقـد تمرض وتهزل . . وحـينئذ يقال أنها « مـعقودة » أى عـمل لها عمل ربط عقـدتها . . وهذا يضاعف هموم أهلها فـيسارعون إلى السحرة والعرافين ليفكوا عـقدتها وليبطلوا أثر السحر .

وكثيراً مـا يعمل لها « **حجاب المحبة** » أى حجاب يجـعل شخصاً مـعيناً من المعروفين لهـا من أقاربها أو جـيرانها يطلب زواجهـا . . ويتضمن هذا الحـجاب فى الغالب . . بعض الآيات القـرآنية . . وعبارات خاصـة . كما يتضمن الحـجاب أيضاً «أثر» لهذا الشخص أى قطعة من مـلابسه المستعملة كمنديله أو طاقـيته . . أو جلبابه أو قميصه . . ويشـترط فيها أن تكون قد تشربت عرقه أو رائحـته وبذلك يكون فيها «أثره» ، وتوضع كل هذه الأشـيـاء مـعـاً . . فى داخل حـجـاب من الجلد مـثلث الشكل . . تحمله الشـابة « البائرة » معلقـاً فى رقبتهـا بشرط أن يكون بجوار قلبـها باستمرار (١) .

ولا تزال هناك بعض الأسر فى الريف التى تتبع عـادة حجز الطفلة للعريس، منذ ولادتها . . باتفـاق الأبوين معا . . إذ يعين لها العريس مـن الأطفال الذكور من أبناء عمـومتهـا أو خئولتـها . . وعندئذ يقطعـون حبل سرة المولود فـى حـضرة هذا الطفل المعين . . ويـقولون فـــى أثناء عـمليـة القطـع « فـلانة لفـلان » ويقـرأون الفاتحة . . ويعد ذلك خطبة . ويكرر الأبوان والأمان على مسامع الطفلين القول بأن « ده عريسك » أو « دى عروسـتك » إلى أن يكتمل نضجهما الجنسى فـيشرع الأهالى فى الإجراءات الرسميـة للزواج وإتمامه، بصرف النظر عن حقيقـة شعور العروسين أحـدهما نحـو الآخر . فـمـا يهم هنا هو المحافظة عـلى مبـدأ الزواج الداخلى من الأقارب .

وغنى عن الذكر ما لهـذا الأسلوب الإلزامى المتزمت فى تزويج العروسين من خطورة على حياتهما الزوجية المستقبلة .

٢- الصفات المرغوب فيها عند اختيار الخطيبة :

ومن الصفات المرغوب فيها عند اختيار الخطيبة، المهارة، فيقولون : (بنت فلان نار وشرار . . وقلبـها حامى . .) أى أنها سـريعة فى العمل، والأخلاق الفـاضلة مثل

(١) انظر فوزية دياب، القيم والعادات الإجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠ ، ص٢٥٠ .

الطاعة والهدوء والوداعة، وصغر السن، وحسن السمعة، وطيب الأصل.. وكثيراً ما يرددون القول المأثور. « الدنيا متاع.. وخير متاعها المرأة الصالحة ».

كذلك من الصفات المرغوب فيها ملكية الخطيبة، وخصبها وخصب الخطيبة يتنبأ به على أساس خصب أمها والمثل السائر بينهم يقول « إكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها ».

أى أن صفة القابلية للخلف عند الأم ستنتقل إلى ابنتها.

وفى المعتقد الشعبى فإن عدم خلف المرأة المختارة على أساس خصب أمها.. لابد يكون ناجما عن أسباب غيبية (أى نقمة أو غضب من الله)، أو أسباب سحرية تتمثل فى تعويقها عن الحمل بالأعمال السحرية.

ومن المهم جدا أن نذكر أنه بحسب المعتقد الشعبى فإن عدم خلف الزوج لا يعزى بتاتا إلى أسباب تتعلق بالزوج نفسه، ويفسر هذا الاتجاه السائد.. التجاء الزوجة العقيمة إلى القوى الغيبية مقدسة كانت أو سحرية للتخلص من العقم.

والجمال صفة أخرى مستحبة فى الخطيبة.. وإن كانت فى الغالب لا تتمتع بمركز الصدارة مثل الصفات سابقة الذكر.

وجمال المرأة فى المعتقد الشعبى يحفل بالجمال الحسى الذى يتحدث عن الأعضاء.

فالذوق الشعبى يهوى المرأة البيضاء الهيفاء.. رفيعة الوسط ممتلئة الساقين.. كما يعجب بالوجه الصبوح دقيق الملامح ويفضل نامية الجسم طويلة القامة وتوصف بأنها « فايرة » كما يفضل الميالة للامتلاء ويقال عنها « مربربة وظاهر عليها الخير والعز » أما العجفاء « المعضمة » فلا يرغب فيها ويقولون عنها أنها «معصعصة وناشفة زى الجريدة».

وامتلاء الجسم يزيد من قيمة العروس الجمالية لأنه رمز للخير والعز وجودة الصحة.. وتلك أمور إذا توافرت فى العروس. فإن الزوج يضمن أما قوية فتتحمل عبء خلف الأولاد وتربيتهم. كما تتحمل أيضاً القيام بأعمال « البيت » «والغيط » أيضا إذا ما كانت ريفية.

أما من جهة لون البشرة فتفضل الفتاة البيضاء على السمراء ومن أقوالهم التى تعلى شأن البياض قولهم : « ياريتنى بيضا ولى ضب ده البياض عند الرجال ينحب »، وكذلك قولهم « ياريتنى بيضا ولى عرقوب، ده البياض عند الرجال محبوب »، ويدل هذان القولان على أن بياض البشرة صفة مستحبة جدا فى الفتاة لدرجة أنها تغطى كثيراً من العيوب المحتمل وجودها مثل « الضب » الذى يشوه شكل الوجه. ومثل«العرقوب » الذى يشوه شكل الساق والقدم.

وهناك مثل يقول : « يا واخد البيض. يامقضى الزمان فرحان. . ضيعت مالك على جوهر. . وعود ريحان ».

يؤيد ذلك ما وجدته سامية الساعاتى فى بحثها الميدانى : الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى بين جيلين، من أن النتائج الإحصائية بينت أن الصورة النهائية للزوجة المفضلة فى جيل الآباء الحضريين، هى المرأة ذات البشرة البيضاء المتوسطة الطول، ذات القوام الملفوف الميال إلى السمنة، أو السمينة أحياناً. . والعينين السوداوين أو الملونتين والشعر الأسود أو الأصفر الطويل.

أما الصورة النهائية لزوجة المستقبل المفضلة فى جيل الأبناء الحضريين فهى المرأة ذات البشرة القمحية أو البيضاء متوسطة الطول ذات القوم الملفوف والعينين العسليتين أو السوداويتين، والشعر الأسود أو البنى الطويل.

أما إذا قارنا النموذج المفضل لجمال شريكة المستقبل عند الآباء الريفيين (Rural)، وأبنائهم من الريفى، حضريين (Rurban) فسوف نجد أنه بينما ذكر عدد كبير من الآباء الريفيين تفضيلهم للمرأة ذات البشرة البيضاء، بنسبة ٦٢٪ ، وعدد لا بأس به منهم، تبلغ نسبته ٢٨٪ من جملتهم تفضيلهم ذات البشرة القمحية. . فإننا نجد أن ٥٢٪ من جيل الأبناء الريفى حضريين يفضلون المرأة بيضاء البشرة بينما يفضل ٤٨٪ منهم ذات البشرة القمحية. . وهنا لا نكاد نلحظ فروقا هامة بين الجيلين فيما يتعلق بهذه السمة.

ونستطيع القول بأن الصورة النهائية المفضلة للزوجة لدى جيل الآباء الريفيين (المستمدة من الإحصاءات) هى المرأة ذات البشرة البيضاء، المتوسطة الطول،

الممتلئة أو الملفوفة المائلة إلى السمنة،(سوداء العينين أو ذات العينين الملونتين) (بنسبة متساوية)، الشعر الأسود أو الأصفر الطويل.

بينما نجد أن الصورة النهائية المفضلة للزوجة لدى جيل الأبناء الريفى، حضريين هى المرأة ذات البشرة البيضاء أو القمحية، متوسطة الطول. الملفوفة، ذات العينين العسليتين أو السوداوين. والشعر الأسود أو البنى الطويل.

وهنا نلاحظ أن النموذج المفضل للزوجة فى جيل الآباء الحضريين، هو نفس النموذج المفضل للزوجة فى جيل الآباء الريفيين، وأن ذلك التطابق العام. . مشاهد أيضاً بين جيلى الأبناء الحضريين، والريفى حضريين. . مما يصدق معه آستنتاجنا بأن الفرق طفيف جداً بين جيلى الآباء من حضر وريف. فى جيل الآباء الحضريين، لأن معظمهم إما متصل بالريف. . أو له جذور ريفية. أما ما وجدناه من تشابه الصورة النهائية المفضلة للزوجة فى جيل الآباء الريفيين مع الصورة المفضلة للزوجة فى جيل الأبناء الريفيين. . فيدل على ثبات الثقافة (الشعبية) إلى حد كبير، وبطء تغيرها. . مما يؤثر فى تشابه الأبناء الريفيين الخلص مع آبائهم [(١)].

ومن الأقوال التى تصف جسد المرأة قول يقول : « إن كنت عايز تمص قصب مص من الوسط وإن كنت عايز تخطب،خد رفيعة الوسط » ، « وخد الحلو وأقعد قباله. . وإن جعت شاهد جماله ».

والمرأة الدميمة فى المعتقد الشعبى، هى التى تقول فيها الأمثال « اللى بعرقوبها تدبح الطير. . اهرب منها. . ما فيها خير » ما يعجبكش طولها الزين. . ولا لفتها فى الملاية . . مناخيرها قد الدوايا، خلت فطورى عشايا ». ويا واخد السود. . يا مقضى الزمان حزين. . ضيعت مالك فى خنفس وجالوص طين [(٢)].

ولما كان سمار البشرة غالباً فى المجتمع المصرى والعربى، فقد اقتضى الحال وجود أقوال وأغان تروج السمراوات وتحبب فى سمار البشرة « السمرة بلحة حمرا» ومكتوب حدانا فى الورق. . أسمر ودمه خفيف ».

---

(١) انظر، سامية الساعاتى، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ص٣٧٠.

(٢) إبراهيم احمد شعلان، **الشعب المصرى فى أمثاله العامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص٩٨.

وهناك صفات أخرى مفضلة . . مثل طول الشعر ونعومته . . . وسعة العينين . . ودقة « تقاطيع الوجه . . وهذه التفاصيل . . والصفات الجمالية تتحدث بها كثير من الأمثال والأغانى الشعبية . . ومن الأغانى التى تصور المثل الأعلى لجمال الفتاة الأغنية التالية :

انظر بعينك يا جميل	بيضا بلون الياسمين
راسها راس اليمامة	سبحان الخلاق العظيم
يا جبينها هلال شعبان	يا شعرها سلب الجمال
يا عيونها عيون غزلان	يا حاجبينها خطين بقلام
يا سنانها لولي ومرجان	يا خدودها تفاح الشام
يا حنكها خاتم سليمان	يا صدرها بلاط حمام
يا بطنها عجين خمران	يا سرتها قعر الفنجان
يا نهودها فحول رمان	يا فخادها عواميد رخام(!)[1]

وأحياناً يقولون فى وصف جمال الفتاة : لها وجه مدور « كالصينية » وشرطة عين مثل الفنجان . . وأنف مثل النبقة . . وفم «كخاتم سليمان»[2] .

وأحياناً تتوجه المكلفة بالتوسط فى خطبة البنات إلى البيوت التى فيها البنات وتشم رائحة فم العروس المرشحة، وتنظر كعب رجلها فإن جاء مثل المرجلة «القبقاب » تكون المخطوبة سعيدة وإلا كانت بخلاف ذلك .

وقد جاء فى الأثر :

« أن المرأة إذا درم كعبها . . درم عضوها »[3] .

« أى أن هناك تماثلا بين شكل كعب المرأة، وبين عضوها » .

فجمال جسد المرأة (الفتاة) فى المعتقد الشعبى « جمال شكلى أساساً . . . فيصفون جسمها بتفاصيله وأعضائه . وصفاً صريحاً لا تتحرج الفتيات من التغنى به وإنشاده فى أوقات اللهو والترويج . . وفى مناسبات الخطبة والزواج .

---

(١) فوزية دياب، القيم والعادات الإجتماعية، المصدر السابق ص ٢٦٦ .

(٢) محمد عمر، حاضر المصريين أو سر تأخرهم، ص ٢٠٥ .

(٣) درم : بمعنى امتلأ .

٣- المهر وشراء المرأة واقتناؤها :

إن مناسبات الاتفاق على المهر وتحديده لا تخلو فى بعض الأحيان من الأخذ والرد والمساومات. . وإن « ما يدفعه الزوج فى مقابل أن يحظى بزوجته ينطوى على فكرة قريبة جدا من مفهوم الشراء »(١).

فكما أن الثمن فى حالة الشراء يختلف باختلاف السلعة المراد شراؤها فكذلك المهر. . فإنه يعلو ويهبط على حسب تقويم العروس المراد الزواج منها.

. ومما يدعم القول بمضمون الشراء فى مفهوم المهرعند الريفيين ونستشفه من أقوال لهم تعبر عن فكرة ملكية الرجل للمرأة واقتنائها. . وعن أن الرجل إذا تزوج أصبح « مقتنياً » زوجته. . فهم إذا أرادوا إبداء أستيائهم من امرأة واستهجانهم سلوكها. . كثيراً ما يعيبونها فى شخص زوجها قائلين العيب مش عليها. . العيب على اللى « **قانيها** ».

كذلك من العبارات التى تتضمن مفهوم الشراء فيما يتعلق بالمهر وتقويم العروس بالمال، أن أهل الشاب يقولون لأهل الفتاة فى سياق خطبتها وتحديد مهرها :«إحنا نتاقل بنتكم بالمال»، أو «أنها تساوى ثقلها ذهباً» ومثل قولهم أيضا بعد أن تنتقل العروس إلى المعيشة معهم. . ويثبت لهم أنها الزوجة التى ينشدونها «والله فلوسنا كانت حلال. . ويعنون بذلك المهر الذى قدموه كثمن لها. كما أنه من المألوف جدا أن نسمع الزوجة نفسها تقول عن المهر «أنه حق رقبتي»(٢) ولعل لفكرة البيع والشراء فى مفهوم المهر. صلة بجسد المرأة كما يتضح من عبارة الزوجة السابقة.

وتبدو هذه الفكرة أيضا جلية واضحة فى كثير من الأغانى الشعبية المتصلة بالخطبة والزواج ونذكر منها على سبيل المثال أغنية مطلعها :

---

(١) انظر مصطفى الخشاب، دراسات فى الاجتماع العائلي، مطبعة مجلة البيان العربي، ١٩٩٨، ط٢ ص ٧٠.

(٢) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص ٢٧١.

يا بـو البـنت البـــالغ بعــــهـــا قـــبل شــرف البنـت مــا يضــيع

وكذلك الأغنية التالية :

إدوا لابـوهـا قـــد مـــاربـاهـا روح ياعـم مـا أنـت قـد شـــراها ..

إدوا لابـوهـا قـــد مـــاربـاهـا يا مـتين جنيـه وأنا والعـبيـد وراها ..

إدوا لابوهـا قـــد مـــا دلعـــهـــا يا مـتين جنـيـه وأنا والعـبـيـد تـبعـهـا ..

٤- العرض والمحافظة على الشرف فى المعتقد الشعبى

إن قيمة العرض والمحافظة على الشرف هى التى تتحكم فى كثير من أساليب سلوك الناس وعادتهم المتبعة فى معـاملة الأنثى منذ طفولتها المبكرة، وفـى جميع مراحل تنشئتها الاجتماعية.

فهذه القيـمة هى المسئولة مثلا عن عادات تخـويف الأنثى من القفز واللعب العنيف، حتى لا يتمزق غشاء بكارتها. . وتفهم البنت الصغيرة تفهيماً جيداً، أنها لو كبرت. . واكتشفوا ليلة «دخلتها» على عريسها، أن غشاء بكارتها قد مزق فإنهم سيقتلونها. . وفى هذا من غير شك ضبط كبير لسلوكها فى أثناء اللعب.

كـذلك نجـد أن قيمـة العرض هى التى تدفع الأهالى إلى فـصل الأنثى عن الذكر منذ سن مـبكرة فى اللعب وفى النوم، كمـا تدفعهم أيضـا إلى تحذيرها من الاختـلاط بالذكور فهم يـؤمنون بالمثل القائل «إيش أحر الـنسا، قال بعـد الرجال عنهم» وهم أيضا يخوفون الأنثى من الخلوة بالذكـر لأن الخلوة به تزيد من احتمال ضعفها أمـامه وتفريطها فى عرضها. وهذا أمـر إذا حدث «قتلوها»، أو «ضربوها بالنار» وتتـشرب الفـتيـات هذه الأفكار تشربـاً لدرجة أنهـا تتناولها بالحـديث مع رفيقاتها فى أثناء اللعب والسمر. . فيتبادلن التحذير والنصح بخصوص هذا الأمر.

والحب قبل الزواج يعد أمر مستهجناً ومذموماً، وهى تؤدى إلى قيام المشاكل بين الأسر، وإلى وصم الفتاة برذيلة «الـعشق» التى لا تجر إلا إلى الشر والوبال. . وتفكك أوصال العلاقات بين الأسر.

فالعشق قبل الزواج فى المعتقد الشعبى لا يؤدى إلى السعادة بل كثيراً ما يلهب الغريزة الجنسية عند الشباب فيفقدون سيطرتهم على أنفسهم.

وقد قال المويلحى على لسان «عيسى بن هشام» منذ أكثر من خمسين عاماً «لقد جرى العشق فى بعض البلاد الشرقية مجرى العيب المحض.. والعار الفاضح. وكان عند بعض قبائل العرب إذا اشتهر أحد فتيانهم بعشق فتاة منهم منعوه من التزوج بها لهذا السبب، وربما رفعوا أمره إلى السلطان وإن شهر بها فى شعره فيهدر دمه. فهذا العشق الذى هو الركن الأكبر والسبب الأعظم فى حصول التزاوج عند الغربيين، وهو من أكبر الموانع فى التزاوج لدى الشرقيين، والتجاهر به من الأمور المكروهة عندهم لطبيعة الإقليم فى حدة المزاج، وتوقد الشعور وتلهب الإحساس»(١).

إن قيمة العرض فى المعتقد الشعبى هو المحور الذى يرتكز عليه شرف الأسرة أو العائلة بأكملها. وبخاصة رجالها.. ولذلك كثيرا ما نسمعهم.. يوجهون للإناث وأولياء أمورهن أدعية معينة تدور كلها حول ستر العرض.. إذا يقولون للفتاة: «الله يستر عرضك» ويقولون للرجل: «الله يستر ولاياك». أو «الله لا يفضح لك عرض» أو «الله لا يفضح لك ولية».

٥- الختان «الطهارة»:

يلاحظ أن قيمة العرض والمحافظة على الشرف، هى المسئولة أيضا عن عادة ختان الأنثى، إذا ان المعتقد الشعبي، يذهب إلى أن ختان الأنثى يخفف كثيرا من حدة شهوتها الجنسية وبذلك يمكنها أن تملك زمام نفسها(٢).

وتصف الكاتبة «نوال السعداوي» خبرة الختان بقولها «كنت فى السادسة من عمرى نائمة فى سريرى الدافئ أحلم أحلام الطفولة الوردية.. حينما أحسست بتلك اليد الباردة الخشنة الكبيرة ذات الأظافر القذرة السوداء.. تمتد وتمسكني، ويد أخرى مشابهة لليد السابقة خشنة وكبيرة تسد فمى.. وتطبق عليه بكل قوة لتمنعنى من الصراخ.. وحملونى إلى الحمام. لا أدرى كم كان عددهم، ولا أذكر ماذا

---

(١) محمد المويلحي، حديث عيسى بن هشام، القاهرة محمد سعيد الرافعى الكتبي، ص ٤٣٧، ٤٣٨.

(٢) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص٢٧٦.

كان شكل وجوههم. وما إذا كانوا رجالا أو نساء، فـقد أصبحت الدنيا أمام عينى مغلقة بضبـاب أسود، ولعلهم أيضا، وضعوا فوق عيـنى غطاء، كل ما أدركته فى ذلك الوقت تلك القـبـضـة الحديدية التى أمـسكت رأسى وذراعى وسـاقى حـتى أصبحت عاجـزة عن المقاومة أو الحركة، وملمس بلاط الحمـام البارد تحت جسدى العاري، وأصوات مجهولة وهمسات يتخللها صوت اصطكاك شيء معدنى ذكرنى باصطكاك سكين الجزار حين كان يسنه أمامنا قبل ذبح خروف العيد.

وأرهفت أذنى لصوت الاصطكاك المعدنـى، وما أن توقف حتى توقف قلبى بين ضلوعى وأحـسست أن هذا الشىء يـقتـرب منى. لا يقتـرب من عنقى، وإنما يقتـرب منى. من فخـذى.. أدركت فى هذه اللحظة أن فخـذى قد فـتحـتا عن آخرهما وأن كل فخذ قد شدت بعيداً عن الآخر بأصابع حديدية لا تلين. أحسست بالشىء المعـدنى يسقط بحدة وقـوة من بين فخـذى يقطع من بين فخـذى جزءا من جسدى.

صرخت من الألـم رغم الكمامة فوق فمى، فالألم لم يكن ألما، وإنما هى نار سرت فى جـسدى كله، وبركـة حمراء من دمى تحـوطنى فوق بلاط الحـمام. لم أعـرف، ما الذى قطعـوه منى ولم أحـاول أن أسال كـنت أبكى وأنادى على أمى لتنقذنى. وكم كانت صدمتى حين وجدتها بلحـمها ودمها واقفة مع هؤلاء الغرباء تتحدث معهم وتبتسم لهم وكأنما لم يذبحوا ابنتها منذ لحظات.

وحملونى إلى السـرير. ورأيتهم يمسكون أخـتى التى كان تصغـرنى بعامين بالطريقة نفسها فـصرخت.. وأنا أقول لهم : لا، لا، ورأيت وجه أختى من بين أيديهم الخشنة الكبيرة، كان شاحباً أبيض كـوجوه الموتى، والتقت عينى بعينيها فى لحظة سريعة قـبل أن يأخذوها إلى الحمام. وكأنما أدركنا مـعاً تلك اللحظة المأساة، مـأساة أننا خلقنا مـن ذلك الجنس، جنس الإناث الذى يحـدد مصـيرنا البـائس، ويسوقنا بيد حديدية باردة إلى حيث يستأصل من جسدنا بعض الأجزاء [١].

(١) تذكر الكاتبة نوال السعداوى التى تسرد هذه السيرة الذاتية، أن أباها كان متعلما تعليما عاليا، وأن أمهـا قد تعلمت فى مدرسة فـرنسية، وهذا يبين لنا سلطان الثـقافة والمعـتقد الشعـبى الذى يفوق سلطان التعليم والتنوير انظر السعداوى، الوجه العارى للمـرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٧.

٦- الجلوة :

في يوم الزفاف . . تنشغل أم العروس مع القريبات والحبيبات بالإشراف على عمل البسكوت والفطير والكحك و إعداد عشاء العروسين وطهوه، بينما نجد أن الداية « أو الماشطة » وفريقاً آخر من قريبات العروس مشغولات معها بعملية «الجلوة » والمقصود « بالجلوة » [١] عمل كل الوسائل التى من شأنها إظهار العروس فى أبهى منظر، وأجمل مظهر يمكن أن تظهر به.

والجلوة تتضمن عدة إجراءات تقليدية لابد من اتباعها مع كل عروس. «فالماشطة » تقوم أولا بإزالة الشعر الخفيف المنتشر على وجه العروس وكذلك الشعر الذى فوق الشفة العليا، وتحت الإبطين، وعلى الساقين والذراعين، والعانة، وذلك باستعمال ما يعرف « بالحلاوة » [٢].

وتهدف هذه العملية إلى أن تكون العروس ناعمة الملمس نظيفة من الشعر الزائد الذى لو ترك لبدت مواضعه خشنة داكنة غير مستحبة. . ولذلك فإن من أغانيهم التى يغنوها فى هذه المناسبة. . والتى تمتدح صفة النعومة فى العروس، الأغنية التى تقول :

آه يا ناعمة يا غريبة   يابنت الناس الطيبة

لذلك فإنه ليس من النادر يحسب المعتقد الشعبى أن توطوط البنت بعد ولادتها حتى تصبح نظيفة ناعمة الملمس.

والوطوطة هى دهن إبطيها. . وعانتها. . بدم خفاش أو « وطواط » كما يسمونه. . والمعتقد أن هذا الإجراء يحول دون نمو الشعر فى هذه الأجزاء. . وبذلك تظل نظيفة لا تحتاج إلى إزالة الشعر عنها بانتظام عندما تكبر وتتزوج.

---

(١) الجلى لغة هو «الصقل وكشف الصدأ عن السيف أو الفضة، أو المرآة ونحوها، المعجم الوسيط جـ. ص١٣٣.

(٢) الحلاوة مستحضر من السكر المذاب فى الماء الذى يغلى مدة من الزمن ثم توضع عليه قطرات من عصير الليمون حتى يتخذ قواما مطاطاً سهل التشكيل (يعقد) وبعد أن يبرد يوضع على الجزء المراد تنظيفه من الشعر من سطح الجسم، وبعد قليل ينزع بطريقة خاصة، فينتزع معه الشعر، وتتكرر هذه العملية حتى تنظف كل أجزاء الجسم السابق ذكرها.

وتعنى الماشطة عناية خاصة بتنظيف حاجبى العروس من الشعر القصير الزائد المنتشر حولهما وترفيعهما بشكل يبرزهما.. إذ إن المعتقد أن هذا الإجراء.. يزيد جاذبية الوجه والعينين ثم تساعد الماشطة العروس وهى تستحم بمياه ساخنة، ويستغرق حمامها مدة طويلة تضمن تنظيفها جيداً.. ويحك كل جزء فى جسمها حكا جيداً بالليفة والصابونة.. ولا تتركها الماشطة إلا وقد أصبح لبشرتها بريق جميل، وعندئذ يقولون عنها أنها « إنجلت » وبعد ذلك تقوم الماشطة بتمشيط شعرها ثم تلبسها الملابس الجديدة ومنها فستان الزفاف أو « البدلة » كما يسميها البعض التى كان العريس قد أرسلها ضمن ما يعرف بهدية العروس. كما تلبسها الطرحة المصنوعة من التل أو الحرير الأبيض الخفيف، كما تلبسها الكردان.. والأساور والقرطين.. وتزين وجهها بالبودرة والأحمر أو الأبيض والأحمر كمايقولون.. وتزجج حاجبيها بالقلم البنى أو الأسود على حسب لونهما الأصلى، ثم تكحل عينيها، وترش عليها العطر..

وهكذا تكتمل زينتها وتخرج إلى حيث مكان الحفل وتجلس على كرسى وسط المدعوات فى إنتظار الذهاب إلى بيت العريس [1].

وجدير بالذكر أن التنشئة الإجتماعية بحسب المعتقد الشعبى، فيما يختص بالفتاة، تقضى عليها بألا تزين نفسها بأى شكل مهما كان بسيطاً، بل أحيانا تذهب إلى أبعد من ذلك فتعطى الفتاة التعليمات بألا تستحم إلا بمناسبة التطهر من العادة الشهرية ولو خرجت الفتاة على هذه التعليمات اتهمت بالفجور وقلة الحياء، وبأنها تتنظف، وتعتنى بمظهرها وهندامها بقصد جذب الإهتمام، وجذب أنظار الرجال إليها. وهذا يخالف معايير الأخلاق الفاضلة بحسب المعتقد الشعبى، الذى بمقتضاه تعمل الفتاة على إخفاء زينتها.. وستر جمالها.. حتى عن خطيبها.. إلى أن تدخل عليه كزوج.. وهنا يكون من الحلال.. بل من الواجب عليها إبداء جمالها وزينتها لزوجها.. ولا حرج عليها عندئذ.. من أن تتفنن فى إرضائه جنسيا وعاطفيا.. فكلما أرضته من هذه الناحية ساعدت على عصمته من أن يفتن بغيرها، وهناك مثل يقول فى ذلك « المرأة غزية جوزها » [2] ومعناه أنه من الحلال

(١) فوزية دياب، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٢) الغزية راقصة لعوب من الغجر عادة.

والمستحب والمباح أن تلجأ الزوجة (مع زوجها فحسب) إلى أساليب الإغراء والإثارة التى تلجأ لها الغزية للتأثير على الرجال.

٧- الدخلة وفض غشاء البكارة

بعد الانتهاء من زف العروس، تدخل الحجرة التى خصصت لها ولزوجها والشائع جدا أن تدخل معها أمها وأن العريس والقابلة (الداية) التى تغطى وجه العروس بالطرحة، ثم يدخل العريس، وتقضى عليه التقاليد فى كثير من القرى والأحياء الشعبية، أن يبدأ برفع الطرحة عن وجه العروس « ليكشف وجهها »، ثم يقدم لها مبلغاً من المال يعرف « بكشف الوجه » تبعاً لمركز العريس وأسرته، ومركز أهل العروس.

بعد ذلك تساعد القابلة فى تهيئة العروس وإعدادها لعملية فض غشاء البكارة أو أخذ « الوش » أو « الفلاح » كما يقولون فتساعدها أولاً على خلع ملابسها ثم تلبسها قميص الدخلة، ويكون عادة من قماش أبيض ناعم الملمس، ثم تهيئها لعملية فض غشاء البكارة بأن تجعلها فى وضع معين يسهل على العريس القيام بهذه العملية.

ويلاحظ أنه منذ دخول العريس والعروس حجرتهما لإجراء هذه العملية، يجتهد الواقفون على الباب من أقارب العروسين فى إحداث ضجة كبيرة بالتهليل والتصفيق والطرق على الباب، وهم يغنون، ويرددون البيتين من الزجل :

السمسم خر من الصندوق   اطلع يا عازب روح السوق

كعب البنت ريال مدور   يا ما خلق يا ما صور

ووسط هذا الضجيج والصخب لا تسمع صرخات العروس فى أثناء فض بكارتها. ولكى يسهل على العريس إجراء هذه العملية، يركع على ركبة ونصف أمام العروس. . و تقف القابلة بجواره، وتعطيه « المحرمة » وهى عبارة عن منديل كبير من الشاش الأبيض وبعد فض غشاء البكارة يعطى العريس المحرمة بالدماء لحماته والدة العروس التى تنشرها بفخر وسرور وهى تزغرد وهنا تقبل أم العريس يد ابنها وتقول له، فى فخر « راجل من ضهر راجل ».

وعندما تخرج أم العروس بالمحرمة من الحجرة وتسلمها إلى الواقفين خارجها فإنهم يمسكون بها من أطرافـها، ويرفعونها أمام الملأ ويبلغ الحـماس أشده، فتطلق الأعيرة النارية وتتوالى الزغاريد وأغاني الشرف ومنها :

حلـوة يا بـلحـــة مــقــمــعـــة	شـــرفت عــمـــامك الأربـعـــة
حـلوة يـا نخـلة مـــفـــرعـــة	شـــرفت خــــلانـك الأربعـــة
يـا بـلحـــة وأربـع عـنبـــات	منقـــوعـــة وبايتـــة في شـــربات
شـــرفـت أبوكـي وأخـــوكـي	وولاد عــــــمـك الــبنــات

وكذلك أغنية :

قــولوا لأبوهـا يقــوم بقـي يتــعــشى   قــولوا لابوها الدم ســاح وبل الـفـرشـة

وكثيراً مـا يحدث أن يأخذ المحرمة بعد عرضـها فى منزل العريس جمع من أهالى العـروسين، ويخرجـون بها إلى الـشارع، وهى مـرفوعـة كالعلم. . حـيث يزفونها بين المشاعل والشموع وهم ينشـدون الأناشيد السابقة هادفين منزل والدها الذى يستقبلهم فخوراً مرفوع الرأس شامخ الأنف.

وبإعلان شرف العروس، تخـرج القابلة بعد أن تأخذ ما جمـعته من نقوط، من المدعوين ومن العروسين، وتخرج أم العروس فـخورة بابنتها التى رفعت رأس أسرتهـا عالياً « وبيضـت وجوههم »، كما تخـرج أم العريس فخـورة بابنها الذى أثبت رجولته بقدرته على فض غشاء البكارة.

والآن بعد أن اتضح لنا تمام قـيمة العرض وأهميـة الشرف بالنسبة للمعـتقد الشعبى نسـتطيع أن نرى الحكمة فى التمـسك بعادة فض غشاء البكارة فى المعـتقد الشعبى و أنه هو السبيل الوحيد أمام الفتاة لتثبت عفتها، ووجود هذا الغشاء سليماً دليل على أنها صانـت عرضها. . وإلا فلابد أن تكون قـد انحرفت أو فرطت فى عرضها كما يقولون. وانحراف الفتاة على حد تعبيرها.. يسود وجوه أهلها، ويسود عمائمهم، ويخفض رءوسهم إلى الحضـيض، ويقصم ظهورهم » ويجعلهم مضغة فى الأفواه سنين طويلة لذلك فهم يلجـأون فى كثير من الأحيان إلى قـتل الفتاة إذا ثبت لهم أنها فـقدت غشـاء بكارتها والمثل عندهم يقـول « النار ولا العار » ويرى

أحمـد خليفة « أن القـتل - لا أقل - هو الذى يغسل العار ويبـرئ العرض الذى ثلم، فإن جانباً كبيراً من جرائم القتل فى مـصر - وخاصة فى الصعيد يبعث إليها الإنتقام للعرض » [1].

ويذهب سلطان التـقاليد إلى حـد أن الأم بيديهـا تقتل ابنتـها التى زلت أو غوت. وإلى حد أن الرجل قـد يهجر بلده وداره وأهله يجوب الآفـاق، باحثاً عن المرأة الضالة التى تمت إليه وبدأت فى البحـث عنها سنين دون أن يكل حتى يجدها وينفذ فـيها قـضاءه، وإلى حد أن الغلة قـد لا تشفى بمجرد القـتل بل يمثل القاتل بالجثة أشنع تمثيل، وخاصة بما لها من أجزاء ذات صلة بالعرض.

وفى رواية « دعاء الـكروان » يعبر « طه حـسين » عن هذا المعتـقد التـقليدى للشـرف وارتباطه بعـــذريـة البنت، وتتـعـــرض البنت الصـغيـرة « هنادى » للذبح بسكين خالها وبالتعاون مع أمها، تلك المرأة التى صورها الكاتب عاجزة عن الدفاع عن ابنتها ومشتركة مع الخال فى القتل.

ويظل الخال القاتـل حراً طليقا ولا يعد مـجرماً كانماً هو أدى واجـبه كرجل غيور على شرف أسرته « العار لا يغسله إلا الدم » (مثل عربى شائع).

ولا تفكر « آمنة » على الإطلاق فى عقاب خالهـا الذى ذبح أختها لأن «طه حسين » يقول فى قصته عن النساء أنهن « عورة يجب أن تستر » و«حرمة يجب أن ترعى»، و«عرض يجب أن يصان » ولكنها تفكر الإنتقام من المهندس الشاب الذى اعتدى على شرف هنادى، وتستخدم أنوثتها وفتنتها فى الصراع [1].

٨- خلف الأطفال :

خلف الأطفـال بعامة. . والذكـور بخاصـة. . أهم أمر فى حـياة الزوجين حسب المعتقـد الشعبى. . وهم مصدر طمأنينة الأسرة على حـفظ ممتلكاتها كذلك هم موضـع التفاخـر والزهو لأنهم يعـبرون عن حيـوية الزوج ورجولـته. . وعن خصوبة الزوجة الحقة.

(١) أحمد محمد خليفة، **مقدمة فى دراسة السلوك الإجرامى**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢.

(٢) طه حسين، **دعاء الكروان**، ص١٥١.

والمعتقد الشعبى يماثل بين خصوبة المرأة وخصوبة الأرض والنبات « فالشجرة اللى ماتضللش قطعها أحسن » والزوجة التى لا تنسل للزوج أن يطلقها. . لذلك يقولون للعروس : « ربنا يجعلك شجرة تطرح. . وتملا المطرح »:

وجدير بالذكر. . أننا نلاحظ بعد الزفاف والدخلة. . بأسابيع معدودة. . تلهفا على خلف الأطفال. . لا من العروسين فحسب. . بل من أهل العروسين أيضاً وهذا التلهف يبدو عادة فى شكل استفسارات عن العادة الشهرية عند العروس، وهل انقطعت أم لا. وهكذا يظل التساؤل عن العادة الشهرية. . وترقب أخبارها حتى إذا انقطع مجيئها استبشر الزوج والزوجة. . وفرحا فرحاً كبيراً وفرح معهما أهلهما.

أما إذا مر الشهر تلو الشهر. . ولم تحمل العروس. .فإن حزنها يكون أشد من حزن زوجها إذ يصبح مركزها مزعزعاً، وتكون عرضة للطلاق أو لأن يتزوج زوجها أخرى فى أى وقت. . إذ يلقى المعتقد الشعبى التبعة كلها (فى مسألة عدم الخلف) على الزوجة. . إذ ليس من المستساغ عندهم. أن ينسبوا إلى الرجل ما يشكك الناس فى رجولته. . فالرجل دائما. . هو الرجل الكامل الرجولة. . الذى يقوم بواجبه. . والذى لا عيب فيه أما العيب فهو فى زوجته لأنها عقيم.

٩- عدم الحمل :

من العادات المألوفه جدا التى تلجأ إليها الزوجة العقيم أو التى تؤخر خلفها بسبب العمل أو الحسد - تبعا للمعتقد الشعبى - أن تذهب إلى أحد العرافين أو السحرة ليخرج هذا العمل. . ويبطل مفعوله. . ويعمل لها تحويطة أو حجاباً يقيها شر الحسد.

وهناك إجراءات كثيرة ومتعددة تنصح الزوجة العقيم، أو التى تأخر حملها بممارستها لكى تحمل. . ومن هذه الإجراءات أن تخطو فوق سلحفاة. . أو فوق رأس حمار ميت. . . أو رأس ضبع ميت، أو تعبر سكة حديدية. . أو تخطو فوق نار مشتعلة سبع مرات أو تخطو فوق جثة قتيل. . فأى من هذه الإجراءات كفيل بأن يفسد العمل الذى عمل لها. . «ويفك عقدتها » كما يقولون.

وقد تنصح الناصحات من العجائز والقريبات المعروفات بالخبرة فى هذه المسائل . . بأن يحدثوا للزوجة العقيم . . أو الذى تأخر حملها حالة تعرف بالخضة[1]. والخضة تشبه الصدمة إلى حد كبير، لأنها نوع من المفاجأة المزعجة التى تجعل الزوجة تضطرب وتخاف، ثم حسب المعتقد الشعبى تحمل بإذن الله. وتحدث الخضة بأن يرموا فى حجرها ثعباناً أو فأراً. أو حيواناً ميتاً. . أو تؤخذ لتنام بعض الوقت فى قبر مهجور.

ومن الإجراءات الشائعة أيضاً أن تذهب لزيارة ضريح ولى من أولياء الله اشتهر بكراماته الفعاله فى حل عقد الزوجات العقم أو اللاتى تأخر حملهن مثل (جامع الجيوشى) فى القاهرة. كما تنصح أيضاً بأن تذهب للتدحرج بطريقة خاصة فى أمكنة معروفة مثل (جامع المغاورى) فى جبل المقطم بالقاهرة.

وهناك وصفات بلدية متنوعة تستعملها الزوجة المعوقة أو العقيم أملاً فى الحمل ومعظم هذه الوصفات من تدبير العجائز من النساء، ومنها ما هو من تركيب بعض العطارين المشهورين بالعلاج بالأعشاب وأنواع العطارة الأخرى. . وكثيراً ما تنفق المعوقة والعقيم مبالغ من المال فى الحصول على هذه الوصفات كثيراً ما تكون خارج طاقتها المادية [2].

١٠ - الوحم :

الوحم، لغة، اسم لما يشتهى [3]. والوحم ظاهرة تحدث فى الشهر الثالث - أو الرابع من أشهر الحمل. . وهو يعكس صلة ما بين جسد المرأة والمعتقد الشعبى.

وكثيراً ما توحم الحبلى فتشعر برغبة ملحة فى نوع أو أنواع خاصة من المأكولات. . وفى بعض الأحيان تكون هذه المأكولات نادرة - أو غير موجودة فى فترة وحم الزوج. . لأن لها أواناً. . وأوقات مثل العنب والبطيخ. . والمشمش وغير ذلك من أنواع الفاكهة والخضروات وسائر أنواع الأطعمة الدسمة.

وهناك معتقد شعبى بأن الحامل التى توحم، إذا إشتهت شيئا من المأكولات ولم يحضر لها. . فإن هذا النوع من الطعام. . سيظهر على بشرة الوليد على هيئة

(١) انظر فوزية دياب، **المصدر السابق**، ص٣٠٨.

(٢) راجع أحمد رشدى صالح، **الزوجة الثانية**.

(٣) **المعجم الوسيط**، جـ٢، ص٩، ١٠.

بقعة تسمى « الوحمة » كبيرة، أو صغيرة وقد تظهر فى وجه الوليد فتشوه منظره.. ولهذا يحرص الزوج وأهله على السعى لإحضار ما تشتهى الزوجة الحامل.. مهما كلفهم ذلك من ثمن ومشقة ما دامت ستخلف وتعمر البيت وتجلب الخير للأسرة.

وفى المعتقد الشعبى - جرت العادة أن تبعد الحامل عن كل المناظر القبيحة، أو منظر الأشخاص المشوهين، لأن هناك اعتقاداً شائعاً فى أنه إذا وقع نظر السيدة الحامل على منظر شخص أو حيوان قبيح، فإن وليدها سيكون قريب الشبه منه، لأن العين « لقاطة ».. كما يقولون.. ولذلك تتعمد الحامل أن تنظر إلى الأطفال ذوى الخلقة الجميلة والوجه الحسن. لكى تلقط عيناها مناظرهم فيأتى الجنين على هذه الصورة من الجمال.

وكثيراً ما تنصح الحامل بأن تعلق صوراً لأشخاص ذوى وجوه جميلة، وأن تطيل النظر إلى هذه الصور مع التمنى دائما أن يأتى طفلها مشابها لما تراه فيها (1).

١١- الإجهاض :

مما يكدر صفو السيدة الحامل أن تشعر بنزول دم ينذر بسقوط الجنين من الرحم.. وكثيراً ما يعالج الإجهاض المتكرر، فى - تصور المعتقد الشعبى - الذى يعتقد أنه من كون الظهر مفتوحاً.. بقفل معين يعرف « بقفل الظهر » أو « المسكة » وهو قفل من الحديد يصنعه حداد على حسب مواصفات معينة، ثم يعلق فى خيط متين وتلبسه الحامل أول مرة فى صلاة الجمعة.. وتراعى ألا تخلعه لأى سبب من الأسباب.. كما تراعى أن يكون دائما فى وسط ظهرها سواء فى حالة نومها أو يقظتها.. إلى أن تنتهى مدة الحمل الطبيعية وتحدث الولادة.

١٢- الولادة :

بالنسبة للولادة، التى تبدأ بما يعرف « بالعلامة » وهى أول نذير للوضع وهى عبارة عن ظهور نقط مخاطية من الدم فى ملابس الحامل الداخلية.. وبمجرد ظهور العلامة، تستدعى الحامل أمها أو بعض أخواتها وجارة أو أكثر من جاراتها

---

(١) فوزية دياب، المصدر السابق، ص ٣١٠.

الحميمات.. ويعقب العلامة « الوجع » وهو آلام فى الظهر تنتشر حتى الوسط.. وتأتى فى موجات متباعدة ثم متقاربة ومتلاحقة حتى تحدث الولادة.. وقد وتقوم بعملية الولادة القابلة أو الداية أو المولدة أو الطبيب.

ومن المحرمات الشائعة فى المعتقد الشعبى والواجب مراعاتها فى أثناء عملية الوضع دخول شخص غريب خوفا من الحسد، كذلك يحرم دخول المرأة الحائض ودخول المرأة العبوس، للاعتقاد بأن ذلك يعوق عملية الوضع.. أما المرأة المنشرحة السمحة الوجه المنفرجة الأسارير فيشجع دخولها اعتقادا أن طلعتها تسهل عملية الوضع.

وإذا ظهر ما يدل على أن الولادة صعبة.. فإنه قد يؤذن للوالدة فى أذنيها الأذان الشرعى، ويوضع مصحف على بطنها.. وكثيرا ما يلجأ إلى عادة رفع الأغطية عن جميع الأوانى، أو إعادة فتح جميع الأبواب فى البيت.. اعتقادا أن ذلك يفتح طريق الجنين إلى خارج الرحم.. وكثيرا ما تحضر النساء للسبب نفسه، مفتاح ضريح أحد أولياء الله الصالحين ويعلقنه على ظهرها.

وأهم خبر يترقبه أفراد الأسرة، بمجرد أن تضع الوالدة طفلها هو جنس المولود من حيث كونه ذكرا أو أنثى.. ذلك أنه بحسب المعتقد الشعبى فإن الناس بعامة يفضلون خلف الذكور على خلف الإناث إلى درجة أن بعضهم يصيبه الحزن بمعنى الكلمة إذا ولدت له أنثى،أما الصبى فالكل يفرح ويتهلل لمقدمه بدليل القول السائر عندهم: « لما قالو لى ده غلام انشد ضهرى واستقام.. ولما قالولى دى بنية انطبقت الدار علىّ ».

فالبنت كأنثى.. ترتبط فى المعتقد الشعبى كما ذكرنا آنفا ـ بفكرة احتمال جلب العار.. لأهلها.. إذ هى فرطت فى عرضها.. ولذلك فهم يعتقدون أن خلف الأنثى هم بالليل والنهار.. هم يدوم ولا يفارقهم مادامت لم تتزوج. فهى السلعة التى إن شاء الخطاب طلبوها.. وإن شاءوا رفضوها.. وبناء على ذلك فقد لا تجد إقبالا عليها و تبور، وفى هذا حط كثير لقيمتها.. ولكرامة أهلها.. الأمر الذى يسبب الهم والكدر.. وقد يضطر أهلها أمام هذا إلى أن يزوجوها لشخص دونهم بمراحل فى المكانة وفى الحسب.. وذلك لمجرد ستر عرضها.. والمثل عندهم يقول: « أبو البنات يناسب الكلاب ».

وغنى عن الذكر أن زواج البنت لا يضع حـدا لقلق أهلها من ناحيتـها فهى تظل بالرغم من زواجـها مـجلبة للقلق والهم، إذ يحـتمل جـدا أن تطلق فى أى لحظة.. وبخاصة إذا لم يمن الله عليها بالخلف، أو إذا لم تخلف ذكورا بالذات.

ومعنى هذا أن تربيـة الأنثى فى المعتقد الشـعبى مقرونة فى الأذهان بالمـشقة النفسـية والقلق والتـوتر.. ومن الأمثـال الشعبـية التى تضـرب فى هذا المجال : «يا مخلفة البنات، يا شايلة الهم للممات».

خاتمـة :

رأينا كيف يرتبط جسد المرأة ارتبـاطا وثيقا بظروف وجـوده، جسـد شكلته التقاليد، وأخضعته القوانين، وحاصرته الضغوط التاريخية والثقافية والمادية.. أسير علاقـات عائليـة. يظل محـجبـا ومختـفيـا، ولا يبرز إلا من خـلال التمـثلات الاجتماعية.

ولكنه فى الوقت ذاته، **موضوع للرغبة** لارتباطه بالجمال والإغراء والإثارة، ومن ثم كان ضرورة محاصرته واخفاءه تحت ألف غطاء وغطاء [1].

والمرأة المصرية بخاصة والعربية بعامة لا توجد لنفسها، ولا تعيش لذاتها، بل هى ما وجدت إلا من (أجل الآخر)، فهى تعـيش فى (فلك رجولى) فهى تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل [2].

إن مـا يهمنا هنـا بصفـة خاصـة، لا تلك الخـواص الجسـدية التى تفـرق بين الجنسين، أو تجمع بينهـما، وإنما يهمنا ما تتخـذه هذه الخواص من مغزى اجـتماعى ثقـافى، هذا هو مشـروعيـة وعمليـة اخـتزال مـا هو إنسانى حـضاري، إلى مـا هو جسمى بيولوجى.

ولعل ذلك باديا من مثال السمنة والـنحافة لدى المرأة الذى عرضناه من واقع المعتقد الشعبى، ومن معطيات البحوث الميدانية.

---

(١) انظر حياة الرايس، **جسد المرأة من سلطة الإنس إلى سلطة الجان**، دار سينا للنشر، ١٩٩٥ ص ٣٤.

(٢) سامية حسن الساعاتى، **دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث**، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، سبتمبر ١٩٧٥، العدد الثانى والثالث ص ٩٤.

نجد أن السمنة كانت تعد فى مصر فيما مضى، وحتى منتصف هذا القرن تقريبا، علامة من علامات الجمال لدى المرأة، بينما كانت النحافة علامة من علامات الدمامة. ثم شرعت الأمور فى التحول إلى النقيض، وواضح أن السمنة كانت علامة على الجمال فى عصر لم تكن المرأة تعمل فيه، وإنما كانت تلازم الدار، وبقدر ثراء ذويها يكون إعفاءها من الأعمال المنزلية، وتكون دسامة غذائها، وبالتالى تزايد سمنتها.

أما الفقيرة العاملة، الجائعة فكانت أميل إلى النحافة، أما الآن وقد خرجت المرأة إلى طلب العلم ثم العمل، وزادت حركتها ونمت عضلاتها وتناقصت سمنتها، فقد ولدت قيمة جمالية جديدة هى الرشاقة فأصبحت قيمة جمالية إيجابية. **واضح إذن أن الخصائص الجسدية تستمد معناها من ظروف تاريخية اجتماعية اقتصادية، وأنها لا تتضمن فى ذاتها معنى أو دلالة مطلقة خارج نطاق الزمان والمكان.**

والأمر بالمثل عندما نقارن مظاهر الشيخوخة والشيب لدى الرجل فى مجتمع قبلى رعوى، ولدى المرأة فى مجتمع صناعى حضرى معاصر.

إن المشيب والشيخوخة يقابلان لدى الرجل، بمظاهر الاحترام والتبجيل، إن عددا كبيرا من الأبناء والأطفال وأبناء الإخوة والأخوات يظهرون له من الاحترام أعظمه وأقصاه، **أما المرأة على العكس من ذلك تفزع من مظاهر التقدم فى السن وتحاول إخفاءه.** . إنها تواجه الوحدة من تقدمها فى السن وتواجه انخفاض المكانة والمنزلة. فلقد كان جمالها، وكانت جاذبيتها، وفتنتها، رأسمالها فى هذا النوع من المجتمعات وها هو رأسمالها يتناقص.

والربط بين أن المرأة تتزين، وترتدى ملابس من نوع معين على صورة معينة، وتتصرف بطريقة معينة، وتتسم بكذا وكذا من السمات النفسية والوجدانية لأنها امرأة ربط خاطىء، فنحن مهما أمعنا فى دراسة جسم المرأة تشريحيا وجسديا لن نستطيع الإجابة عن سبب استخدامها للطلاء، وادوات الزينة، أو إبراز جمال الوجه والعينين، أو إطالتها لشعرها، أو ارتدائها لأحذية ذات كعب عال. **إن هذه جميعا مظاهر ثقافية، أى نتيجة لظروف اجتماعية معينة، إن ظروفا تاريخية دفعت**

المرأة إلى اتخاذ هذا الموقف من جسمها، ولقد أوضحت الدراسات الأنثروبولوجية وبخاصة دراسات العالمة الأمريكية مرجريت ميد " M. Mead " كيف تقوم فى بعض القبائل بأدوار هى عندنا قاصرة على الرجال، بينما يقوم الرجال بأعمال لا يتصور صدورها من غير النساء.

وإذا كانت بعض الأشكال الاجتماعية الاقتصادية تجرد المرأة من إنسانيتها، أى قدرتها الإنتاجية، وتردها إلى مستوى بيلوجى، بدائى مستخدمة فى تحقيق ذلك تختلف أشكال القهر والمهانة الأيديولوچية بحيث يستقر فى وجدان المرأة أنها مجرد جسد يجب إحكام الرقابة وفرض القيود عليه، فإن نقيض ذلك لا يختلف عنه، أنه مجرد جسد، صحيح أنه جسد جميل ومثير وجذاب يجب كشفه، وإظهار محاسنه، ومفاتنه، ولا بأس فى أن تنشط أجهزة الصناعة والتجارة والإعلام فى ترويج ذلك والاتجار به، وتحقيق الكسب من وراءه. إنها فى نهاية الأمر جسد فقط.

إن النساء إذ يغتربن عن أدوارهن الإنسانية المتعددة والثرية يصبحن مجرد جوارى العصر الحديث [1].

ولعل من أقدر الأمور بالتأمل، ذلك التصور الذى يقوم على المطابقة الكاملة بين المرأة، والزواج، والأمومة. بحيث لا نستطيع أن نتصور المرأة دون أن تكون زوجة وأما، أنه دورها وقدرها. بينما يختلف الأمر تمام الاختلاف بالنسبة للرجل إنما نتصوره من خلال عمله ومكانته، وثرائه، إلى آخر هذه الأدوار الاجتماعية.

إننا إذا دون وعى ننظر إلى الرجل من حيث هو كائن اجتماعى فى المقام الأول، بينما ننظر إلى المرأة من حيث هى كائن بيلوجى فى المقام الأول، اجتماعى فى المقام الثانى.

وإلى عهد قريب، وربما حتى الآن داخل قطاعات كبيرة من المجتمع المصرى كان الشعار السائد والحلم المطلوب بالنسبة للفتاة هو (بيت العدل) أى (بيت الزوجية)، ولازال المجتمع حتى الآن يؤكد هذا الأمر عن طريق مختلف أجهزته ومؤسساته الإعلامية والجماهيرية. ولو أننا توقفنا أمام ذلك التقليد الشائع فى ريف

(١) انظر فرج أحمد، علم النفس وقضايا المرأة، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، سبتمبر ١٩٧٥ العدد الثانى والثالث، ص ١٥١.

مصـر ومناطقها الشعـبية الحضـارية، والذى بموجبه يطلق على الزوجـة اسم ابنها الأكبـر، فتنادى (بأم فـلان) وعلى هذا تعد الفتـاة المصرية، وبخـاصة فى قطاع الريف والأماكن الشـعبية فى المدينة لدور الأم. بينمـا نجد الزوجة الأوروبيـة أكثر حرصا على أنوثتـها، وعلى مظاهر هذه الأنوثة، فى الوقت الذى نجد فـيه الزوجة المصرية بخاصة، والعربية بعامة أكثر حرصا على أمومتها على حساب أنوثتها.

وتأسـيسـا على ما تقـدم فـإن خروج النسـاء جمـيـعهن إلى مـجال الإنتـاج الاجتمـاعى، هو طريق التحرر وهو لابد أن يغير بالتـدريج تغييرا سيسـتغرق سنينا طويلة، من علاقة المرأة بجسدها، ومعنى هذا الجسد ودلالته.

سيـتحول هذا الجسـد من جسد (سلعـة وعبء) غريب عليهـا، يحمل فى ثناياه عبوديتهـا، أو بعبارة مستمدة مـن فلسفة « سارتر » سيتحـول من جسد يوجد فى ذاته en - soi إلى جسـد يوجد لذاته pour - soi أى ببساطة شـديدة ستوجد المرأة لذاتها بعد أن ظلت توجد للآخرين. وسيستمد جسدها بالنسبة لها معانيه من ظروف حياتها الجديدة التى تعيشها هى بحريتها من خلال الإنتاج. وهنا تولد علاقة جديدة بين المرأة وجسدها عـلاقة قوامها المعايشة الحرة الخلاقـة لإمكاناتها الإنسانية الحقة.

إن هذه الحرية الجديدة ستـغير من علاقة المرأة بذاتها وبجسدها وبالتالى من علاقتها بالرجل، وفى المقـابل من إدراك الرجل لها، وما يترتب على ذلك من تحول فى إدراكه لنفسه لا بوصفـه (سيدا مـهددا فى سيـادته)، وإنما بوصفه (شـقا) لا يجد كماله إلا فى التقاء حر، ووحده خلاقه (بشقه الآخر).

* * *

المـــراجـــع

١ـ إبراهيم أحمد شعلان، **الشعب المصرى فى أمثاله العامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.

٢ـ أبو حامد الغزالى، **إحياء علوم الدين.**

٣ـ أحمد رشدى صالح، **الزوجة الثانية.**

٤ـ أحمد محمد خليفة، **مقدمة فى دراسة السلوك الإجرامى**، القاهرة، دار المعارف، ، ١٩٦٢.

٥ـ حياة الرايس، **جسد المرأة من سلطة الإنس إلى سلطة الجان**، دار سينا للنشر، ١٩٩٥.

٦ـ ديفيد لوبرتون، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**، عرض شاكر عبد اللطيف، إبداع، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٩٧.

٧ـ سامية الساعاتى، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، **المجلة الاجتماعية القومية**، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، سبتمبر ١٩٧٥، العدد الثانى والثالث.

٨ـ سامية الساعاتى، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٨.

٩ـ طه حسين، **دعاء الكروان.**

١٠ـ فرج أحمد فرج، علم النفس وقضايا المرأة، **المجلة الاجتماعية القومية**، سبتمبر ١٩٧٥، **العدد الثانى والثالث.**

١١ـ فوزية دياب، **القيم والعادات الاجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠.

١٢ـ محمد الجوهرى، **علم الفولكلور**، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعارف، ١٩٨٠.

١٣ـ محمد المويلحى، **حديث عيسى بن هشام**، القاهرة، محمد سعيد الرافعى الكتبى.

١٤ـ محمد عمر، **حاضر المصريين أو سر تأخرهم**، ١٩٠٢.

١٥ـ مصطفى الخشاب، **دراسات فى الاجتماع العائلى**، مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٥٨، ط ٢.

١٦ـ معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥.

١٧ـ المعجم العربى للعلوم الاجتماعية، منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة (**يونسكو**)، والمركز الإقليمى العربى للبحوث والتوثيق فى العلوم الاجتماعية (**اراكس**) القاهرة، ١٩٩٤.

١٨ـ نوال السعداوى، **الوجه العارى للمرأة العربية**، بيروت، ١٩٧٧.

١٩ـ نورا أمين، « دراما »، **إبداع**، يوليو ١٩٩٦ العدد السابع.

مراجع أجنبية :

٢٠ـ B. Turner, The Body and Society, Basil Blackwell, Oxford, 1989.

* * *

المحتويات

الموضوع	الصفحة

نبذه عن المؤلفة:

- أستاذ علم الاجتماع جامعة عين شمس.
- رئيسة قسم علم الاجتماع - كلية البنات جامعة عين شمس سابقا.
- عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين.
- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- مستشارة هيئة اليونسكو.
- مستشارة المجلس القومى للسكان.
- عضو الجمعية المصرية الدوليةلعلم الاجتماع.
- اشتركت فى العديد من المؤتمرات المحلية والدولية عن المرأة من أهمها:

١- مؤتمر المرأة والتنمية الاجتماعية فى سوريا، دمشق، ١٩٧٧.

٢- ممثلة الجمعية المصرية الدولية لعلم الاجتماع فى المؤتمر الدولى التاسع لعلم الاجتماع، أو بسالا، السويد، أغسطس ١٩٧٨.

٣- مؤتمر عن دور الشابات فى التغير الاجتماعى، تونس، ديسمبر ١٩٨٢.

٤- مؤتمر عن إسهام المرأة الريفية فى التنمية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائي - القاهرة ١٩٨٤.

٥- المؤتمر الدولى الأول للمرأة العربية والإفريقية، اتحاد المحامين العرب، القاهرة ١٩٨٥.

٦- المؤتمر الدولى للمرأة فى بغداد، تحقيقا لأهداف عقد المرأة (المساواة، والتنمية، والسلام) مارس ١٩٨٥.

٧- مؤتمر المرأة والأسرة فى الإسلام، اليونسكو، استانبول، تركيا، يونيو ١٩٨٥.

٨- مؤتمر الأمم المتحدة العالمى بمناسبة عقد المرأة، (المساواة والتنمية والسلام) نيروبى، كينيا ١٩٨٥.

٩- مؤتمر عن المعوقات الثقافية لإسهام المرأة الريفية فى التنمية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ١٩٨٤.

١٠- مؤتمر عن مستقبل الأسرة العربية فى الشرق الأوسط وشمال إفريقية، تونس ١٩٨٩.

١١- مؤتمر عن القيادات النسائية، الإسكندرية، فبراير ١٩٩٠.

١٣- المؤتمر الدولى السنوى الأول للمرأة كقائدة إدارية والتنمية المتواصلة، الإسكندرية، مارس ١٩٩٧.

١٤- مؤتمر عن المرأة والعنف، القاهرة، ١٩٩٧.
١٥- مؤتمر عن المرأة والجسد، كوبنهاجن، سبتمبر ١٩٩٧.

من أهم منشورات المؤلفة عن المرأة:

١- الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى، دار النهضة العربية بيروت، لبنان ١٩٧٣.
٢- جرائم النساء، دراسة تحليلية نقدية، المركز العربى للدراسات الأمنية الرياض، المملكة العربية السعودية ١٩٨٣.
٣- المرأة السعودية والخدمات الصحية، بحث ميدانى ١٩٩٢.
٤- المسلمات فى أمريكا، دراسة حالة لأربعة نماذج من المسلمات، ١٩٩٦- ١٩٩٧ تحت الطبع.

الإشراف العلمى:

- أشرفت واشتركت فى مناقشة العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه عن المرأة من أهمها:
- طلاق المثقفات فى مصر.
- جرائم المرأة بين الصحافة وقضايا المحاكم.
- دور المرأة الريفية فى التنمية.
- صورة المرأة فى المسلسلات التلفزيونية من السبعينيات إلى التسعينيات.
- الدراسات الانثروبيولوچية الاجتماعية وأدوار المرأة.
- دور المرأة فى مجال الشرطة.

أنشطة المؤلفة فى مجال المرأة:

- اختيرت كإحدى أبرز قيادات العمل الاجتماعى فى مصر سنة ١٩٩٥-١٩٩٦.
- لها دور إعلامى بارز فقد اشتركت فى عديد من البرامج، والندوات التليفزيونية والإذاعية والمجتمعية (فى الأندية الرياضية والاجتماعية وأندية الليونز والإنرهويل) عن المرأة وأهم قضاياها كمشكلات الزواج والطلاق والختان والتربية الجنسية وعمل المرأة بالقضاء، وموقف القوانين من المرأة فى الخطف والأغتصاب والأحوال الشخصية بعامة وغيرها من القضايا.
- تكتب فى الصحف والمجلات المصرية والعربية عن المرأة وهمومها، وواقعها، واستشراف مستقبلها منذ السبعينيات.
- شاعرة وأديبة تكتب عن المرأة ومشاعرها وأفراحها وأحزانها واغترابها واندماجها أو وحدتها. وقد صدر لها يوان شعر بعنوان شخصى جدا سنة ١٩٩٢، ولها ديوان آخر تحت الطبع، كتبت عددا من القصص القصيرة المنشورة فى مجلات مصرية تعالج فيها قضايا المرأة المعاصرة مثل ومضة حب - دموع على باب الرحيل - اليوم الثانى - البحث فى دفتر قديم - طلب زواج.



دكتورة/ سامية حسن الساعاتى

إحدى الشخصيات النسائية البارزة اللاتى لهن دورًا فى تغيير المجتمع والمنشورة أسمائهن مع نبذة من تاريخ حياتهن فى الموسوعة الدولية للمهنيات وسيدات الأعمال بالمجلد السابع بولاية نورث كارولينا - الولايات المتحدة الأمريكية.International Who's Who of Proffessional and Business Women, Vol. 7 - North .Carolina - USA

ومن الشخصيات البارزة التى تضمها المجموعة: مارجريت تاتشر وباربرا بوش.

وهذا الكتاب، أول كتاب فى المكتبة المصرية، وربما فى المكتبة العربية، فى علم اجتماع المرأة، وهو حصاد علمى يضم أهم القضايا المعاصرة التى تخص المرأة من وجهة نظر علم الاجتماع.

إن هذا الكتاب لا غنى عنه لمن يهتم بقضايا المرأة المعاصرة، فهو يهتم بقضية الاغتراب، وما تشمله من عدم الفعالية، والخلو من المعنى، والعزلة، كما يعالج قضية تحرير المرأة، وقضايا التعليم والعمل، والريفية والحضرية، والتنمية، والتغير الاجتماعى، والتنشئة الاجتماعية فى الريف والحضر.

ولا يهتم الكتاب بالمرأة فى سوائها فقط، بل إنه يهتم بقضايا انحرافها، ويفرد فصلا لجرائم النساء.

كما أن الكتاب يستشرف المستقبل، بمعالجة قضية هامة هى قضية المرأة، والجسد من خلال تناول المرأة المصرية، فى علاقة جسدها بالمعتقد الشعبى كما تبدو فى مظاهر دورة الحياة.

إن الأفكار المطروحة فى هذا الكتاب عن علم اجتماع المرأة هى حصيلة مسيرة علمية، استقت الحقائق من الواقع الاجتماعى المعاش، كما استشرفت المستقبل متنبئة بأهمية كثير من القضايا التى ثبتت أهميتها فيما بعد.

تطلب جميع منشوراتنا بالكويت من وكيلنا الوحيد **دار الكتاب الحديث**